تفسير العهد الجديد

وليم باركلي

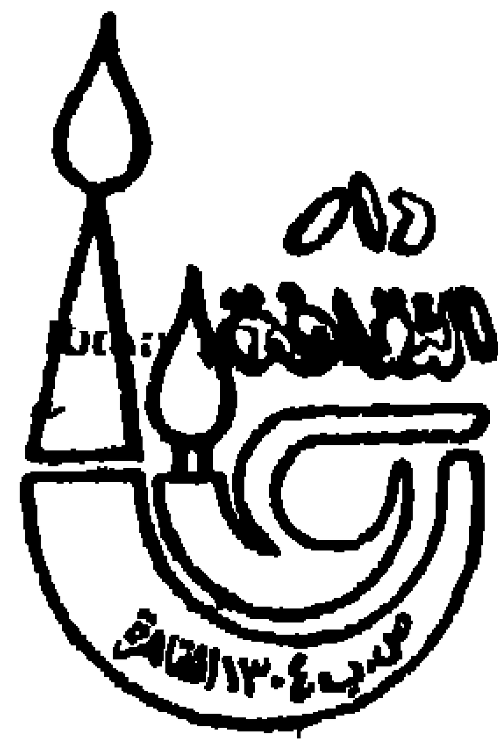
رسائل يوحنا ويهوذا



رسائل يوحنا ويهوذا

نقله الى العربية

جاد المنفلوطي



صدر عن دار الثقافة المسيحية ص . ب : ١٣٠٤ - القاهرة

١٠ /٣٨١ ط ١ /٨٣ (٤) ٧ - ٧
رقم الإيداع ٤١٩٨ /٨٣
طبع بدار نوبار للطباعة بشبرا

تفسير العهد الجديد

للدكتور

وليم باركلي

أستاذ العهد الجديد بجامعة كلاسكو

مجلس التحرير

الدكتور القس بطرس عبد الملك — الأستاذ حبيب سعيد

الدكتور القس صموئيل حبيب — الدكتور القس فايز فارس

الدكتور القس فهيم عزيز

محتويات الكتاب

هذه السلسلة

الدكتور وليم باركلى من كبار المفكرين والباحثين فى العالم المسيحى فى هذا العصر . وهو أستاذ العهد الجديد فى جامعة كلاسكو باسكتلندا . وقد قام بإعداد دراسات مسلسلة فى العهد الجديد ، تدل على تعمق فى البحث والدرس ، وطلاوة فى حسن التعبير ، وطرافة فى المعنى ، وسهولة فى الإستيعاب . وقد بيع من هذه السلسلة التى تشمل أسفار العهد الجديد كلها ، مليون نسخة فى عام واحد ، فى بريطانيا وحدها . وأعيد طبعها حتى الآن خمس مرات ، وما يزال الإقبال عليها شديداً .

وقد صحت عزيمة دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية ، بجمهورية مصر العربية ، ودار الثقافة المسيحية ، التابعة للهيئة القبطية الإنجيلية للخدمات الإجتماعية . على إصدار هذه السلسلة تباعاً .

ويقدمها فى العربية نخبة من المترجمين ، فى أسلوب سهل ، خالٍ من الحذلقة اللغوية والإعجاز اللفظى .

ومما يقوله المؤلف فى مقدمته العامة ، إن الهدف من إصدار هذه السلسلة ، هو وضع نتائج أبحاث العلم الحديثة ، تحت تصرف القارئ العادى ، الذى لم ينل حظاً موفوراً من الدراسات اللاهوتية ، ثم تطبيق تعاليم أسفار العهد الجديد ، على الحياة العملية فى هذا العصر .

وليست هذه السلسلة تفسيراً بالمعنى الذى نفهمه عادة من التفاسير الأخرى ، ولكنها دراسات تحليلية فى الآيات والفقرات والأمثال والأحداث ،

بأسلوب شائق ، فيه جاذبية التاريخ ، وعذوبة الخيال ، وقوة العظة ، وعمق التحليل ، وروحانية المعنى .

ودعاؤنا أن تقود هذه الدراسات جميع القارئين ، إلى معرفة يسوع المسيح فى وضوح وجلاء أكثر ، وإلى محبته حباً أغزر ، وإلى السير وراءه فى خطوات أقرب :

الناشرون

رسائل يوحنا

مقدمة

رسالة شخصية وخلفيتها :

رسالة يوحنا الأولى ، تحمل لقب « رسالة » ، مع أنها لا تبدأ بالبداية التقليدية للرسائل ، كما أن خاتمتها تختلف عن الخاتمة التقليدية لها ، فهى لا تتضمن توجيهاً إفتتاحياً ؛ كما أننا لا نجد فيها تحيات ختامية ، كالتحيات التى نجدها فى رسائل « بولس » . لكن مع هذا ، لا يقدر أحد أن يطالعها ، دون أن يحس بما لها من طابع شخصى قوى . ولا شك فى أن كاتبها ، كان يركز تفكيره على وضع معين ، وجماعة بعينها من الناس .

وصيغة الرسالة ، وطابعها الشخصى ، يمكن شرحهما ، إذا اعتبرناها ، كما اعتبرها بعضهم ، « عظة محبة قلقة » ، كتبها راعٍ محب لشعبه ، ثم أرسلها إلى الكنائس المختلفة التى كان يرعاها . فهى عظة صادرة عن محبة راعٍ ، واهتمامه ، وحرصه على سلامة رعيته .

وأية رسالة أو عظة مثل هذه ، لا بد وأنها كتبت لمعالجة موقف معين ، وما لم نصل إلى فهم تام لهذا الموقف ، فإننا لن نستطيع فهم هذه الرسالة . لذا يجب علينا أولا ، أن نحاول الرجوع إلى الوراء ، إلى الموقف الذى أدى بيوحنا إلى كتابة رسالته هذه ، كما يجب علينا أيضاً ، أن نتذكر أين ومتى

كتبها ، لأن معرفتنا لهذه الأمور ، ستكون معيناً لنا ، على فهم هذه الرسالة . أما كتابتها . فكانت فى أفسس ، بعد سنة ١٠٠ م . بقليل .

الإرتداد :

بانتهاء القرن الأول الميلادى ، وقعت فى الكنيسة أحداث لم يمكن تجنب وقوعها ، خاصة فى بقعة مثل أفسس .

١ — كثيرون من مسيحيي ذلك الزمان ، كانوا من الجيل المسيحى الثانى ، أو ربما كانوا من الجيل الثالث ، أى أن روعة الأيام الأولى ، وإثارة الإكتشاف الجديد ، التى كانت تمثلها المسيحية فى نظر أسلافهم ، تلك الروعة كانت قد تلاشت ، أو على الأقل انكمشت إلى حد كبير . ففى الأيام الأولى للمسيحية ، اتسمت الحياة بطابع المجد والروعة ، والفخامة والتألق ، وفى تلك الأيام التى تُعتبر من أعظم لحظات التاريخ ، ينطبق على الحياة ما قاله «وردزورث» : « إن الإنسان ليبلغ قمة السعادة ، حين يسعد برؤية مطلع الفجر الجديد » . أما الآن . فى وقت كتابة الرسالة . فإن المسيحية كانت قد أصبحت شيئاً مألوفاً ، كما أنها كانت قد أصبحت مسيحية إسمية تقليدية ، زايلها الحماس ، وألفها الناس ، وفقدت ما كان لها من روعة ، وتم ما سبق وأنبأ به فاحص القلوب حين قال : « تبرد محبة الكثيرين » (متى ٢٤ : ١٢) .

فيوحنا كتب هذه الرسالة . فى وقت كانت قد ذهبت فيه عن المسيحية روعتها ، كما كان قد خبا لهيب المحبة الأولى ، واستحال إلى ومضات خافتة . وكنيسة أفسس هذه ، هى التى كان المسيح المقام قد قال لملاكها : « لكن عندى عليك أنك تركت محبتك الأولى » (رؤيا ٢ : ٤) .

٢ — وقد ترتب على ذلك أن بعض أعضاء الكنيسة ، كانوا ينظرون إلى المعايير التى تتطلبها المسيحية ، على أنها عبء ثقيل . فهم لا يريدون أن يكونوا قديسين ، على غرار القداسة التى يتطلبها العهد الجديد . والكلمة اليونانية المستخدمة فى العهد الجديد (هاجيوس) ، هى ذات الكلمة التى تترجم عادة « مقدس » ، وهى أساساً تعنى « مختلف » أو « متميز » ، فالهيكل كان مقدساً لأنه يختلف عن غيره من المبانى ، والسبت كان مقدساً ، لأنه ليس كبقية الأيام ، والأمة اليهودية كانت مقدسة ، لاختلافها عن الأمم الأخرى . والمسيحى مدعو لأن يكون قديساً ، لأنه مدعو لأن يكون مختلفاً عن غيره من بنى البشر ، وعلى الدوام ، كان هناك فاصل بين المسيحى وبين العالم ، وفى البشارة الرابعة ، يقول يسوع : « لو كنتم من العالم لكان العالم يحب خاصته . ولكن لأنكم لستم من العالم بل أنا اخترتكم من العالم لذلك يبغضكم العالم » (يوحنا ١٥ : ١٩) ، وفى صلاته لله يقول : « أنا قد أعطيتهم كلامك والعالم أبغضهم لأنهم ليسوا من العالم كما أنى لست من العالم » (يوحنا ١٧ : ١٤) . وهذا كله كان يستلزم مطلباً أخلاقياً ، إنه كان يتطلب معياراً جديداً لطهارة الحياة ، وطرازاً جديداً من الآداب الجنسية ، كما أنه كان يتطلب حنواً جديداً ، وخدمة جديدة ، وغفراناً جديداً أيضاً ، وكل هذا لم يكن بالأمر الهين . لكن فجأة خبا الحماس ، وأصبح من العسير الوقوف فى وجه العالم ، وصار صعباً على المسيحى أن ينكر على نفسه ، الأمور التى اعتاد العالم إباحتها ، ويرفض مشاكلة ومسايرة الأنماط والأساليب الإجتماعية ، التى كانت سائدة بوجه عام فى ذلك الزمان ، والأمور التى كان المسيحى قديماً يعتبرها تحدياً رافعاً يقود إلى السمو ، أضحت الآن فى نظره عبئاً مزعجاً ينوء به كاهله .

٣ — ومما هو جدير بالذكر ، أننا لا نجد فى رسالة يوحنا الأولى ، إشارة

إلى اضطهاد كان واقعاً على الكنيسة التى كتبت إليها تلك الرسالة . فى ذلك الوقت ، لم يكن هناك أى تهديد بالخطر ، من عنف خارجى موجه ضد الكنيسة ، لكن الخطر كان من الداخل ، إنه لم يكن اضطهاداً وإراقة للدماء ، لكنه كان خطر الضلالة والإغواء ، وهذا الخطر أيضاً ، كان « يسوع » قد سبق ورآه ، وأنبأ عنه بقوله : « يقوم أنبياء كذبة كثيرون ويضلون كثيرين» (متى ٢٤ : ١١) ، وإلى هذا الخطر عينه ، أشار « بولس الرسول » ، وحذر منه قادة كنيسة أفسس هذه ، فى خطابه الوداعى لهم ، حيث قال : « لأنى أعلم أنه بعد ذهابى سيدخل بينكم ذئاب خاطفة لا تشفق على الرعية . ومنكم أنتم سيقوم رجال يتكلمون بأمور ملتوية ليجتذبوا التلاميذ وراءهم » . (أعمال الرسل ٢٠ : ٢٩ و ٣٠) .

فالمشكلة التى تعالجها رسالة يوحنا الأولى ، لم تأتِ من أناس من خارج الكنيسة ، كانوا يعملون على هدم أركان العقيدة المسيحية ، لكنها جاءت من أشخاص ، كانوا يعتقدون أنهم يعملون لإصلاح هذه العقيدة المسيحية ، وكان كل همهم ، أن يعملوا ليجعلوا العقيدة المسيحية ، عقيدة مقبولة عقلياً . وكان أولئك على علم تام بالاتجاهات العقلية ، والتيارات الفكرية ، التى كانت سائدة فى أيامهم ، وكانوا يرغبون فى شرح المسيحية ، وتوضيحها ، باستخدام نفس المصطلحات ، التى كانت تستخدم فى شرح الأفكار الفلسفية ، التى كانت منتشرة آنذاك . فالمشكلة أتت ، من أناس ظنوا أنه قد آن الأوان ، لكى تتوافق المسيحية مع الفلسفة الدنيوية ، والفكر المعاصر .

الفلسفة المعاصرة :

ما هو إذاً هذا الفكر المعاصر ؟ وما هى تلك الفلسفة ، التى كان أولئك الأنبياء الكذبة ، والمعلمون المنحرفون ، يحاولون أن يوفقوا بين العقيدة المسيحية وبينها ؟

كان هناك مذهب يدعى « المذهب الغنوسى » ، هذا المذهب كان منتشراً فى كل ربوع العالم اليونانى . وأتباع هذا المذهب بوجه عام ، يعتقدون أن الروح وحده هو الخير ، وعلى هذا الأساس : يتوجب على الغنوسى أن يحتقر العالم لأنه مادى ، وكل الأشياء المخلوقة من المادة هى شر فى أساسها . والغنوسى يكره الجسد بوجه خاص : لأن الجسد مادة : ولذلك فهو شر . والآن فى هذا الجسد : تقبع الروح سجينة ، ومعها أيضاً فى هذا السجن عقل الإنسان . وهذه الروح ليست سوى بذرة : أو تدفق من الروح، الذى هو الله ، الذى هو صالح كله . وهكذا يجب أن تكون غاية الحياة ، هى إطلاق سراح الروح . هذه البذرة السماوية السجينة ، وتحريرها من شر الجسد ، وهذا لا يمكن أن يتم ، إلا عن طريق معرفة سرية وطقسية معقدة ، واطلاع متقن ، ولا يتاح هذا إلا لمن كان غنوسياً حقيقياً . هنا نجد أنفسنا أمام تيار فكرى ، كان محفوراً بعمق فى الفكر اليونانى ؛ والحق يقال ، إن هذا التيار الفكرى لم ينقطع البتة ، وأساسه هو الاعتقاد بأن المادة شر بجملتها ، وأن الصالح والخير هو الروح ، وأن تحرير روح الإنسان من عقال الجسد الشرير الفاسد ، ينبغى أن يكون الهدف الحقيقى والأوحد للحياة .

المعلمون الكذبة :

مع الإحتفاظ بهذا كله فى أذهاننا ، هيا بنا ننتقل إلى رسالة « يوحنا » ، لنستخلص منها الدليل الذى يقودنا إلى حقيقة هؤلاء المعلمين الكذبة . . من هم ؟ وما هو تعليمهم ؟ لقد كانوا فى الكنيسة ، لكنهم انسحبوا وخرجوا منها . . « منا خرجوا لكنهم لم يكونوا منا » (رسالة يوحنا الأولى ٢ : ١٩) ، وكان هؤلاء أناساً لهم من قوة التأثير ، ما جعل « يوحنا » يلقبهم بالأنبياء ..... « لأن أنبياء كذبة كثيرين قد خرجوا إلى العالم » (رسالة يوحنا الأولى ٤ : ١) ،

ومع أنهم كانوا قد تركوا الكنيسة وخرجوا منها . إلا أنهم كانوا يحاولون أن ينشروا تعليمهم فى داخلها . لكى يغووا أعضاءها ، ويضلوهم عن العقيدة السليمة والإيمان القويم . (رسالة يوحنا الأولى ٢ : ٢٦) .

إنكار أن يسوع هو المسيا :

إن لم يكونوا كلهم ، فإن بعضاً من هؤلاء المعلمين الكذبة على الأقل ، قد أنكر أن « يسوع » هو المسيا ، ويقول « يوحنا » : « من هو الكذاب إلا الذى ينكر أن يسوع هو المسيح » (رسالة يوحنا الأولى ٢ : ٢٢) ، ويبدو أن هؤلاء المعلمين الكذبة ، لم يكونوا غنوسيين حقيقيين ، بل يهودا ، وعلى الدوام ، كان كل شىء صعباً ، على المسيحيين الذين كانوا من أصل يهودى ، وتواتر أحداث التاريخ ووقائعه ، قد ضاعف من هذه الصعوبة . فكان من الصعب على اليهودى ، أن يؤمن بمسيح مصلوب ، لكن حالما يبدأ الإيمان ، كان مفروضاً أن تتلاشى كل الصعوبات . كان المسيحيون يؤمنون بسرعة المجىء الثانى ليسوع ، لكى يخلص شعبه ويبرره . وهذا المجىء الثانى ، كان رجاء مرتقباً وعزيزاً على قلب كل يهودى ، لكن ما الذى حدث بعد ذلك ؟ فى سنة ٧٠ م . حاصرت الجيوش الرومانية مدينة أورشليم ، وقاوم اليهود مقاومة انتحارية عنيفة ، فصب الرومان جام غضبهم على المدينة المقدسة ، ونقضوا مبانيها حجراً فى إثر حجر ، وسيروا فى قلب المدينة محراثاً لتقليب أرضها ، فكيف فى وسط هذا كله ، يمكن ليهودى أن يقبل الرجاء فى عودة يسوع ورجوعه لكى يفتقد شعبه ! ؟ فالمدينة المقدسة قد خربت ، واليهود قد تشتتوا فى كل ربوع العالم ، فى مواجهة كل هذا ، كيف يمكن القول بأن المسيا قد جاء حقاً ! ؟ وطالما بقيت فى الفكر اليهودى ، بقية من الرجاء القومى ، فإنه لن يستطيع التسليم ، بأن يسوع هو المسيا ، لأنه

جاء ومضى ، وها هى الأمة اليهودية تعانى الخراب والدمار . ولا شك فى أنه كان بين اليهود هناك، من ينتظر مجيء يسوع ثانية، لكى يخلص شعب اليهود، ولا شك أيضاً ، فى أن أولئك اليهود ، اعتبروا أنه من المحال ، أن يكون يسوع الذى أتى هو المسيا .

إنكار التجسد :

ثم كان هناك ما هو أخطر من ذلك ، وهو التعليم الكاذب ، الذى جاء مباشرة من محاولة بدأت من داخل الكنيسة ، للتوفيق بين العقيدة المسيحية والمذهب الغنوسى . وعلينا أن نتذكر أن هذا المذهب ينادى ، بأن الروح فقط هى الخير ، وأن المادة شر بجملتها ، وبحسب هذا الرأى ، يكون حدوث التجسد أمراً مستحيلا ، لأنه من المحال أن يأخذ الله الذى هو روح ، جسداً بشرياً مادياً ، لأن المادة شر فى عرفهم ، وهذا هو عين ما ألمح إليه القديس « أغسطينوس » ، بعد ذلك بعدة قرون ، إذ قبل أن يصير مسيحياً ، كان قد تمرس فى العديد من المذاهب الفلسفية بمدارسها المتنوعة ، وفى اعترافاته ، كتب يقول ، إنه قرأ فى الكثير من كتابات الوثنيين ، كل ما تنادى به المسيحية ، عدا قولا واحداً ، لم يجده عند أى من الكتاب الوثنيين ، ذلك القول هو : « الكلمة صار جسداً وحل بيننا » (يوحنا ١ : ١٤) والمفكرون الوثنيون ، لا يمكنهم أن يقولوا هذا القول ، ما داموا يؤمنون بأن الشر عنصر أساسى فى المادة ، وأنه بالتالى عنصر أساسى فى الجسد .

وواضح أن أولئك المعلمين الكذبة ، الذين يعارضهم يوحنا فى رسالته الأولى ، قد أنكروا حقيقية التجسد ، كما أنكروا أنه كان ليسوع جسد حقيقى ، ولهذا كتب يقول : كل روح يعترف بيسوع المسيح أنه قد جاء فى الجسد فهو من الله . وكل روح لا يعترف بيسوع المسيح أنه قد جاء فى

الجسد فليس من الله » (رسالة يوحنا الأولى ٤ : ٢ و ٣) . وكانت هناك فى الكنيسة الأولى صيغتان للتعبير عن عدم التسليم بحقيقية التجسد :

(١) « الدوكيتية » أو « الدوسيتية » ، وهى الصيغة العمومية المتطرفة ، ويرى (جود سبيد) أنه يمكن ترجمتها إلى « التراثى » ، فالفعل اليونانى معناه « يبدو » أو « يظهر » ، وقد نادى أصحاب هذا المبدأ بأن جسد يسوع كان « مظهراً » أو « شبحاً » غير مادى ، وأن « يسوع » لم يأخذ جسداً حقيقياً ، لكنه بدا فقط ، وكأنه أخذ جسداً ، وقد أصر هؤلاء على أن « يسوع » ، لم يكن له على الإطلاق ، جسد بشرى طبيعى ، من لحم ودم ، لكنه كان كائناً روحياً بحتاً ، ولم يكن فيه من الجسد سوى المظهر فقط ، وكتاب « أعمال يوحنا » ، الذى يرجع تاريخه إلى سنة ١٦٠ م . ، وهو أحد الأسفار غير القانونية ، ويتضمن تعاليم منحرفة ، يتبنى كاتبه هذه العقيدة ، فيجرى على لسان « يوحنا » أقوالا ، يدّعى أنه نطق بها ، عند ما لمس يسوع ، الذى بدا له أنه قابله أحياناً بجسد مادى صلب ، وفى أحيانٍ أخرى « كان جسده غير مادى كأنه لا وجود له البتة » (ا . هـ) ، كما يضع فى فم « يوحنا » القول بأنه « عندما كان (يسوع) يمشى ، لم تكن أقدامه تترك على الأرض أثراً ما » ، وأبسط تصوير لهذه العقيدة ، هو الإنكار التام لكون « يسوع » قد أخذ جسداً بشرياً من أى نوع .

(٢) كانت هناك صيغة أخرى أكثر تهذيباً ، لكن ربما كانت أكثر خطراً . وهى تختلف عن الصيغة الأولى ، هذه الصيغة هى التى ارتبطت باسم « كيرنثوس » ، ويشير التقليد إلى أن « يوحنا » « وكيرنثوس » كانا عدوين لدودين . وفى كتاب « تاريخ الكنيسة » ، يروى « يوسابيوس » قصة ، تصور لنا شعور « يوحنا » تجاه « كيرنثوس » ، فيقول إنه فى أحد

الأيام ، توجه « يوحنا » إلى مغسل عام في أفسس ، وإذ علم أن « كيرنثوس » موجود في المغسل ، رفض أن يدخل ، بل سارع إلى مغادرة المكان ، وهو يحث رفاقه على التعجيل بالذهاب من هناك ويقول : « هلم نمضي على عجل ، لئلا يسقط علينا هذا المغسل ، بسبب وجود عدو الحق (كيرنثوس) في داخله » .

و « كيرنثوس » هذا ، فصل بين « يسوع الإنسان » ، و « المسيح القدوس » ، فقال إن « يسوع » كان إنساناً . ولد ميلاداً طبيعياً ، مثلما يولد غيره من البشر ، لا فرق بينه وبين أحد من الناس في مولده ، وعاش حياته في طاعة خاصة لله . ثم بعد ما اعتمد في الأردن . نزل عليه « المسيح » من السماء ، في هيئة جسمية مثل حمامة . ومن تلك القوة الفائقة ، التي لا تضارعها قوة أخرى في الوجود ، جاء المسيح للبشر ، بأخبار من عند الآب ، الذي كان وما يزال غير معروف لهم . ولم يقف « كيرنثوس » عند هذا الحد ، بل راح يقول ، إنه في الأيام الأخيرة من حياة « يسوع » ، فارقه المسيح ، وأن المسيح لم يتعرض لأي ألم ، لكن الذي تألم هو فقط جسد « يسوع » البشري ، وهذا الجسد البشري وحده ، هو الذي مات وقام ، بينما بقي المسيح القدوس ، في وجود روحي بحت ، غير قابل للتألم على الإطلاق . وهذا الفكر نجده في البشائر غير القانونية ، التي كتبت تحت تأثير هذه العقيدة المنحرفة : ففي « إنجيل بطرس » الذي كتب حوالي سنة ١٣٠ م. ، نقرأ أن يسوع على الصليب لم يتألم البتة ، وأنه نادى قائلا : « قوتي . . قوتي . . لماذا تخليت عني » ، وأنه في هذه اللحظة ، ترك المسيح القدوس ، جسد يسوع البشري . وفي « إنجيل أعمال يوحنا » ، نقرأ أيضاً ، إنه في الوقت الذي علق فيه جسد يسوع البشري على صليب الجلجثة : كان « يوحنا » في داخل مغارة في جانب من الجبل ، يتحدث مع المسيح

القدوس ، الذى قال له : « يا يوحنا . . فى نظر الناس فى أورشليم ، أننا أصلب وأسمر بالمسامير ، وأطعن بالحربة ، ويقدم لى خل ومر لأشرب ، لكن ها أنا أتحدث إليك ، فأصغ إلى قولى . . . إننى لم أعان شيئاً ما ، مما سيقولون إنى قد عانيت » (أعمال يوحنا ٩٧) .

ويمكننا أن ندرك مدى انتشار هذا النمط من التفكير ، من رسائل « إغناطيوس » ، التى كتبها إلى مجموعة من كنائس آسيا الصغرى ، والتى ربما كانت هى عينها ، الكنائس التى كتب إليها « يوحنا » رسالته الأولى . وحينما كتب رسائله ، كان « إغناطيوس » سجيناً وفى طريقه إلى روما ، ليلقى مصيره بين أنياب الوحوش ، فى ساحة الاستشهاد . وفى رسالته إلى الترالليين ، كتب يقول : « صموا آذانكم ، إذا ما وجه إليكم أحد حديثاً بعيداً عن « يسوع المسيح » ، الذى كان من نسل « داود » ، من « مريم » ، الذى ولد حقاً ، وأكل وشرب حقاً ، واضطهد وتألم وصلب حقاً ، على عهد « بيلاطس البنطى » ، والذى قام حقاً من بين الأموات ، ولو أن آلامه كانت مجرد مظهر ، أو تخيل ، أو « تهيؤ » ، كما يقرر البعض من البعيدين عن الله ، وغير المؤمنين ، فلماذا إذاً أنا سجين ! ؟ » (رسالة إغناطيوس إلى الترالليين فقرة ٩ و ١٠) . كما كتب فى رسالته إلى سميرنا : « لأنه من أجلنا قد عانى كل هذه الآلام ، حتى ننال الخلاص ، ولقد تألم حقاً ، كما أنه بالحقيقة قد قام ، وليس كما يقول البعض ، إن آلامه كانت مجرد مظهر ليس إلا » (رسالة إغناطيوس إلى سميرنا فقرة ٢) . و « بوليكاربوس » عندما كتب إلى أهل فيلبى ، استخدم ما قاله « يوحنا » : « الآن كل من ينكر أن يسوع المسيح قد جاء فى الجسد هو ضد المسيح ».(رسالة بوليكاربوس إلى أهل فيلبى ٧ : ١) .

وتعليم « كيرنثوس » هذا ، يوبخه « يوحنا » بعنف ، ويدحضه فى رسالته الأولى ، حيث يكتب عن « يسوع » : « هذا الذى أتى بماء ودم يسوع المسيح لا بالماء فقط بل بالماء والدم » (رسالة يوحنا الأولى ٥ : ٦) . والنقطة التى يشير إليها « يوحنا » فى هذا العدد ، هى أن المعلمين الغنوسيين قد أجمعوا ، على أن المسيح القدوس ، قد أتى بالماء ، وكان هذا فى معمودية « يسوع » ، لكنهم أنكروا أنه قد أتى بالدم ، الذى هو الصليب ، لأنهم أصروا على القول ، بأن المسيح القدوس ، قد ترك جسد « يسوع » البشرى قبل الصلب ، وأنه لهذا لم يتألم على الإطلاق .

وما تنطوى عليه هذه الهرطقة من خطر داهم ، يكمن فى أنه من الممكن اعتبارها توقيراً خاطئاً ، لأن أصحابها يخشون أن ينسبوا إلى « يسوع » بشرية كاملة وحقيقية ، على أساس أنه لا يليق بنا ، أن نفكر فى أن « يسوع » مثل باقى الناس ، كان له جسد بشرى حقيقى وطبيعى . ولئن كانت هذه الهرطقة قد اندثرت وتلاشت تلقائياً ، إلا أن عدداً لا يستهان به ، من المسيحيين الأتقياء ، لا زال متمسكاً بهذه الفكرة حتى يومنا هذا ، وهؤلاء عادة يتمسكون بها ، دون أن يدركوا أنها عقيدة خاطئة .

وكما رأى « يوحنا » بوضوح ، علينا نحن أن نتذكر ، أنه لم يكن ممكناً للمسيح يسوع أن يخلص البشر ، دون أن يصير إنساناً حقيقياً ، لأن خلاص البشر فى حقيقته ، يتوقف على مشابهة « يسوع » التامة لهم ، فى كل شىء (فيما خلا الخطية) ، أو كما قال أحد الآباء الأولين : « إنه صار مثلنا ، لكى يصيرنا نحن مثله » .

هذه العقيدة الغنوسية ، كانت لها متطلباتها الأخلاقية الخاصة ، فى الحياة العملية ، للذين كانوا يعتنقونها :

(ا) موقف الغنوسي من المادة . ومن كل الأشياء الطبيعية والمخلوقة : هذا الموقف ترتب عليه موقف معين ، يقفه الغنوسي من الجسد ، وهذا الموقف كان يتمثل فى واحد من المظاهر الثلاثة التالية :

١ — طالما أن الجسد شر كله ، قد يتجه الغنوسى إلى الصيام والزهد والتبتل ، والمعاملة الصارمة لجسده ، والإمعان فى القسوة عليه . والرأى الذى ينادى بأن التبتل أفضل من التزوج ، ويربط بين الجنس والخطيئة ، يرجع فى الأصل إلى التأثر بالعقيدة الغنوسية ، لكن فى رسالة يوحنا الأولى ، لا نجد أثراً لهذا الموقف.

٢ — ما دام الجسد كله شراً ، قد يقف الإنسان موقف اللامبالاة ، فيطلق العنان لميول الجسد وشهواته ، وينطلق فى هذا المجال بلا ضابط ، لأنه إذا كان الجسد شراً من كافة الوجوه ، فإنه لا يهم ما يفعله الإنسان بهذا الجسد الفاسد الشرير ، لأنه عندئذ لا فرق ، إذا اتجه الإنسان إلى قمع هذا الجسد ، واتبع مسلك العفة والطهر ، أو إذا اتجه إلى الناحية الأخرى ، ناحية الإباحية والشر والفساد . وفى رسالة يوحنا الأولى ، نجد أصداء هذه الفكرة تتردد فى جنبات الرسالة ، فيوحنا يتهم بالكذب ، كل من يدعى أنه يعرف الله ، وهو فى الوقت عينه لا يحفظ وصاياه . أصغ إليه وهو يقول بأن الإنسان الذى يقول إنه ثابت فى المسيح ، عليه أن يسلك مثلما سلك المسيح . (انظر رسالة يوحنا الأولى ١ : ٦ ، ٢ : ٤ — ٦)

من هذا نرى بكل وضوح ، أنه كان بين الذين كتب إليهم يوحنا رسالته الأولى ، أناس من أتباع المذهب الغنوسى ، الذين

نادوا بالمعرفة ، وقالوا إنهم يعرفون الله معرفة خاصة . لكن سلوكهم ، كان بعيداً كل البعد ، عن متطلبات السلوك المسيحى .

وفى بعض الأماكن ، ذهبت العقيدة الغنوسية شوطاً أبعد ، فنادى الغنوسيون ، بأن الغنوسى هو الشخص الذى نال المعرفة وحصل عليها ، أى أنه هو الإنسان العارف .

كما قام فى ذلك الوقت ، فريق من الغنوسيين ، ينادى بأن الغنوسى الحق ، يجب أن يعرف الأردأ والأفضل ، ويلم بالإثنين معاً ، فيغوص فى الأعماق كما يصعد الذرى ، وعليه أن يختبر كل مستويات الحياة ، أسماها وأدناها ، بحسب ما هى عليه فى واقعها . وهذه الفكرة قريبة الشبه ، من الفكرة التى تقول ، بأنه من الأفضل للشاب ، أن يطلق لشهواته العنان ، ويترك الحبل على الغارب لميوله الغريزية . والغنوسيون فقط هم الذين اعتنقوا هذا المبدأ ونادوا به ، كما أنهم نظروا إلى الخطية ، على أنها نوع من أنواع الواجب الدينى .

وتوجد إشارة إلى مثل هذا النوع من الاعتقاد ، فى الرسالة الموجهة إلى ملاك كنيسة ثياتيرا ، حيث يشير المسيح المقام ، إلى جماعة « عرفوا أعماق الشيطان » (انظر رؤيا ٢ : ٢٤) ، ويمكن القول ، بأن « يوحنا » كان يقصد الإشارة إلى أولئك القوم ، وهو يؤكد أن « الله نور وليس فيه ظلمة البتة » (رسالة يوحنا الأولى ١ : ٥) .

والغنوسيون الذين اعتنقوا هذا المبدأ ، ربما كانوا قد قالوا إن فى الله ظلمة دامسة متغلغلة ، كما أنه فيه نور متلألأ وهاج ،

وعلى الإنسان أن يجتاز فى كليهما . ولا يجد الإنسان أية صعوبة ، فى اكتشاف ما ينطوى عليه هذا الإعتقاد من خطر داهم ، وما يؤدى إليه من نتائج مدمرة .

٣ ــ ثم هناك نوع ثالث من العقيدة الغنوسية . فالواضح أن الغنوسى الحقيقى يعتبر نفسه بجملته إنساناً روحياً ، وقد يعتبر كذلك ، أنه قد تحرر من كل شىء مادى فى الحياة ، ومن كل سلطان للمادة . فلم يعد بعد عبداً لها . ومثل هؤلاء يعتبرون أنفسهم أعلى من الخطية . وأسمى وأرفع من أن تنالهم ، بسبب الدرجة الروحانية العالية التى بلغوها . وهكذا لم تعد الخطية موجودة بالنسبة لهم ، إذ أنهم بلغوا درجة الكمال الروحى . إلى هؤلاء أشار « يوحنا » فى رسالته الأولى ، عندما تحدث عن الناس الذين أضلوا أنفسهم وقالوا إنه « ليست لهم خطية » (رسالة يوحنا الأولى ١ : ٨ ــ ١٠) .

وواضح أن العقيدة الغنوسية ، فى أية صورة من صورها الثلاث ، التى سلفت الإشارة إليها . هذه العقيدة كانت بالغة الخطر ، كما يبين لنا ، أن الفرعين الأخيرين ، كانا موجودين بين الجماعة التى كتب إليها « يوحنا » رسالته الأولى .

(ب) فضلا عن هذا ، تبلورت الغنوسية فى موقف ، كان فيه بالضرورة قضاء مبرم على روح الشركة المسيحية . فقد رأينا أن الغنوسية كانت ترمى إلى تحرير الروح ، من كل ما تعانى منه فى سجن الجسد الطبيعى . ذلك الجسد المادى الشرير . وهذا التحرير ، قالوا إنه يتم عن طريق معرفة سرية وطقسية معقدة . وواضح

أن هذه المعرفة . ليست متاحة للجميع . فالأشخاص العاديون منهمكون فى مشاغل الحياة اليومية ، لدرجة لا تدع لهم مجالا للدراسة والتدريب . والنظام الذى تتطلبه هذه المعرفة ، وحتى لو توفر لهم الوقت ، فليس لديهم الاستعداد العقلى ، لفهم الأسرار العويصة والمعقدة ، واستيعاب التأملات الخاصة بالثيوصوفية والفلسفة الغنوسيتين . وقد أدى هذا بالضرورة إلى التمييز بين فريقين من الناس ، أحدهما يضم القادرين على أن يحيوا حياة روحية حقة ، والآخر يضم أولئك الذين لم تتوفر لهم هذه القدرة ، وقد ميز الغنوسيون بين الفريقين . بإعطاء كل منهما إسما خاصاً به .

وكان القدماء قد اعتادوا تقسيم كيان الإنسان إلى ثلاثة أقسام : (السوما) أى الجسد وهو الجزء الصغير من الإنسان ، و (السيوك) أى النفس . وهذه الكلمة لا تعنى ما تعنيه الكلمة الإنكليزية (Soul) التى تترجم عادة بالنفس . لأنها عند اليونان ، كانت تشير إلى عنصر الحياة الطبيعية ، وهذا العنصر موجود فى كل كائن من الكائنات التى لها حياة طبيعية ، وهو الذى يمنحها هذه الحياة الطبيعية ، وهو عنصر مشترك بين الإنسان والحيوان وباقى الكائنات الأخرى ، ثم بعد ذلك تأتى الروح ، وهى الجوهر الحقيقى الذى ينفرد به الإنسان دون باقى الكائنات ، والذى بواسطته تكون له شركة مع الله .

والغنوسية تركز جهدها على تحرير هذه الروح من الجسد ، ولن يبلغ الإنسان هذا التحرير ، إلا بدراسة طويلة شاقة ومعقدة ، وهذه الدراسة لا يقدر عليها ، إلا من أوتى مقدرة عقلية خارقة ، تمكنه من هذه الدراسة ، وتبلغ بها حد الكمال .

لهذا درج الغنوسيون على تقسيم الناس إلى فريقين : « فريق الطبيعيين » ، الذين لا يستطيعون أن يتجاوزوا حد الحياة الطبيعية ، بل ويقفون عند مشارف متطلبات الحياة الحيوانية . ثم « فريق الروحانيين » . الذين هم روحانيون حقاً ، والذين يتمتعون بوجود شركة بينهم وبين الله . والنتيجة الواضحة لهذا التقسيم ، هي أن الغنوسيين أوجدوا طبقة أرستقراطية روحانية . هذه الطبقة كانت تنظر بازدراء بل وبكراهية أيضاً . لمن هم دونهم . فالروحانيون اعتبروا الجسدانيين مخلوقات أرضية دنيئة . ليس في وسعها أن تعرف الله أو تدنو منه . وكان لهذا معنى واحد . هو القضاء المبرم على الشركة المسيحية وإلغاؤها . ولهذا السبب ، راح « يوحنا » يؤكد ويكرر في رسالته هذه ، وبإصرار . القول بأن محبة الإخوة هي حجر الإمتحان ، ومحك الإختبار للمسيحية الحقيقية . . « لأننا إن سلكنا في النور كما هو في النور فلنا شركة بعضنا مع بعض » (ص ١ : ٧) . « من قال إنه في النور وهو يبغض أخاه فهو إلى الآن في الظلمة » (ص ٢ : ٩ — ١١) . « نحن نعلم أننا قد انتقلنا من الظلمة إلى النور لأننا نحب الإخوة » (ص ٣ : ١٤ — ١٧) ، فالإيمان بالمسيح . ومحبة الإخوة من سمات المسيحية . « وهذه هي وصيته أن نؤمن باسم أبنه يسوع المسيح ونحب بعضنا بعضاً »(ص ٣ : ٢٣) ، « الله محبة ومن لا يحب لم يعرف الله البتة » (ص ٤ : ٧ و ٨) . « لأن الله قد أحبنا هكذا ينبغي لنا أن نحب بعضنا بعضاً » لأنه « إن أحب بعضنا بعضاً فالله يثبت فينا » (ص ٤ : ١٠ — ١٢) . « لنا هذه الوصية منه أن من يحب الله يحب أخاه أيضاً » (ص ٤ : ٢١) . « إن قال أحد إني أحب الله وأبغض أخاه فهو كاذب » (ص ٤ : ٢٠) . .

وللتقليل من شأن المحبة . قد يقول الغنوسي ، إن علامة الديانة الحقيقية ، هي ازدراء الناس العاديين ، لكن في كل فصل من فصول رسالته ، يؤكد

« يوحنا » بإصرار ، أن محبة الناس جميعاً ، هى علامة الدين الحق . وهكذا يتضح لنا ، أنه كانت للغنوسيين طريقتهم الخاصة ، التى مفادها ، أنه لا وجود لشيء اسمه الشركة المسيحية ، لأن هذه الشركة لا يمكن أن توجد ، فى جماعة ، تسودها وتتسلط عليها ، طبقة صغيرة من الأرستقراطيين ، الذين يحتقرون كل من هم دونهم .

هذه إذاً هى صورة الهراطقة الغنوسيين . إنهم كانوا يقولون إنهم مولودون من الله ويعرفونه ، كما أنهم كانوا يتكلمون عن السير فى النور ، ويقولون إنهم ثابتون فى الله ، وليست لهم خطية . تلك كانت أقوالهم البراقة ، ولم تكن لديهم أية فكرة عن تخريب الكنيسة ، أو هدم العقيده المسيحية ، لكنهم بطريقتهم الخاصة ، كانوا يرغبون فى تطهير الكنيسة ، مما كانوا يعتبرونه « خشباً ميتاً » ، محاولين أن يجعلوا العقيدة المسيحية ، فلسفة يقبلها العقل ، بحيث يصبح فى مقدورها ، أن تقف جنباً إلى جنب ، مع أعظم المذاهب الفكرية ، التى كانت سائدة فى ذلك الزمان .

لكن تعليمهم هذا كان له أثره المدمر ، لعقيدة التجسد ، والأخلاقيات المسيحية ، كما أنه جعل الشركة المسيحية ، فى داخل الكنيسة ، أمراً مستحيلا . لذلك لا ندهش ، إذا ما رأينا « يوحنا » ، بقلب الراعى الملتهب ، يسعى جاهداً ، لكى يدفع عن الكنائس التى أحبها ، مثل هذه الأخطار الداهمة ، التى كانت تهددها من الداخل ، والتى كانت تنذر بنتائج سيئة ، تفوق فى آثارها ، أعظم الاضطهادات الوثنية . لقد كانت الغنوسية تهدد فى الصميم ، كلا من الكنيسة المسيحية ، والإيمان القويم .

رسالة يوحنا :

رسالة يوحنا الأولى ، رسالة قصيرة ، لهذا لا نجد فيها كل درجات السلم

الموسيقى ، التى تتضمنها العقيدة المسيحية القويمة . وعلينا ألا ننتظر ،أن نجد فيها شرحاً نظامياً لهذه العقيدة ، لكن هذا لن يقلل من شأنها ، لأننا حين ندرسها ، يمكننا أن نجد فيها العقائد الأساسية ، التى استند إليها « يوحنا » ، فى تحدى أولئك ، الذين كانوا يهددون بتدمير العقيدة المسيحية .

هدف الرسالة :

لقد كتب«يوحنا»هذه الرسالة . لتحقيق هدف ذى شقين ، (أولا) « لكى يكون فرح شعبه كاملا »(ص ١ : ٤) ، (ثانياً) « لكيلا يخطئوا » (ص ٢ : ١) . فهو يرى أنه أياً كان الطريق الخاطئ جذاباً وخلاباً ، إلا أنه لن يؤدى إلى السعادة ، وإسعاد الناس وحمايتهم من الوقوع فى الخطأ ، يعتبران شيئاً واحداً لا شيئين .

فكرة الله :

كان لدى يوحنا شيئان يقولها عن الله : « الله نور وليس فيه ظلمة البتة » (ص ١ : ٥) ، « الله محبة » ، ومن محبة الله لنا ، أحبنا قبل أن نحبه نحن ، وأرسل ابنه كعلاج لخطايانا (ص ٤ : ٧ — ١٠ و ١٦) .أى أن « يوحنا » أراد أن يقول ، إن الله إله معلن وباذل لذاته ، وأنه نور وليس ظلمة ، محبة وليس بغضاً أو كراهية .

فكرة يسوع :

ولأن هؤلاء الهراطقة والمعلمين الكذبة ، كانوا يرمون إلى مهاجمة الإيمان المسيحي فى شخص المسيح ، فإن هذه الرسالة التى تولت الرد عليهم ، غنية — على الأخص بما تضمنته من أقوال عن شخص المسيح ، تلك الأقوال التى يمكن أن تعيننا فى هذا المجال ، مجال الدفاع عن إيماننا بالمسيح :

١ – يسوع هو « الذى كان منذ البدء » (ص ١ : ١ ، ٢ : ١٤) . والشخص الذى تكون له شركة مع المسيح . تكون له بالتالى شركة مع الإله الأزلى .

(٢) أو بتعبير آخر « يسوع هو ابن الله » ، وهذه عقيدة أساسية راسخة عند « يوحنا » (ص ٤ : ١٥ . ٥ : ٥) ، كما أن « يسوع » واحد مع الله ، وفى يسوع نرى قلب الله الدائم المحبة والغفران .

٣ – بالنسبة ليوحنا . يسوع هو المسيح . أو المسيا بحسب التعبير المألوف (ص ٢ : ٢٢ ، ٥ : ١) ، وهذا ركن أساسى فى عقيدة « يوحنا وإيمانه ، وهنا يبدو أننا ننتقل إلى دائرة من الأفكار ، أكثر ضيقاً . وهى فى حقيقتها أفكار يهودية . لكنا نجد فيها شيئاً رئيسياً . فعندما نقول إن يسوع » هو من البدء ، وهو ابن الله ، فإن هذا يعنى أننا نحافظ على ارتباطه بالأزل . لكن عندما نقول إنه هو المسيح . فإننا بهذا نحافظ على ارتباطه بالتاريخ ، إذ نرى فى مجيئه ، حادثاً تاريخياً مرتبطاً بقصد الله وخطته . عاملا فى شعبه المختار . وواقعة متحركة ، نرى فيها إتماماً لرؤى الأنبياء . وتحقيقاً لطلباتهم وآمالهم ورجائهم ، كما نرى فيها كذلك تحقيقاً لأشواق شعب الله .

وعندما يقول « يوحنا » ، إن « يسوع » كان منذ البدء ، وأنه هو ابن الله ، فإنه بهذا يقول إن دخول « يسوع » فى التاريخ ، لم يكن بداية وجوده وأن التاريخ كله ، يقود ويؤدى إليه .

٤ – ثم نجد أيضاً ، إيمان « يوحنا » الراسخ بكمال بشرية « يسوع » وبأنه كان إنساناً حقيقياً ، وبأن « روح ضد المسيح وحده ، هو الذى ينكر

أن « يسوع المسيح » قد جاء في الجسد » (ص ٤ : ٢ و ٣) ، ويقدم « يوحنا » شهادته . بأن « يسوع » كان إنساناً حقاً ، وأنه هو بنفسه قد عرفه ، ولمسه ، وتعامل معه . وبين كتاب أسفار العهد الجديد ، لا نجد من يقدم لنا وضوحاً كاملا لحقيقة التجسد . كما يفعل « يوحنا » ، فالمسيح لم يصر إنساناً فقط ، لكنه أيضاً تألم من أجل البشر . وأتى بالماء والدم . (ص ٥ : ٦) ، إنه وضع حياته من أجل البشر .

٥ — ثم مجيء المسيح ، وتجسده . وحياته . وموته ، وقيامته ، وصعوده ، هذه جميعها مرتبطة بالتعامل مع خطيئة البشر . فيسوع كان « بلا خطيئة » (ص ١ : ٨ — ١٠) ، والإنسان هو الذى أخطأ فى الأصل ، لكنه فى كبريائه . قد يدعى أنه « بلا خطيئة » (ص ١ : ٨ — ١٠) ، لكن مع هذا فإن المسيح الذى لم يعرف خطية ، جاء ليرفع الخطيئة عن القوم الخطاة (ص ٣ : ٥) ، ومن جهة خطية البشر ، نجد فى يسوع أمرين :

(ا) فهو شفيعنا عند الآب (ص ٢ : ١) ، والكلمة اليونانية هى (پاراكليتوس) أى الباراقليط ، وهو الشخص الذى يطلب منه تقديم العون ، كالطبيب الذى يستدعى لمساعدة مريض ، كما يمكن استخدام هذه الكلمة أيضاً للإشارة إلى شاهد يطلب لأداء الشهادة أمام القضاء ، لصالح إنسان متهم ، أو للإشارة إلى محام عام ، أو خطيب ، يدعى لتقديم الأدلة على براءة هذا المتهم فى ساحة القضاء . فيسوع إذاً محام ، أو شفيع ، يدافع عن حالتنا أمام الله ، فهو البار الذى يدافع ويحامى عن البشر الأشرار .

(ب) لكن « يسوع » أكثر من هذا ، إنه أكثر من محام أو شفيع فترتين يدعوه يوحنا « كفارة لخطايانا » (ص ٢ : ٢ ، ص ٤ : ١٠) .

عندما يخطئ إنسان ، للوقت تنقطع الشركة التى كانت له مع الله ، مع أن هذه الشركة يجب أن تتصل وتدوم ، والذبيحة الكفارية ، هى تلك الذبيحة ، التى تقدم لإعادة هذه الشركة ، إلى ما كانت عليه من قبل ، أو هى الذبيحة التى بواسطتها ، تعود العلاقات المقطوعة . إنها ذبيحة تعويضية ، تعيد للإنسان شركته مع الله . وهكذا بذبيحة المسيح . أعيدت العلاقة التى كانت مقطوعة ، بين الإنسان الخاطئ وبين الله بسبب الخطيئة ، فيسوع لايتعامل فقط مع خطيئة الإنسان الخاطىء ، لكنه أيضاً يعيد هذا الخاطئ إلى مكانه الطبيعى ، ووضعه مع الله . إن « دم يسوع المسيح يطهرنا من كل خطية » (ص ١ : ٧) .

٦ — وعلى هذا الأساس ، كل من يؤمن بيسوع المسيح ، ينال الحياة الأبدية (ص ٤ : ٩ ، ٥ : ١١ و ١٢) . وهذا صحيح من وجهتين : فالذين يؤمنون بالمسيح يسوع ، ينالون الحياة الأبدية ، بمعنى أنهم ينجون من الموت كما أنهم ينالون الحياة الأبدية ، بمعنى أن حياتهم ، لم تعد مجرد وجود على مسرح الحياة ، لكنها أضحت حياة حقة .

٧ — هذا كله . يمكن إجماله فى القول « إن يسوع هو مخلص العالم » (ص ٤ : ١٤) ، وهنا نجد أمامنا شيئاً جديراً بأن نقدمه فى ملء كماله . لقد أرسل الآب ابنه ، لكى يكون مخلص العالم (ص ٤ : ١٤) ، وقد سبق وتحدثنا عن « يسوع » ، باعتباره شفيعاً ومدافعاً عن البشر الخطاة أمام الله ، ولو أننا وقفنا عند هذا الحد ، ربما قيل إن « يسوع » هو الذى كان يرغب فى الدفاع عن البشر ، بينما كان الله يرغب فى أن يسلط على رقابهم سيف الإتهام والإنتقام ، وأنه غير رأيه ، وتحول عن رغبته الأساسية فى اتهامهم ، نتيجة لقيام « يسوع » ، بتقديم ذاته فدية عن البشر . لكن الحقيقة تختلف عن هذا اختلافاً تاماً ، هذا الفكر نجده عند « يوحنا » وعند غيره من كتاب

العهد الجديد ، فالمبادرة أساساً هي من جانب الله ، فهو الذى أرسل ابنه لخلاص البشر .

ورغم أن رسالة يوحنا الأولى رسالة قصيرة ، ونطاقها محدود ، إلا أنه يمكننا بكل وضوح ، أن نرى فيها عظمة نعمة المسيح وجلالها ، تلك النعمة التى تتراءى فيها ، فى أوج بهائها وكمالها .

الروح :

فى هذه الرسالة ، لم يطرق يوحنا كثيراً فى حديثه ، موضوع الروح ، وإن شئنا أن نعرف صورة وافية لتعليمه بشأن الروح ، علينا أن نرجع إلى بشارته ، التى أفاض فيها فى الحديث عن هذا الموضوع . ويمكن القول ، بأن رسالة يوحنا الأولى ، تشير إلى أن عمل الروح ، هو همزة الوصل التى تربط بين الإنسان وبين الله ، فهو الذى يقودنا إلى الإحساس . بأن الله موجود فى « المسيح يسوع » ، كما يمكن القول ، بأن الروح هو الذى يعيننا ، على الإمساك بالشركة الثمينة ، والتمسك بها ، والتحقق من وجودها ، بالحياة المقدسة التى نحياها مع الله ، هذا الإله الذى قدم لنا .

العالم :

المسيحى يعيش فى عالم معاد . عالم بلا إله . ولأن هذا العالم لا يعرف « المسيح » ، فهو بالتالى لا يعرف المسيحى (ص ٣ : ١) . وكما أبغض المسيح من قبل ، يبغض العالم الشخص المسيحى (ص ٣ : ١٣) . والمعلمون الكذبة من العالم ، وليسوا من الله . ولهذا يتحدثون بلغة العالم . تلك اللغة التى تجد من العالم آذاناً صاغية ، بل واستعداداً تاماً لقبولها (ص ٤ : ٤ و ٥) ، والعالم كله موضوع فى الشرير ، على حد تعبير « يوحنا » (ص ٥ : ١٩) ،

لذا يجب على المسيحى أن يغلب العالم ، متسلحاً بالإيمان فى معركته معه (ص ٤ : ٥) .

والعداوة التى يكنها العالم لأولاد الله ، تعلن لنا أن هذا العالم محكوم عليه : « العالم يمضى وكل شهوته » (ص ٢ : ١٧) ، ولهذا السبب ، فإنه من الحماقة والغباء ، أن يعطى الإنسان قلبه لهذا العالم ، الذى هو فى طريقه إلى الانحلال .

وبرغم أن المسيحى يعيش فى عالم معاد ، ورغم أن هذا العالم سوف يمضى ، فليس هناك ما يدعو إلى الشعور باليأس أو الخوف ، لأن العصر الجديد ، قد جاء فى المسيح ، والظلمة قد مضت ، و « النور » الحقيقى الآن يضىء » (ص ٢ : ٨) . لقد دخل الله إلى عرض الزمان ، وهذا الدخول تم فى شخص المسيح ، وهكذا جاء العصر الجديد ، ومع أنه لم يعلن فى ملء كماله ، إلا أنه سيعلن بكل تأكيد .

إن المسيحى يعيش فى عالم شرير ومعاد ، لكنه يملك ما يمكنه من الانتصار على هذا العالم ، وعندما تأتى نهاية العالم المحتومة ، يكون المسيحى عندئذ فى أمان ، لأنه قد امتلك من قبل ، ما يجعله عضواً فى المجتمع الجديد ، مجتمع العهد الجديد .

شركة الكنيسة :

إن « يوحنا » يفعل ما هو أكثر من التجول فى عوالم اللاهوت ، بذراها الرفيعة ، وقممها الشامخة ، إن لديه الكثير من الأمور العملية ، التى يتحدث بها عن الكينونة المسيحية والحياة المسيحية ، وهو يركز تركيزاً واضحاً على وجوب الشركة المسيحية ، بصورة لا نجدها عند غيره من كتاب العهد

الجديد . فيوحنا لم يقنع بالوقوف عند حد القول ، بأنه يجب أن تكون للمسيحيين شركة مع الله ، لكنه تخطى ذلك إلى القول ، بأنه يجب أن تكون لنا شركة مع بعضنا البعض (ص ١ : ٧) ، ومن قال إنه يسلك فى النور وهو يبغض أخاه ، هذا الشخص يكون سالكاً فى الظلمة ، أما الذى يحب أخاه ، فهو السالك حقيقة فى النور (ص ٢ : ٩ — ١١) . إن المسيحية تتطلب أن يحب كل منا أخاه ، ومحبة الواحد لأخيه ، هى الدليل على أنه قد انتقل من الظلمة إلى النور ، وكل من يبغض أخاه ، فهو قاتل نفس . كما كان « قايين » . ومن كان فى وسعه ، أن يسد أعواز أخيه المحتاج ، لكنه لا يفعل يكون من السخف بمكان ، أن يقول مثل هذا الإنسان ، إن محبة الله ثابتة فيه ، لأن محبتنا للآخرين ، مع إيماننا باسم الرب « يسوع المسيح » ، هما الدليل على صحة الدين (ص ٣ : ١١ — ١٧ ، عدد ٢٣) .

« الله محبة » ، و« كل من يحب هو من الله » ، « إن الله قد أحبنا . ولهذا يجب أن يحب أحدنا الآخر » (ص ٤ : ٧ — ١٢) . «إن قال أحد إنى أحب الله وهو يبغض أخاه فهو كاذب » ، فالوصية هى أن كل من يحب الله ، يجب أن يحب أخاه أيضاً (ص ٤ : ٢٠ و ٢١) .

لقد كان « يوحنا » على يقين ، من أن محبة الإنسان لأخيه الإنسان ، يجب ألا تقف عند حد المشاركة بالشعور والوجدان ، إنما يجب أن تدفعه إلى تقديم العون العملى له .

بر المسيحى :

ليس بين كتاب العهد الجديد ، من يشير إلى مطلب أخلاقى . بأقوى مما يفعل « يوحنا » ، كما أننا لا نجد فى العهد الجديد كله ، من يدين وينتقد ،

تلك الديانة التى لا تستطيع أن تعبر عن ذاتها بعمل أخلاقى : مثل ما نجده فى كتابات « يوحنا » : الله بار ، وكل من يعرف الله : عليه أن يعكس فى حياته بر الله (ص ٢ : ٩) ، كل من يثبت فى المسيح ، وكل من ولد من الله لا يخطئ (ص ٣ : ٣ — ١٠) . وقاعدة هذا التصور لبر المسيحى ، هى أنه يعبر عن ذاته ، فى محبته للإخوة (ص ٣ : ١ و ١١) ، فنحن نظهر حبنا للناس ولله ، بحفظنا لوصاياه (ص ٥ : ٢) ، وكل من ولد من الله لا يخطئ (ص ٥ : ٨) .

و « يوحنا » يرى ، أن محبة الله وطاعته ، تسيران جنباً إلى جنب ، وحفظ وصايا الله ، هو الطريق الوحيد ، للتعبير عن معرفتنا الحقيقية له ، فمن قال إنه يحب الله ، وهو لا يحفظ وصاياه ، يكون كاذباً(ص ٢ : ٣ — ٥) وهذه الطاعة فى الحقيقة ، هى العنصر الفعال فى إجابة صلواتنا ، فنحن ننال من الله كل ما نسأل، لأننا نحفظ وصاياه ونعمل الأعمال المرضية عنده (ص ٣ : ٢٢). فمحبتنا للإخوة ، وطاعتنا لله ، هما العلامتان المؤيدتان لصدق مسيحيتنا .

هذه هى العقائد الأساسية ، التى بها يتحدى يوحنا الهراطقة ، الذين كانوا يهدمون العقيدة المسيحية ، والأخلاقيات المسيحية .

تخصيص الرسالة :

بقيت أمامنا الآن مشكلة يجب أن نبحثها ، حتى تكتمل مقدمة هذه الرسالة . وهناك عدة مشاكل محيرة ، تدور حول تخصيص هذه الرسالة وتوجيهها ، ففى الرسالة لا توجد أية إشارة إلى الوجهة التى أرسلت إليها ، والتقليد يربط بين هذه الرسالة وبين آسيا الصغرى وبين مدينة أفسس

بالذات . وبوجه خاص . ويقول التقليد أيضاً ، إن « يوحنا » قد قضى فى أفسس ، ردحاً طويلا من الزمان . لكن بعد هذا كله ، تبقى فى النهاية عندنا ، بعض حقائق فى حاجة إلى إيضاح .

يقول « كاسيودوروس » ، إن رسالة يوحنا الأولى ، كتبت « إلى أهل پارثوس » ، وأن القديس « أغسطينوس » كتب عشر مقالات عن « رسالة يوحنا إلى أهل پارثوس » أو « الپارثوسيين » ، وفى جنيف ، مخطوطة تشير إلى أن هذه الرسالة ، موجهة إلى « الإسپارثوسيين » ، وهذا يجعل الأمر أكثر تعقيداً ، لعدم وجود شئ إسمه « سپارثوس» ، ولإيضاح الحقيقة حول هذا العنوان الغريب بل والمستحيل ، أمامنا احتمالان :

١ — ربما كان عنوان الرسالة فى النص اليونانى هو « آد سپار ثوس » ومعناه « إلى المسيحيين الذين فى الشتات » .

٢ — أو ربما كان العنوان « پروس پارثوس » ، وفى المخطوطات القديمة ، لم يكن الكاتب يترك فواصل بين كل كلمة والكلمة التى تليها ، فالكلمات كانت تكتب متلاصقة، كما أنها ربما كانت مكتوبة بأحرف كبيرة (Capital letters) ، وهكذا يمكن أن يكون العنوان قد كتب على هذه الصورة (پ روس پ ارثوس) ، طبعاً بحروف يونانية كبيرة كما أسلفنا ، ولو أن واحداً من الكتبة أو النساخ ، كان يكتب الرسالة وآخر يملى عليه محتوياتها ، فإنه من الممكن أن يكتبها (پ ر و س س پ ا ر ث و س) بزيادة حرف سيجما بعد السيجما الموجودة فى العنوان الأصلى للرسالة ، خاصة إذا لم تكن لديه أية فكرة عما يعنيه عنوان الرسالة ، وهكذا يمكن القول ، بأن جعل عنوان الرسالة « إلى الإسپارثوسيين » ، كان وليد خطأ كهذا ، ولا شيء أكثر من ذلك .

لكن من أين جاء القول ، بأن الرسالة موجهة « إلى أهل پارثوس » أو « الپارثوسين » ؟ هناك احتمال واحد فقط . فرسالة يوحنا الثانية ، ليست فيها إشارة إلى الوجهة التي أرسلت إليها ، لكنها مكتوبة إلى « السيدة المختارة وأولادها » (رسالة يوحنا الثانية ١) . وإذا انتقلنا إلى رسالة بطرس الرسول الأولى ، نجدها موجهة إلى « الكنيسة التي في بابل » (رسالة بطرس الأولى ٥ : ٣) ، وذلك في الترجمة المعروفة لدارسي الكتاب المقدس بالـ A. V.[1] ، ولا شك أن لهذه الترجمة رأيها ، لكن قارئ « العهد الجديد » ، في هذه الترجمة المشار إليها ، سوف يرى العبارة القائلة « إلى الكنيسة » ، مكتوبة بأحرف مائلة ، إشارة إلى عدم وجودها في الأصل اليوناني ، كما أننا لا نجد في النص اليوناني ، إشارة إلى أية كنيسة على الإطلاق . والترجمة المعروفة بالـ R.S.V[2] تشير بدقة إلى : « تسلم عليكم التي في بابل المختارة مثلكم » ، وبحسب المعنى المستفاد من النص اليوناني ، يحتمل أن الكاتب لا يشير بهذا إلى كنيسة ، وإنما إلى سيدة ، وهذا هو عين الرأي الذي كان يراه العلماء في الكنيسة الأولى ، إذ أنهم اعتبروا التحية الواردة في آخر رسالة بطرس الأولى ، موجهة من إحدى السيدات المختارات ، هذه السيدة كانت تعيش في بابل . وفي رسالة يوحنا الثانية ، نجد العبارة عينها « السيدة المختارة » ، ولذا أصبح من السهل القول ، بأن رسالة يوحنا الثانية ، موجهة كذلك إلى أهل بابل ، على أساس أن هذه السيدة المختارة ، هي تلك .

وكان العنوان الطبيعي لأهل بابل هو « الپارثوسين » ، ولعل هذا يلقي بعض الضوء ، على القول بأن الرسالة موجهة « إلى الپارثوسين » .

The Authorised Version (١)

The Revised Standard Version (٢)

لكن الأمر لم يقف عند هذا الحد ، فى النص اليونانى ، يشار إلى « السيدة المختارة » ، وكما رأينا من قبل . كانت المخطوطات القديمة تكتب بالأحرف الكبيرة ـ ومن المحتمل أن الكلمة اليونانية المترجمة « المختارة » (إلكت) ، لم تؤخذ على أنها وصف لهذه السيدة بأنها مختارة ، لكنها اعتبرت اسم علم لها (إلكتا) . وكنتيجة للعديد من العمليات المبنية على سوء الفهم . جاء العنوان « إلى پارثوس » أو إلى « البارثوسيين »

فالسيدة المختارة فى رسالة بطرس ، هى بذاتها الكنيسة ، وهذا هو الرأى الذى يشير إليه النص كما ورد فى الـ A. V. ، و « دكتورموفات » ، يذهب هذا المذهب ، فيقول فى ترجمة الكتاب المقدس التى تحمل اسمه : « تسلم عليكم كنيسة بابل المختارة مثلكم »، وربما كانت « بابل »، تستخدم للإشارة إلى روما ، الزانية العظيمة ، التى سكرت بدم القديسين (قارن رؤيا ١٧ : ٥) . وواضح أن هذا العنوان « إلى پارثوس » ، له تاريخ مشوق ، رغم أنه جاء نتيجة فهم خاطئ .

ثم هناك مشكلة أخرى ، فاكليمندس السكندرى ، أشار إلى أن «يوحنا» كتب رسائله « إلى العذارى » ، وهذا احتمال غير صحيح ، لأنه لا يصح أن يكون « إلى العذارى » ، عنواناً مناسباً لرسالة ، لكن من أين جاء هذا العنوان ؟ قد يكون الأصل اليونانى هو « پروس پارثينوس » ، وهو يشبه « پروس پارثوس » ، والتفسير المحتمل لذلك هو أن الجميع كانوا قد اعتادوا على تلقيب يوحنا « هو پارثينوس » أى « البتول » ، لأنه لم يتزوج قط ، ولأن حياته اتسمت بالطهر ، ونتيجة للخلط بين لقب « يوحنا » وعنوان الرسالة ، قيل إن عنوان الرسالة هو « لأهل پارثوس » ، وهو ينطق باليونانية « أد پارثوس »

وقد يؤدى بنا هذا ، إلى تخطئة كل تلك النظريات . والإقرار بصحة ما أشار إليه التقليد ، من أن هذه الرسالة ، كتبها « يوحنا » فى أفسس ، إلى الكنائس المحيطة بها فى منطقة آسيا الصغرى ، لأن اسمه كان مرتبطاً بأفسس على الدوام ، ولم يرتبط مطلقاً ببابل . ونحن نؤكد ، أنه عندما كتب «يوحنا» هذه الرسالة ، فإنه كتبها إلى أفسس والمنطقة التى تحيط بها .

دفاع عن الإيمان :

لقد كتب « يوحنا » هذه الرسالة دفاعاً عن الإيمان . بل فى مواجهة موقف خطير ، والتعاليم المنحرفة التى هاجمها « يوحنا » ، كانت كلها أصداء لأفكار ضاربة فى القدم ، ومعارك تمتد إلى ماض سحيق ، لكنها كانت تطل برأسها من حين إلى حين .

ودراستنا لهذه الرسالة ، ستقودنا بغير شك . إلى الثبات فى الإيمان ، كما أننا سوف نجد فيها ، ما يمكن أن نستخدمه فى الدفاع عن إيماننا ، ضد هذه الضلالات التى تحاول أن تصرفنا ، أو تجرفنا . بعيداً عن هذا الإيمان القويم .

رسائل يوحنا

رسالة يوحنا الأولى

الأصحاح الأول

يوحنا

قصد الـــراعى

اَلَّذِى كَانَ مِنَ ٱلْبَدْءِ ٱلَّذِى سَمِعْنَاهُ ٱلَّذِى رَأَيْنَاهُ بِعُيُونِنَا
اَلَّذِى شَاهَدْنَاهُ وَلَمَسَتْهُ أَيْدِينَا مِنْ جِهَةِ كَلِمَةِ ٱلْحَيٰوةِ .
فَإِنَّ ٱلْحَيٰوةَ أُظْهِرَتْ وَقَدْ رَأَيْنَا وَنَشْهَدُ وَنُخْبِرُكُمْ بِالْحَيٰوةِ
اَلْأَبَدِيَّةِ ٱلَّتِى كَانَتْ عِنْدَ ٱلْآبِ وَأُظْهِرَتْ لَنَا .ٱلَّذِى رَأَيْنَاهُ
وَسَمِعْنَاهُ نُخْبِرُكُمْ بِهِ لِكَىْ يَكُونَ لَكُمْ أَيْضًا شَرِكَةٌ مَعَنَا .
وَأَمَّا شَرِكَتُنَا نَحْنُ فَهِىَ مَعَ ٱلْآبِ وَمَعَ ٱبْنِهِ يَسُوعَ ٱلْمَسِيحِ .
وَنَكْتُبُ إِلَيْكُمْ هٰذَا لِكَىْ يَكُونَ فَرَحُكُمْ كَامِلاً .

(رسالة يوحنا الأولى ١ : ١ - ٤)

عندما يجلس شخص لكتابة رسالة ، أو يقف لإلقاء عظة ، لا بدأن يكون فى ذهنه شىء ما . يرغب فى أن يقوله . كما أنه لا بد وأن يكون راغباً فى إحداث شىء من التأثير ، فى قلوب وعقول أولئك الذين يوجه إليهم رسالته أو عظته . وهنا فى بدء رسالته . يضع « يوحنا » أمامنا . الهدف الذى يرمى إليه ، من الكتابة إلى شعبه :

١ – إنه يرغب فى أن تكون لهم شركة مع الناس ومع الله (عدد ٣) . وكل واعظ ومعلم ، يود على الدوام ، أن يجعل الناس أكثر التصاقاً ببعضهم البعض ، وأكثر قرباً إلى الله . وكل رسالة تدعو إلى الإنشقاق ، ليست سوى رسالة زائفة . فالراعى دائماً يرغب فى قيادة الناس إلى حياة الشركة مع بعضهم البعض ، ومع الله . ويمكن أن نوجز الرسالة المسيحية فى هدفين اثنين لا حدود لعظمتهما . هذان الهدفان هما : محبة الناس ، ومحبة الله .

٢ – إنه يرغب فى أن يمتع شعبه بالفرح (عدد ٤) ، فهو يكتب إليهم لكى يكون فرحهم كاملا . والفرح هو جوهر المسيحية . وقد توقفت فى منتصف الطريق ، كل رسالة تبث روح الوهن واليأس فى نفوس سامعيها . حقاً إنه من أهم أهداف الواعظ والمعلم ، أن يثير فى نفوس سامعيه ، مشاعر الحزن الروحى ، التى تقودهم فى النهاية إلى توبة حقيقية ، وبعد أن يوقظ فيهم هذا الشعور بالاحتياج العميق ، عليه أن يقودهم إلى حيث يجدون ما يملأ احتياجهم ، وبعد أن يتولد فيهم الإحساس بالندم والحزن على الخطية ، عليه أن يقود الناس إلى المخلص ، الذى فيه يجدون غفراناً لكل خطاياهم ، وهكذا يكون الفرح هو خاتمة المطاف للرسالة المسيحية .

٣ – لكى يصل « يوحنا » بشعبه إلى الفرح ، قصد أن يضع أمامهم « يسوع المسيح » . وهناك واعظ قدير ، اعتاد أن يقول لطلبته وهو يحاضرهم فى معهد اللاهوت ، إنهم كوعاظ ، عليهم أن يجعلوا هدفهم ، تقديم كلمة طيبة عن « يسوع المسيح » ، كما قيل عن أحد القديسين ، إنه كلما كان يبدأ فى التحدث مع أحد ، سرعان ما كان يحول مجرى الحديث ، إلى كلام عن « يسوع المسيح » .

وهذه هى الحقيقة بمنتهى البساطة : إذا ما أراد الناس أن تكون لهم شركة

مع بعضهم البعض ، ومع الله ، وإذا ما شاءوا أن يجدوا الفرح الحقيقى ، فإنهم لن يجدوا شيئاً من هذه إلا فى « يسوع المسيح » .

حق الراعى فى الكلام

فى بدء رسالته ، يتحدث « يوحنا » عن حقه فى الكلام ، وهذا الحق يكفله له أمر واحد ، هو اختباره الشخصى ليسوع المسيح (عدد ٢ و ٣) .

١ – يقول « يوحنا » إنه قد سمع المسيح ، وقديماً قال « صدقيا » لإرمياء : « هل توجد كلمة من قبل الرب » (ارمياء ٣٧ : ١٧) . فالناس لا يجدون لذة فى أفكارنا أو آرائنا الشخصية ، لكنهم يجدونها فى كلمة الله ، وقد قيل عن أحد كبار الوعاظ ، إنه كان يصغى أولا إلى الله ، ثم بعد ذلك يتكلم إلى الناس ، و« جون براون » الذى من هادنجتون ، قيل عنه إنه فى أثناء وعظه ، كان يتوقف عن الوعظ ، ويصمت أكثر من مرة ، وكأنه كان يصغى إلى صوت ما . فالمعلم الحقيقى ، شخص يحمل رسالة من « يسوع المسيح » ، لأنه قد سمع صوته .

٢ – يقول « يوحنا » كذلك ، إنه رأى المسيح ، وقد قيل عن الواعظ « الكساندر هوايت» ، إنه بعد أن قدم عظة قوية ذات يوم ، جاءه أحدهم يقول : « لقد وعظتنا اليوم ، وكأنك قادم للتو من الحضرة الإلهية » ، فأجابه هوايت : « ربما أكون قد فعلت » . ونحن ، وإن كنا لا نستطيع أن نرى يسوع بالعيان كما رآه « يوحنا » ، إلا أننا نستطيع أن نراه بالإيمان . . . .

وكم هو حلو عطوف رقيـــق
يعين ويرثى لنـــا فى الطريـــق
لهـــذا نسير بـــــه واثقـــين

وملء الفــؤاد هوى وحنــين
ابحـر الجليــل وجبل الزيتــون
وأرض بهــا عاش فاد حنــون

٣ — يقول « يوحنا » إنه قد ثبت نظره فى المسيح ، فما هو الفرق بين رؤية المسيح وبين تثبيت النظر فيه ؟ الفعل اليونانى الذى يفيد معنى النظر هو « هوران » ، وهو يفيد مجرد الرؤية بالنظر الطبيعى والعين الطبيعية ، بينما الفعل اليونانى الذى يعنى التأمل . يشير إلى إطالة النظر إلى شخص أوشىء ما ، حتى يتم استخلاص شىء ، مما يعنيه هذا الشخص . أو الشىء ، أو الصفات المميزة له ، عن طريق هذا التأمل . وهذا هو عين ما كان يقصده « يسوع » ، عندما سأل الجموع : « ماذا خرجتم إلى البرية لتنظروا ؟ » (لوقا ٧ : ٢٤) . إنه استخدم فى هذا السؤال ، الفعل الذى يفيد معنى التأمل ، وهو بهذا يقدم لنا وصفاً للطريقة التى كانت الجموع قد خرجت بها ، لكى تنظر ملياً ، وبدهشة ، إلى « يوحنا المعمدان » ، ثم ليسألوا أنفسهم . وليسأل كل منهم الآخر : « من هو هذا الرجل ، وماذا يكون ! ؟ » .

وفى مقدمة بشارته ، يشير « يوحنا » إلى « يسوع » بالقول : « رأينا مجده » (بشارة يوحنا ١ : ١٤) . والفعل المستخدم هنا هو أيضاً الفعل الذى يفيد معنى التأمل . فالفكرة هنا ليست مجرد نظرة عابرة ، نظروا بها إلى « يسوع » ، لكنها نظرة ثابتة فاحصة ، ترمى إلى استكشاف شىء من معنى سر المسيح . فالإنسان لا يصير مسيحياً ، عن طريق نظرة خاطفة يلقيها على المسيح ، لكنه يثبت نظره فى شخصه الكريم ، وملء قلبه حب عظيم .

٤ — ثم يقول ، إنه بيديه قد لمس المسيح فعلا ، و « لوقا » يخبرنا كيف أن « يسوع » بعد قيامته من بين الأموات ، جاء إلى تلاميذه وقال لهم :

« أنظروا يدى ورجلى إنى أنا هو » (لوقا ٢٤ : ٣٩) . وهنا يتجه فكر « يوحنا » إلى أولئك الذين كانوا يدعون « الدوكيتيين أو الدوسيتيين » . وقد كانت لهم أفكار متطرفة فى الروحانية دعتهم إلى القول ، بأن « يسوع » لم يكن له فى أى وقت من الأوقات . جسد بشرى من لحم ودم ، لكنه كان مجرد شبح ، يظهر ويتراءى فى هيئة إنسان ، كما أنهم رفضوا التسليم ، بأن الله الذى هو روح صرف . يمكن أن يشوه ذاته ، ويأخذ لنفسه جسداً . فيوحنا هنا ، يصر على أن « يسوع » الذى قد عرفه . كان فى الحقيقة رجلا بين الرجال ، وكما سنرى فيما بعد ، لم يكن « يوحنا » يعتبر أن هناك ما هو أكثر خطراً ، من الشك فى أن « يسوع » كان إنساناً تاماً .

رسالة الراعى

لقد كان يسوع هو موضوع رسالة « يوحنا » . الذى كانت لديه ثلاثة أشياء عظيمة يقولها عنه :

(أولا) يقول « يوحنا » إن « يسوع » كان « منذ البدء » . ومعنى هذا أن الأبد قد دخل إلى الزمن فى شخص « المسيح يسوع » . وأنه فيه ، قد دخل الإله الأزلى شخصياً إلى دنيا البشر .

(ثانياً) يصر « يوحنا » على أن هذا الدخول الإلهى إلى دنيا البشر . كان دخولا حقيقياً ، كما يصر على أن الله قد أخذ لذاته بشرية حقيقية ، وأنه قد صار إنساناً بحسب المعنى الحرفى للكلمة .

(ثالثاً) عن طريق هذا العمل . جاءت إلى البشر كلمة الله ، تلك الكلمة التى هى حياة . والتى تأتى بالحياة . الكلمة التى تستطيع أن تحيل الموت حياة . ومجرد الوجود ، تحيله حياة حقة . و « يوحنا » هنا يدعو رسالة

الإنجيل « كلمة الحياة » ، ومراراً وتكراراً فى أسفار العهد الجديد ، يدعى الإنجيل « كلمة » ، وإنا لنجنى فائدة عظمى ، إذا رجعنا إلى القرائن المختلفة فى المواضع التى استخدمت فيها هذه الكلمة :

١ – رسالة الإنجيل تدعى « كلمة الله» أكثر من أى شىء آخر (أعمال الرسل ٤ : ٣١ ، ٦ : ٢ و ٧ ، ١١ : ١ ، ١٣ : ٥ ، ٧ : ٤٤ ، ١٦ : ٣٢ ، رسالة فيلبى ١ : ١٤ ، الرسالة الأولى إلى تسالونيكى ٢ : ١٣ ، رسالة العبرانيين ١٣ : ٧ ، رؤيا ١ : ٢ ، ٩ ، ٦ : ٩ ، ٢٠ : ٤) . فكلمة الإنجيل ليست من اكتشاف بشرى ، كما أنها ليست حصيلة الفكر البشرى ، وهى أيضاً ليست من نسج الخيال ، إنما هى كلمة تأتى من الله ، وتتحدث عنه . إنها أخبار من الله ، لم يكن فى وسع الإنسان أن يكتشفها لنفسه .

٢ – كثيراً ما يدعى الإنجيل « كلمة الرب » (أعمال الرسل ٨ : ٢٥ ، ١٢ : ٢٤، ١٣ : ٤٩، ١٥ : ٣٥ ، الرسالة الأولى إلى تسالونيكى ١ : ٨ ، تسالونيكى الثانية ٣ : ١) . ولا يمكننا البتة أن نحدد المقصود بالرب ، وهل هو « الله » أم « يسوع » ، لكن « يسوع » هو المقصود بهذا اللقب فى الأغلب الأعم ، وعلى هذا يكون الإنجيل هو « كلمة الله » التى جاءت إلى البشر فى « يسوع المسيح » . إن الإنجيل رسالة من « الله » ، لم يكن ممكناً أن تأتى من الله إلى البشر إلا عن هذا الطريق ، فى ابنه .

٣ – مرتين تدعى « كلمة الإنجيل » ، « كلمة الخبر » (تسالونيكى الأولى ٢ : ١٣ ، رسالة العبرانيين ٤ : ٢٢) ، وهذا يعنى أن كلمة الإنجيل تعتمد على أمرين : صوت مستعد للنطق بها ، وأذن مستعدة للإصغاء إليها .

٤ – « رسالة الإنجيل » هى « كلمة الملكوت » (متى ١٣ : ١٩) ،

فهى إعلان عن سلطان الله كملك ، ودعوة الناس لإطاعته والخضوع له ، لكى يصيروا رعايا فى ذلك الملكوت .

٥ ــ رسالة الإنجيل هى « كلمة الإنجيل » (أعمال الرسل ١٥ : ٧ ، كولوسى ١ : ٥) ، وكلمة « إنجيل » معناها « الأخبار السارة » ، والإنجيل أساساً هو أخبار سارة عن الله ، مبلغة للانسان .

٦ ــ الإنجيل هو « كلمة النعمة » (أعمال الرسل ١٤ : ٣ ، ٢٠ : ٣٢) فالإنجيل هو الأخبار السارة ، التى تتحدث عن محبة الله العظمى للإنسان ، هذا الإنسان الذى لا يستحق هذه المحبة . إنه الأخبار التى تقول ، إن الإنسان لم يعد ملتزماً بالقيام بما هو فوق طاقته ، لكى يحظى بمحبة الله له ، لأن هذه المحبة تقدم له مجاناً وبلا مقابل .

٧ ــ الإنجيل هو « كلمة الخلاص » (أعمال الرسل ١٣ : ٢٦) فالإنجيل هو تقديم الصفح عن خطايا الأمس ، وقوة للإنتصار على خطايا الغد ، كما أنه عتق وتحرير من سلطان الخطية وقوتها .

٨ ــ الإنجيل هو « كلمة المصالحة » (كورنثوس الثانية ٥ : ١٩) فهو الرسالة التى تعلن أنه فى « يسوع المسيح » ، قد تمت إعادة العلاقات التى كانت مقطوعة بين الإنسان وبين الله ، فالإنجيل هو المعول الذى يهدم الحاجز ، الذى أقامته الخطية بين الإنسان وبين الله .

٩ ــ الإنجيل هو « كلمة الصليب » (كورنثوس الأولى ١ : ١٨) فى قلب الإنجيل ، نجد الصليب ، الذى يقدم لنا الدليل الحاسم ، على محبة الله العاملة ، الغافرة ، والمضحية .

١٠ ــ الإنجيل هو « كلام الحق » (كورنثوس الثانية ٦ : ٧ ، رسالة أفسس ١ : ١٣ ، كولوسي ١ : ٥ ، تيموثاوس الثانية ٢ : ١٥) ، وما دام الإنجيل قد وجد ، فلا مجال للحدس والتخمين ، لأن يسوع قد جاء بالخبر اليقين ، عن الله .

١١ ــ الإنجيل هو « كلام البر » (عبرانيين ٥ : ١٣) ، فبقوة الإنجيل يستطيع الإنسان أن يتحرر من قوة الشر ، وينطلق في طريق البر ، الذي هو مرضي عند الله .

١٢ ــ الإنجيل هو « الكلام الذي يهب الصحة » (تيموثاوس الثانية ١ : ١٣ ، ٢ : ٨) . فالإنجيل هو الترياق الشافي من سم الخطية ، والدواء الناجع ، الذي يقهر داء الشر الوبيل .

١٣ ــ الإنجيل هو « كلمة الحياة » (فيلبي ٢ : ١٦) ، فبقوته ينجو الإنسان من الموت ، ويدخل الحياة ، في أفضل صورها وحالاتها .

الله نور

وَهٰذَا هُوَ ٱلْخَبَرُ ٱلَّذِي سَمِعْنَاهُ مِنْهُ وَنُخْبِرُكُمْ بِهِ إِنَّ ٱللّٰهَ نُورٌ وَلَيْسَ فِيهِ ظُلْمَةٌ ٱلْبَتَّةَ .

(رسالة يوحنا الأولى ١ : ٥)

إن السلوك الشخصي للإنسان ، يرتبط بالضرورة بالإله الذي يعبده هذا الإنسان ، ولهذا يبدأ « يوحنا » حديثه بالكلام عن طبيعة الإله ، الذي هو إله وأبو ربنا يسوع المسيح ، والذي يعبده جميع المسيحيين ، ويقول إن

« الله نور وليس فيه ظلمة البتة » : فما الذى يقوله لنا هذا التعبير عن الله ، حال كونه نوراً ؟

١ ـ يخبرنا « يوحنا » بأن الله بهاء ومجد ، لأنه لا يوجد ما يضاهى بهاء شعاع من النور ، حين يلمع فى جوف الظلام . كما أنه لا يوجد شىء ، يتعذر الاقتراب منه ، مثل النور اللامع الملتهب . فعندما يقول « يوحنا » إن الله نور ، فإنه بهذا يريد أن يعبر عن جلال الله ، ويصور لنا روعة بهاء مجده

٢ ـ كذلك يخبرنا بأن الله إله معلن لذاته . فالنور يرى أكثر من أى شىء آخر . وإنه لمن أخص الخواص التى يتميز بها النور ، أنه ينشر ذاته بذاته ، لدرجة أنه يضىء كل ما حوله من ظلام . فالقول بأن الله نور ، يعنى أنه لا يوجد فى الله شىء مبهم أو مخفى ، أو مستوجب الكتمان والإخفاء . إن الله يرغب فى أن يراه ويعرفه كل الناس .

٣ ـ كما أنه يحدثنا أيضاً ، عن طهر الله وقداسته . فالنور الأبيض ، يشير إلى الطهارة الباهرة ، وليس فى الله ظلمة ، تشير إلى وجود شر مخيف فى الله ، كما أنه لا توجد فيه ظلال لتلك الأشياء التى يخشاها النور . والقول بأن الله نور ، يحدثنا عن القداسة الكاملة ، والطهر التام ، الذى لإلهنا كلى القداسة .

٤ ـ بالإضافة إلى ما سلف ، يخبر « يوحنا » عن قيادة الله ، فالقيادة والإرشاد ، من المهام الكبرى التى يقوم بها النور ، الذى يجعل الطريق سهلا . فالنور هو الذى يرشدنا إلى الطريق التى نسلكها . والنور البعيد الرابض هناك ، بعيداً عند خط الأفق ، هو الذى يهدى خطوات أولئك السالكين فى الظلام ، والطريق المضاء هو الطريق السهل . فعندما يقول الرسول :

« إن الله نور » ، يريد أن يقول ، إن الله هو الإله الذى يرشد البشر ، ويهدى خطواتهم .

٥ — ثم أخيراً ، يتحدث « يوحنا » عما للحضرة الإلهية ، من خاصية كاشفة ، فالنور هو أعظم كاشف ، لأنه يوضح ويظهر ، ويكشف كل العيوب التى يخفيها ويداريها الظلام ، كما أنه يكشف أى عيب قد يكون موجوداً فى أية مادة أو قطعة من المصنوعات التى تنتجها يد الإنسان : وهكذا فى حضرة الله ، يرى كل نقص موجود فى حياة الإنسان ، لأنه لا شىء يخفى عن عينيه ، والظلمة لا تظلم لديه ، على حد تعبير « هويتيير » .

وليس بوسعنا أن ندرك إلى أى عمق يمكن أن تنحدر الحياة ، ولا إلى أى علو يمكنها أن تصل ، فى سموها ورفعتها ، إلا عندما نراها فى نور الله الكاشف

الظلمة المعادية

يقول « يوحنا » إن « الله ليس فيه ظلمة البتة » ، وفى كل أسفار العهد الجديد ، تستخدم الظلمة للإشارة إلى ما هو مضاد للحياة المسيحية ، فهى تشير إلى كل ما يجب أن تخلو منه حياة المسيحى ، وكل ما لا يجب أن تكونه هذه الحياة :

١ — الظلمة تشير إلى الحياة التى لا يوجد فيها المسيح ، أو الحياة التى كان يحياها المسيحى ، قبل أن يتقابل مع المسيح ، أو الحياة التى يحياها عندما يبتعد عن المسيح . و « يوحنا » يكتب قائلا : الآن . . وقد جاء المسيح ، « الظلمة قد مضت والنور الحقيقى الآن يضىء » (ص ٢ : ٨) ، وبولس يقول لأحبائه المسيحيين ، إنهم « كانوا قبلا ظلمة لكنهم الآن نور فى الرب »

(أفسس ٥ : ٨) ، كما يقول أيضاً إن « الله أنقذنا من سلطان الظلمة ونقلنا إلى ملكوت ابن محبته » (كولوسي ١ : ١٣) ، والمسيحيون « ليسوا من ظلمة » ، لأنهم « أبناء نهار » (تسالونيكي الأولى ٥ : ٤ و ٥) ، ومن يتبع المسيح ، لا يسير فى الظلمة كالآخرين بل « يكون له نور الحياة » (بشارة يوحنا ٨ : ١٢) ، وقد دعا الله المسيحيين « من الظلمة إلى نوره العجيب » (رسالة بطرس الأولى ٢ : ٩) .

فالظلمة فى العهد الجديد ، تشير باستمرار ، إلى الحياة بدون المسيح ، وبدون الله .

٢ — الظلمة ضد النور ومعادية له ، وفى مقدمة بشارته ، يكتب « يوحنا » « النور يضيء فى الظلمة ، والظلمة لم تدركه » (بشارة يوحنا ١ : ٥) . وهذا يصور لنا كيف أن الظلمة ، تحاول أن تطمس النور وتبدده ، لكنها لا تقدر أن تغلبه . فالنور والظلام خصمان لا يتفقان بطبيعتهما ، ولا مفر من قيام العداوة بينهما .

٣ — الظلمة تشير إلى الجهل ، الذى تتسم به الحياة بعيداً عن المسيح ، و «يسوع » يحرض أحباءه على السير فى النور ، لئلا يدركهم الظلام ، لأن الذى يسير فى الظلام لا يعرف إلى أين يذهب . (بشارة يوحنا ١٢ : ٢٥) . ويسوع هو «النور الذى جاء ، حتى كل من يؤمن به لا يسير فى الظلمة» (بشارة يوحنا ١٢ : ٤٦) . فالظلمة تشير إلى الجهل ، والتلمس الأعمى ، والضياع ، الذى يصيب الحياة التى يقضيها صاحبها ، بعيداً عن المسيح .

٤ — الظلمة تشير إلى الاضطراب ، الذى يكون عنواناً للحياة البعيدة عن الله ، و « بولس » ، حين يتفكر فيما عمله الله فى بدء الخليقة ، يقول :

« الذى قال أن يشرق نور من ظلمة » (كورنثوس الثانية ٤ : ٦) فالعالم ، بغير نور الله ، اضطراب ، وتشويش ، وفراغ ، وخراب ... فراغ بغير نظام ، تجرى فيه الحياة إلى غير هدف ، وبلا أى ضابط .

٥ ــ الظلمة تشير إلى الحياة اللاأخلاقية ، البعيدة عن المسيح ، ولقد أعلن « بولس » عن رغبته ، فى أن يخلع الناس « أعمال الظلمة » (رسالة رومية ١٣ : ١٢) ، لكن بسبب أعمالهم الشريرة ، « أحب الناس الظلمة أكثر من النور » (بشارة يوحنا ٣ : ١٩) . فالظلمة تشير إلى الحياة الفاسدة الشريرة ، البعيدة عن المسيح ، تلك الحياة المليئة بأشياء ، لا تقوى على البقاء والاستمرار فى نور النهار ، لهذا تجدها تفتش عن الظلال ، التى يمكن أن تتوارى وتختفى خلفها .

٦ ــ الظلمة تشير إلى الحياة العقيمة غير المثمرة ، ويحدثنا « بولس » ، عن « أعمال الظلمة غير المثمرة » (رسالة أفسس ٥ : ١١) ، ولو أننا حجبنا النور عن نبات مثمر ، فإننا لا نلبث أن نلاحظ أن هذا النبات قد توقف عن النمو . فالظلمة هى الجو غير المسيحى ، الذى لا ينمو ، ولا يوجد فيه شىء من ثمر الروح .

٧ ــ الظلمة دائماً تقترن بالكراهية ، فإن أبغض أحد أخاه ، كان هذا دليلا على أنه لا يزال فى الظلمة (رسالة يوحنا الأولى ٢ : ٩ ــ ١١) . إن الحب هو ضوء الشمس ، أما البغض فظلام ، بل هو الظلام الدامس .

٨ ــ الظلمة هى المأوى الأخير لأعداء المسيح ، والمثوى الأخير لكل من لا يقبله ، والمسيحى والمسيح ، كلاهما يصارعان « مع الرؤساء والسلاطين ولاة العالم على ظلمة هذا الدهر » (رسالة أفسس ٦ : ١٢) . فالخطاة ،

والأئمة العصاة ، الذين لا يتخلون عن عصيانهم ، « محفوظ لهم قتام الظلام » (رسالة بطرس الثانية ٢ : ٩ ، رسالة يهوذا ١٣) . والظلمة على الدوام ، هي حياة الإنفصال عن الله .

وجوب السير في النور

إِنْ قُلْنَا إِنَّ لَنَا شَرِكَةً مَعَهُ وَسَلَكْنَا فِي ٱلظُّلْمَةِ نَكْذِبُ وَلَسْنَا نَعْمَلُ ٱلْحَقَّ . وَلَكِنْ إِنْ سَلَكْنَا فِي ٱلنُّورِ كَمَا هُوَ فِي النُّورِ فَلَنَا شَرِكَةٌ بَعْضِنَا مَعَ بَعْضٍ وَدَمُ يَسُوعَ ٱلْمَسِيحِ ٱبْنِهِ يُطَهِّرُنَا مِنْ كُلِّ خَطِيَّةٍ .

(رسالة يوحنا الأولى ١ : ٦ — ٧)

هنا يهاجم « يوحنا » إحدى الهرطقات ، وأسلوباً من أساليب التفكير المنحرف . فقد كان هناك أناس يدعون بأنهم يتميزون بالسمو العقلي والروحي ، مع أن حياتهم العملية ، ليس فيها دليل واحد ، يؤيد صحة هذا الإدعاء أو يؤكده . هؤلاء كانوا يقولون ، إنهم قد قطعوا شوطاً بعيداً في طريق المعرفة ، لدرجة جعلت الخطيئة ، غير ذات موضوع بالنسبة لهم ، كما ادعوا بأنهم قد بلغوا من الروحانية ، مستوى جعلهم لا يحسبون للخطيئة أي حساب . وقد أعلن هؤلاء أيضاً ، أنهم قد أصبحوا في حل من كل القوانين ، تلك القوانين التي قال عنها « نابليون » ، إنها لم توضع لأمثاله من العظماء ، وأنها إنما وضعت لعامة الشعب فقط ، ولم يكتف هؤلاء الهراطقة بما قاله « نابليون » ، بل تمادوا ، ونادوا ، بأنهم حتى إذا أخطأوا ، فإن هذا

لا يهم

و « كليمندس السكندرى » الذى ظهر بعد ذلك بزمان ، قال إنه فى أيامه ، كانت هناك جماعة من الهراطقة ، تقول بأنه لا أهمية على الإطلاق ، لأسلوب الحياة التى يحياها الإنسان . وبأنه ليس هناك ما يوقع ضرراً ما ، بأى إنسان ، إذا كان هذا الإنسان « روحياً بالحق » .

وقال « إيرينايوس » . إن أولئك أعلنوا . أنه أياً كانت الأعمال ، التى يعملها من كان روحياً بالحق ، فلن يضيره منها شىء ، أو يجعله يتأثر أو يتعثر . وهذا الاعتقاد ، حدا بأولئك القوم إلى القول ، بأنهم قد بلغوا من التفوق والسمو ، حداً لم تعد فيه الخطيئة تهمهم ، بأى شكل من الأشكال .

وللرد على هذه الادعاءات . يركز « يوحنا » على عدة أمور :

١ — يركز على أنه يجب على الإنسان أن يسلك فى النور ، إذا ما أراد أن تكون له شركة مع الله ، كما يؤكد أن هذا الإنسان ، لن تكون له شركة مع الله ، طالما كان سائراً فى الظلمة الروحية . وطالما كان يعيش بدون المسيح . وهذا هو عين ما كان العهد القديم قد قاله ، قبل ذلك بقرون ، إذ قال الله : « تكونون قديسين لأنى قدوس الرب إلهكم » (لاويين ١٩ : ٢٠ ، ٢٠ : ٧ و ٢٦) .

وكل من كان يرغب فى أن تكون له شركة مع الله ، كان عليه أن يحيا حياة صالحة تعكس صلاح الله . وقد عرف أحدهم الكنيسة ، بأنها جماعة من الناس ، تؤمن بإله كلى الصلاح ، ويقبل أعضاؤها الإلتزام بأن يكونوا صالحين مثله . وهذا لا يعنى بالضرورة ، أنه ينبغى أن يبلغ الإنسان درجة الكمال التام ، قبل أن تكون له شركة مع الله ، لأنه لو كان الأمر كذلك ، لما استطاع واحد منا ، أن تكون له هذه الشركة لكن المعنى المقصود ، هو

أن يظل الإنسان طوال حياته، حريصاً على الوفاء بالتزاماته وتعهداته، ويبذل جهده للوفاء بها ، ويغمره الإحساس بالندم ، إذا ما فشل فى الوفاء بهذه الإلتزامات والتعهدات . ومعنى هذا ، أنه لن يتطرق إلى ذهنه البتة ، الفكر القائل بأن الخطيئة لا تهم ، بل على النقيض من هذا تماماً ، كلما ازداد الإنسان قرباً من الله ، ازداد إحساسه بشناعة الخطيئة وبشاعتها .

٢ ــ كما يصر « يوحنا » على أن أصحاب هذا الفكر الخاطئ المنحرف ، لديهم فكرة خاطئة عن الحق ، فيقول إنه إذا كان هؤلاء القائلون بأنهم قد أحرزوا قدراً خاصاً من الرفعة والسمو ، لازالوا سائرين فى الظلمة ، فإنهم يكونون عندئذ ، غير عاملين الحق . وهذا التعبير عينه ، استخدمه « يوحنا » فى بشارته ، عندما تحدث عمن يعمل الحق (انظر بشارة يوحنا ٣ : ٢٠) وهذا يعنى أن الحق بالنسبة للمسيحى ، ليس هو الحق العقلى أو النظرى فقط ، لكنه الحق العملى أيضاً ، فالحق ليس شيئاً تقتصر ممارسته على العقل وحده ، لكنه ممارسة عامة يشترك فيها كيان الإنسان كله . والحق لا يقف عند حد مجرد الاكتشاف النظرى للحق ، لكنه حياة عملية يحياها الإنسان بمقتضى هذا الحق . كما أن الحق ليس هو التفكير وحده ، بل هو العمل . والعهد الجديد ، عند إشارته إلى الحق ، يستخدم كلمات لها دلالتها ومغزاها ، فيتحدث عن « حجز الحق » (رومية ١ : ١٨) ، « مطاوعة الحق » (رومية ٢ : ٨ وغلاطية ٣ : ٧) ، « السلوك حسب الحق » (غلاطية ٢ : ١٤ ، رسالة يوحنا الثالثة ٤) ، « مقاومة الحق » (تيموثاوس الثانية ٣ : ٨) ، « الضلال عن الحق » (يعقوب ٥ : ١٩) .

وهناك ما يمكن أن ندعوه « مسيحية حلقة البحث » أو « مسيحية المائدة المستديرة » ، وربما كانت هذه جماعة تنظر إلى المسيحية ، على أنها

مجموعة مشاكل عقلية ، ينبغى التوصل إلى حلول لها ، وربما كان الكتاب المقدس فى نظر هؤلاء ، كتاباً يجب جمع المعلومات التوضيحية عنه . أما المسيحى ، فيعتبر المسيحية شيئاً ينبغى اتباعه ، والكتاب المقدس فى نظره ، كتاب يجب أن تطاع تعاليمه ، وإنه لمن أقرب الاحتمالات : أن يسير التفوق العقلى ، جنباً إلى جنب مع الفشل الروحى ؛ ولكن الحق عند المسيحى ، أمر يجب أن يتم اكتشافه أولا ، ثم بعد ذلك يكون لزاماً عليه أن يتبع هذا الحق .

مِحَكَّات الحق

يرى « يوحنا » ، أن هناك محكين اثنين ، لاختبار الحق وامتحانه :

١ ــ الحق هو الذى يولد الشركة ، فإذا كان الناس سائرين حقاً فى النور ، فلا بد أن تكون لهم عندئذ ، شركة مع بعضهم البعض . والإيمان الذى يفصل بين الإنسان ، وبين رفاقه الآخرين ، لا يمكن أن يكون إيماناً مسيحياً حقيقياً ، ولا يمكن لكنيسة ، أن تكون كنيسة المسيح ، وهى تغلق أبوابها فى وجوه الآخرين . فالشركة هى محك الاختبار ، لحقيقة وجود الحق ، ولا يمكن أن يكون حقاً على الإطلاق ، ذاك الذى يقف فى وجه حياة الشركة بين الجماعة .

٢ ــ كل من يعرف الحق بالفعل ، لا بد وأن ينال بمرور الوقت ، تطهيراً أكثر من خطاياه ، بدم يسوع المسيح ، وترجمة الكتاب المقدس المعروفة بالـ A. V. تورد هذا النص هكذا : « دم يسوع المسيح يطهرنا من كل خطية » ، وهذه الترجمة أقرب إلى الصواب من غيرها من الترجمات ، إلا أنه من الممكن أن يساء فهمها بسهولة باعتبارها تقرر مبدأ عاماً ، مع أنها

لا تفعل ذلك . فهى تشير إلى ما يجب أن يتم فى حياة إنسان بعينه ، فالمعنى المقصود هنا ، هو أنه طوال الوقت ، ويوماً بعد يوم ، وبثبات واستمرار ، يجب أن يقوم دم « يسوع » بصفة منتظمة ، بتطهير الحياة الشخصية الفردية لكل مسيحى .

والكلمة اليونانية المستخدمة للإشارة إلى التطهير ، كلمة طقسية وشعائرية ، كانت تستخدم بوجه عام ، فى وصف الطقوس والممارسات والغسلات ، وما إلى ذلك من الأعمال ، التى كان الإنسان يعتقد أنها تؤهله للإقتراب من الآلهة . لكن بعد أن تطورت الأديان ، أصبح للكلمة مدلول أخلاقى ، فأصبحت تعبر عن صلاح الإنسان ، الذى بواسطته يمكنه أن يدخل إلى الحضرة الإلهية . وهكذا يكون « يوحنا » قد قصد إلى القول : « إن كنتم بالفعل تعرفون ما عملته ذبيحة المسيح ، وإن كنتم قد اختبرتم حقاً قوته ، فلا بد أن كل يوم يمر ، يضيف إلى حياتكم محبة فوق محبة ، وطهراً على طهر ، وهكذا يوماً بعد يوم ، تصبحون أكثر أهلية واستعداداً ، للدخول إلى الحضرة الإلهية » ، وهذا فى الحقيقة إدراك عظيم ، لأنه ينظر إلى ذبيحة المسيح ، ليس فقط على أنها تطهر من الخطايا السالفة ، لكنها أيضاً تمد الإنسان ، وتزوده بالطهارة من يوم إلى يوم .

وهنا نجد ذواتنا ، أمام مفهوم دينى له اعتباره ، فالديانة الحقة ، هى الوسيلة التى بها يتقدم الإنسان فى حياته اليومية ، ليصير أكثر التصاقاً برفاقه ، وبإلهه أيضاً . إن الديانة هى مصدر الشركة مع الله ، ومع الناس ، وهما مرتبطتان معاً على الدوام ، ولا يمكن لإحداهما ، أن توجد منفصلة عن الأخرى .

الأكذوبة المثلثة

أربع مرات فى هذه الرسالة ، يوجه « يوحنا » الإتهام الفظيع بالكذب ، لأولئك المعلمين الكذبة ، وأولى هذه المرات نجدها فى الفقرة التى تدور حولها تأملاتنا الآن .

١ — الذين يدعون أن لهم شركة مع الله . الذى هو نور كله ، لكنهم مع ذلك يسيرون فى الظلمة ، هؤلاء يكذبون (عدد ٦) . بعد ذلك بقليل ، يكرر « يوحنا » هذا الكلام عينه مع اختلاف طفيف : « من قال إنى قد عرفت الله وهو لا يحفظ وصاياه فهو كاذب » (ص ٢ : ٤) ، وهنا يؤكد «يوحنا»الحقيقة المرة القائلة : بأن الإنسان يكون كاذباً ، إذا كانسلوكه لا يطابق مركزه ، فالشخص الذى يظهر بمظهر يختلف عن حقيقة واقعه ، هو شخص كاذب . ويوحنا عندما يقول هذا الكلام ، لا يقصد به الشخص الذى يبذل كل جهده،لكنه غالباً ما يفشل ، كما أنه لا يقصد كذلك الشخص الذى يحب يسوع المسيح محبة حقيقية ، لكنه فى أعماقه ، يحس بأن حياته ، بعيدة كل البعد ، عن التعبير عن المحبة التى يكنها لسيده . و « هـ . ح . ويلز » يقول : « قد لا يكون الإنسان موسيقياً بارعاً ، لكنه مع ذلك يحب الموسيقى حباً عارماً » ، وبنفس القياس ، قد يشعر الإنسان شعوراً عميقاً بالفشل ، لكنه رغم هذا ، يحب المسيح وطريقه حباً جماً .

إن « يوحنا » يقصد الإشارة إلى الشخص الذى يركز تركيزاً كلياً على المعرفة العقلية ، والتفوق الذهنى ، والروحانية ، ولكنه فى الوقت عينه ، يسمح لنفسه ، بالإقدام عامداً متعمداً ، على ارتكاب أفعال ، يعلم علم اليقين أنها ممنوعة ومحرمة . وكل من يقول ، إنه يحب المسيح ، ثم يخالفه عن قصد ، كل من يفعل هذا ، يعتبر مرتكباً لجريمة الكذب .

٢ – « كل من ينكر أن يسوع هو المسيح هو كاذب » (ص ٢ : ٢٢) ، وهذه حقيقة تشترك فى تقريرها كل أسفار العهد الجديد . فموقف الإنسان من « يسوع المسيح » ، هو محك الإختبار الأول والأخير . والسؤال الفاحص لأعماق الذات ، الذى يوجهه « يسوع » لكل إنسان ، هو : « وأنت . . . من تقول إنى أنا ؟ » (بشارة متى ١٦ : ١٣) . وأى شخص يواجهه المسيح بهذا التحدى ، لا يمكن إلا وأن يرى ما فيه من عظمة ، فإن أنكر ، فإنه عندئذ يكون من الكاذبين ، لأنه رفض أن يعترف ، حتى بينه وبين نفسه ، ويقر بتفوق المسيح ، وسموه ، بل وتفرده .

٣ – « من قال إنى أحب الله وهو فى نفس الوقت يبغض أخاه فهو كاذب » (ص ٤ : ٢٠) . فمن يبغض أخاه ، لا يمكن أن تتوفر فيه محبة الله ، فاذا ما أبغض الإنسان إخوانه ، أو إذا اختلف شعوره نحوهم ، من شخص إلى آخر ، أو إن أحس فى قلبه ، بأى شعور بالمرارة والسخط ، نحو شخص ما ، كان هذا دليلا على أنه هو ، لا يحب الله محبة حقيقية كاملة . فلا جدوى من إعلاننا ، وتأكيدنا ، بأننا نحب الله والمسيح ، حباً قلبياً ، إذا كان فى قلوبنا بغض لأى إنسان .

خداع الخاطىء لنفسه

إنْ قُلْنَا إنَّهُ لَيْسَ لَنَا خَطِيَّةٌ نُضِلُّ أَنْفُسَنَا وَلَيْسَ ٱلْحَقُّ فِينَا . إنِ ٱعْتَرَفْنَا بِخَطَايَانَا فَهُوَ أَمِينٌ وَعَادِلٌ حَتَّى يَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَيطَهِّرَنَا مِنْ كُلِّ إِثْمٍ . إنْ قُلْنَا إنَّنَا لَمْ نُخْطِئْ نَجْعَلَهُ كَاذِباً وَكَلِمَتُهُ لَيْسَتْ فِينَا .

(رسالة يوحنا الأولى ١ : ٨ – ١٠)

فى هذه الأعداد ، يواصل « يوحنا » تحليله ، ودحضه ، لأسلوبين آخرين ، من أساليب التفكير المنحرف :

١ ــ أولا : كان هناك أناس يقولون إنه ليست لهم خطية ، وهذا يحتمل أحد معنيين ، فربما كان المقصود ، أناساً يقولون ، إنهم غير مسئولين عن خطيتهم ، وإنه لمن أسهل الأمور ، أن نجد الإنسان مشجباً يعلق عليه أخطاءه ، وتحصينات يتخفى وراءها ، مثل الحالة الطبيعية . وعوامل الوراثة والبيئة المحيطة ، والطباع ، أو القول بأن شخصاً ما قد أثارنا ، واضطرنا للخروج عن جادة الصواب ، وجميعنا لدينا خاصية البحث عن وسيلة للتنصل من مسئوليتنا عن خطايانا .

أو ربما كان « يوحنا » ، يشير بذلك إلى الشخص الذى يقول إنه لا تؤثر عليه الخطية ، وأنه بوسعه أن يفعل الخطيئة ، دون أن يضره هذا بشيء ، ويصر على أنه يمكنه أن يفعل كل ما يحلو له ، ويرتكب كل الخطايا ، صغائرها والكبائر بلا استثناء .

هنا نجد تركيز « يوحنا » ، على أنه إن أخطأ أحد ، فان ما يورده من حجج أو تبريرات أو اعتذارات ، لن تنفعه شيئاً ، وأن العلاج الوحيد لهذا الموقف ، هو التواضع ، والاعتراف لله بهذه الخطايا ، اعترافاً مصحوباً بالندم ، ثم الاعتراف بهذه الخطايا للآخرين ، إذا دعت الضرورة إلى ذلك .

ثم هناك شيء مدهش آخر يقوله « يوحنا » ، هو أنه فى استطاعتنا ، أن نعتمد على أن الله فى بره ، يصفح عن خطايانا ، إن اعترفنا له بها ، وقد نظن ــ بحسب الظاهر ــ أن الله فى بره وقداسته ، يميل إلى إدانتنا ، أكثر مما يميل إلى تبريرنا ، لكن الواقع ، هو أن الله بسبب بره ، لا يناقض كلمته .

والكتاب المقدس حافل ومشحون ، بالمواعيد الخاصة باعلان رحمة الله ، لكل من يأتي إليه بقلب حزين منسحق ، نادم على خطيته . لقد وعد الله ، بأنه لن يرذل القلب المنسحق أو يحتقره ، ولن يخلف الله وعده ، فمتى جئنا بتواضع وانكسار ، معترفين لله بخطايانا ، يغفر لنا . والحقيقة التى لا يمكن إنكارها ، هى أن كل ما نقدمه من اعتذارات ، ونقوم به من محاولات ، لتبرير أنفسنا ، هذه كلها تبعدنا عن نوال الغفران الإلهى ، لأن الإنسان الذى يأتى إلى الله بقلب ثابت ، هو وحده الذى يحظى بنوال المواعيد الإلهية .

٢ ــ ثانياً : هناك الشخص ، الذى يقول ، إنه فعلا لم يرتكب أية خطية ، وعلى وجه التقريب ، ليس هذا موقفاً شاذاً ، كما قد يتبادر إلى الذهن لأن هناك عدداً لا بأس به من البشر ، يعتقدون بالفعل أنهم لم يخطئوا ، ولهذا تجدهم لا يقبلون مطلقاً ، أن يحسبوا فى عداد الخطاة ، ووجه الخطأ فى قولهم هذا ، راجع إلى اعتقادهم ، بأن الخطية هى ذلك الفعل الذى يراه الجميع ، وتتحدث عنه الصحف ، ناسين أن الخطية هى « عدم إصابة الهدف » ، بحسب المعنى الحرفى للكلمة اليونانية (هامارتيا) . فالإنسان يعتبر خاطئاً ، إذا فشل فى أن يكون أباً ناجحاً ، أو زوجة أو ابنة ناجحة ، أو زوجاً أو إبناً ناجحاً ، أو رجل أعمال ناجحاً . ويعتبر الإنسان خاطئاً ، إذا فشل فى أن يكون واحداً من هؤلاء . وهذه القاعدة تنطبق علينا أجمعين ، وفى كافة الحالات ، كل من يدعى ويقول ، إنه ليست له خطية ، يكون مدعياً بأن الله كاذب ، لأن الله يقول إن الجميع قد أخطأوا .

وهكذا يتهم « يوحنا » ، كل من يقول ، بأنه قد أحرز قصب السبق ، فى المعرفة ، وفى الحياة الروحية ، وأنه قد وصل إلى الدرجة التى فيها ، أصبحت الخطيئة غير ذات موضوع بالنسبة له ، كما يتهم أيضاً كل من

يتنصل من مسئوليته الشخصية عن الخطية ، أو يعتبر ، أنه ليس للخطيئة عليه أى تأثير ، كما أنه يتهم كذلك الشخص الذى لم يتحقق البتة من أنه إنسان خاطئ .

فجوهر الحياة المسيحية ، هو أن نتحقق أولا ، من أننا خطاة ، ثم بعد ذلك ، نتقدم إلى الله لنوال الغفران ، الذى يستطيع أن يمحو الماضى ، والتطهير الذى يستطيع أن يجعل المستقبل جديداً .

الأصحاح الثانى

إهتمام راعٍ

يَا أَوْلَادِى أَكْتُبُ إِلَيْكُمْ هٰذَا لِكَىْ لاَ تخْطِئُوا . وَإِنْ أَخْطَأَ أَحَدٌ فَلَنَا شَفِيعٌ عِنْدَ ٱلْآبِ يَسُوعُ ٱلْمَسِيحُ ٱلْبَارُّ وَهُوَ كَفَّارَةٌ لِخَطَايَانَا . لَيْسَ لِخَطَايَانَا فَقَطْ بَلْ لِخَطَايَا كُلِّ ٱلْعَالَمِ أَيْضًا .

(رسالة يوحنا الأولى ٢ : ١و ٢)

أول ما يسترعى النظر فى هذه الفقرة ، هو بكل تأكيد ، ما تزخر به من عاطفة جياشة . فيوحنا يبدأ كلامه بالنداء « يا أولادى » ، والكلمات المستخدمة ، فى النصين اللاتينى واليونانى ، تشير إلى عاطفة خاصة ، وهى كلمات تستخدم كما هى ، لكن بلمسة خاصة ، لكى تعطى تعبيراً عاطفياً معيناً . وكان « يوحنا » رجلا قد تقدمت به السن ، عندما كتب هذه الرسالة وربما كان فى الواقع ، آخر من تبقّى من أبناء ذلك الجيل ، وآخر من بقى على قيد الحياة ، من بين أولئك الذين عاصروا « يسوع » وعاشروه فى أيام جسده . وفى هذه السن ، يشعر الإنسان بالمزيد من العطف على الشباب ، كما أنه يتميز بالكثير من سوء الفهم ، الذى يؤدى إلى نتائج خطيرة ، لأنه يرفض الأساليب العصرية ، ويواجه بالثورة الأنماط الحديثة، لسلوك الجيل

الأصغر سناً . لكن الأمر مختلف تماماً عند « يوحنا » ، الذى رغم أنه كان فى هذه المرحلة الحرجة من العمر ، لم يكن يحمل فى قلبه ، غير العواطف الحارة ، نحو أبنائه فى الإيمان ، وها هو يكتب إليهم مرة أخرى ، قائلا لهم ، إنه يجب عليهم ألا يخطئوا ، وإذ يكتب إليهم هذا ، يكتبه بأسلوب ، خال من الزجر والتأنيب ، وبكلمات خالية من الشدة والحدة . إنه يرغب فى توجيههم نحو حب الصلاح . وفى هذه العظة الإفتتاحية ، نجد محبة الراعى ، وأشواق قلبه الحارة ، وعواطفه الملتهبة ، من جهة رعيته التى عرفها وأحبها ، والتى كان قلبه ما زال ينبض بحبها ، رغم كل ما كان يعلم علم اليقين ، أنه موجود فى حياتهم من طيش ونزق .

وكما سلفت الإشارة ، كتب إليهم « يوحنا » لكيلا يخطئوا ، وهنا نجد ارتباطاً فكرياً مزدوجاً ، ارتباطاً بما كان فى سالف الزمان ، وارتباطاً بما سوف يأتى فيما بعد . فهناك خطر مزدوج ، هو خطر الإستهانة بالخطية ، ولهذا يذكر « يوحنا » شيئين عن الخطية : أولهما شىء عام يشترك فيه جميع الناس ، وهو أنه لا يوجد بين البشر ، من يستطيع أن يتهرب منها ، وكل من يقول إنه ليست له خطية يكون كاذباً وليس الحق فيه . فالخطية هى الحقيقة التى تجمع بين الناس أجمعين ، ثم يقول ثانياً ، إنه على الرغم من هذا ، يوجد غفران للخطية ، بواسطة ما قام ويقوم به ، « يسوع » من أجل البشر .

والآن يصبح من المحتمل ، أن يستخدم الإنسان هاتين الحالتين معاً ، كأساس للإستهانة بالخطية ، لأنه إن كان الجميع قد أخطأوا ، فلم الشذوذ عن هذه القاعدة ، والإهتمام أكثر من اللازم بها ! ؟ ولماذا إذاً الدخول فى دوامة الصراع ضد الخطية مع أنها شىء أساسى فى حياة البشر ؟ ثم إذا كان هناك غفران ، فلماذا الإنزعاج إذاً ! ؟ وإذا كان المسيح قد كسب

الجولة ، وأتى بالغفران للبشر ، وما دام هو موجوداً هناك فى السماء لكى يشفع فينا أمام الله ، أيصح بعد كل هذا ، أن نعير الخطية أى اهتمام ! ؟

فى مواجهة هذه التساؤلات ، كان لدى « يوحنا » — على حد قول « وستكوت » شيئان يقولهما :

أولا : المسيحى هو الشخص الذى أتى لكى يعرف الله ، وصنو المعرفة ، وشقيقها التوأم ، هو الطاعة ، وهذا سنعود إليه بالتفصيل فيما بعد ، لكن لنا الآن ملاحظة ، هى أن « يوحنا » يرى أنه من الضرورى ، أن تكون المعرفة والطاعة هما الشقان المتلازمان لهذا الاختبار .

ثانياً : كل من يقول إنه ثابت فى « الله » وفى « يسوع المسيح » (عدد ٦) ، يجب أن يعيش كما عاش المسيح ، أو بتعبير آخر ، اتحاد الإنسان بالمسيح ، يقوده إلى الإقتداء به ، وهكذا يضع « يوحنا » مبدأين عظيمين ، من مبادئ السلوك المسيحى ، هما : « المعرفة تولد الطاعة» ، و « الاتحاد بالمسيح يولد الاقتداء به » ، ولهذا لا يمكن للحياة المسيحية ، أن تستخف أو تستهين بالخطية .

يسوع المسيح الپاراقليط

هاتان الآيتان (ص ٢ : ١ و ٢) ، هما أصعب عددين فى هذه الرسالة ، وشرحهما قد يقتضى فترة طويلة من الزمان ، ولا يوجد فى كل أسفار العهد الجديد ، ما يشير بإيجاز شديد ، إلى عمل المسيح الذى عمله من أجل البشر ، مثلما يفعل هذان العددان .

وها نحن الآن ، نبدأ أولا باستعراض المشكلة ، واضح أن المسيحية

قبل كل شيء ، ديانة أخلاقية ، وهذه الناحية ، أولاها « يوحنا » قدراً كبيراً من الاهتمام . لكن من جهة أخرى ، قد يقف الإنسان مثالا للفشل فى الناحيةالأخلاقية ، ومع أنه قد يقبل المطالب الإلهية ، ويؤمن بها ، لكنه مع ذلك قد يفشل فى التمسك بها ، والمحافظة عليها ، والإستجابة لها . وهكذا نرى هنا وهناك ، حاجزاً يقف بين الإنسان وبين الله . فكيف يتسنى للإنسان الخاطئ ، أن يدخل إلى حضرة « الله » كلى القداسة ؟ فالمشكلة إذاً هى : كيف يمكن أن تكون لخطيئة الإنسان شركة مع قداسة الله ؟ وهذه المشكلة قد وجدت حلها فى « يسوع المسيح »

فى هذه الفقرة ، يستخدم « يوحنا » كلمتين لها اعتبارهما عن « يسوع المسيح » ، هاتان الكلمتان يجب أن ندرسهما ، لتتسنى لنا المشاركة فى الإفادة من عمل المسيح . إنه يدعو « يسوع المسيح » « شفيعنا عند الآب » ، والكلمة اليونانية هى « پاراكليتوس » ، وهى الكلمة المستخدمة بمعنى « المعزى » فى بشارة يوحنا [1] ، وهى كلمة غاية فى العظمة ، لذا نجد لزاماً علينا أن ندرس هذه الكلمة دراسة مفصلة . كلمة « پاراكليتوس » مشتقة من الفعل اليونانى « پاراكالين » ، وأحياناً يكون معنى هذا الفعل « يعزى » . وعلى سبيل المثال ، استخدم بهذا المعنى فى (تكوين ٣٧ : ٣٥) ، حيث نقرأ أن جميع بنى « يعقوب » وبناته ، قاموا ليعزوه عندما فقد « يوسف » ، كما استخدم كذلك بنفس المعنى فى (أشعياء ٦١ : ٢) حيث نقرأ أن رسالة النبى هى أن يعزى جميع النائحين ، وأيضاً استخدم فى (بشارة متى ٥ : ٤) حيث قيل إن جميع الحزانى سيتعزون

---

(١) انظر بشارة يوحنا ١٥ : ٢٦ ، ١٦ : ٧.

لكن ليس هذا هو الاستخدام الأعم أو الأكثر شيوعاً ، كما أن هذا المعنى ليس هو كل ما يتضمنه ، أو يشير إليه المعنى الحرفى للفعل «پاراكالين» فالمعنى الأكثر شيوعاً ، بحسب ما هو مفهوم من كثير من كتابات بعض أدباء الإغريق . هو استدعاء شخص ما . للوقوف إلى جوار شخص آخر لمعاونته . ومع أن هذه الكلمة ، سلبية فى صيغتها ، إلا أنها تعنى تقديم العون والمساعدة ، وملء الإحتياج ، خاصة وأن هذا الاستدعاء ، مبنى فى أساسه على ما يتميز به هذا المعين « الپاراقليط » ، من سمات التفوق العقلى ، فهو شفيع يدافع ويحامى عن إنسان متهم .

وفى كتابه عن حياة يوسف . عندما يأتى « فيلو » إلى واقعة التقاء « يوسف » بإخوته . وحديثه معهم بعد ذلك ، يذكر أن « يوسف » قد قال لهم : « ها أنا أصفح عن كل ما عملتموه بى . ولا حاجة بكم إلى أى (پاراقليط) آخر » . أو بتعبير آخر . لم يعد إخوة « يوسف » بحاجة إلى شخص يدافع عنهم أمامه ، ويتشفع لهم عنده . لكى يحظوا برحمته . وفى واقعة أخرى . عندما تعرض يهود الاسكندرية للأذى ، على يد واحد من الحكام ، ورغبوا فى رفع أمرهم إلى قيصر . يذكر « فيلو » إنهم عندما تداولوا فى الأمر ، قالوا : « لنبحث لأنفسنا عن « پاراقليط » — محام — من أهل الحظوة والنفوذ . يستطيع أن يجعل الامبراطور « غايس » يتعاطف معنا » .

وهكذا نرى أن « پاراقليط » ، كانت كلمة عادية جداً ، لدرجة أنها استخدمت كما هى فى العديد من اللغات الأخرى ، حيث لم يوجد لها مرادف آخر فى تلك اللغات ، وقد وردت كما هى فى ترجمات العهد الجديد فى السريانية والمصرية والعربية والأثيوبية . واليهود بوجه خاص استخدموا

الكلمة عينها بمعنى شفيع أو محام ، يدافع عن شخص معين ، وقد استخدموها فى عكس كلمة « متهم » ، وهكذا نجد عند الأحبار قولا يذكرونه فى معرض حديثهم ، عما سيحدث يوم الدينونة فيقولون : « كل وصية يحفظها الإنسان من وصايا الناموس ، تكون له « پاراقليطا » يوم الدين ، وكل وصية يكسرها الإنسان ، ستكون له متهماً » ، كما قالوا : « إذا قدم أحد للمحاكمة أمام إحدى المحاكم المدنية فإنه يحتاج إلى « پاراقليط » (فى صيغة الجمع) ، على أن يكون هذا الپاراقليط من ذوى الحيثية ، لكى ينقذه » ، « وتوبة الإنسان وأعماله الصالحة هم شفعاؤه فى يوم الدينونة أمام الله » ، « وكل أعمال البر والرحمة ، التى يفعلها الإنسان فى هذا العالم ، تكون سلاماً عظيما له ، وشفعاء كبار ، لهم شأنهم يشفعون له ، ويدافعون عنه أمام الآب الذى فى السماء » . كما قالوا : « إن ذبيحة الخطية تشفع للإنسان عند الله » .

وهكذا دخلت الكلمة « پاراقليط » فى عداد الكلمات المسيحية الشائعة ، واستخدمت بمعناها الحرفى . وفى زمن الإضطهاد والإستشهاد ، كان هناك محام مسيحى يدعى « فيتوس أياجاثوس » ، هذا استطاع بالجهد أن يدافع عن المتهمين باعتناق المسيحية ، وكانوا يدعونه « پاراقليط » المسيحيين ، و « كان يتميز بسكنى الروح المدافع فى داخله » ، هكذا كانوا يصفونه ، (تاريخ الكنيسة ليوسابيوس) . وكاتب رسالة كليمندس الثانية يتساءل : « من ذا الذى يشفع لك إذا ثبت أن أعمالك لم تكن بارة ومقدسة ؟ » (رسالة إكليمندس الثانية ٦ : ٩) .

فالپاراقليط هو الشخص الذى يحضر نيابة عن أصدقائه ، وفى العهد الجديد ، أكثر من إشارة إلى « يسوع » ، باعتباره الصديق والشفيع ، الذى يدافع عن الإنسان . وفى المحاكمات العسكرية ، يقوم أحد الضباط بالدفاع

عن المتهم ، وهذا الضابط يسمونه « صديق المسجون » . و « يسوع » هو صديقنا الذى يشفع فينا (رومية ٨ : ٢٣) ، وكاتب الرسالة إلى العبرانيين ، يتحدث عن « يسوع المسيح» «الحى فى كل حين الذى يتراءى ويشفع فى الناس » (عبرانيين ٧ : ٢٥) ، كما يتحدث عنه كذلك ، على أنه موجود فى حضرة الله من أجلنا » (عبرانيين ٨ : ٢٤) .

والأمر المدهش ، هو أن « يسوع » لم يفقد البتة ، حبه أو مسرته فى جنس البشر ، وتفكيرنا فيه ، لا يجب أن يتوقف عند حد العمل ، الذى قام به من أجلنا فى أيام جسده ، أو فى آخر لحظات حياته على الصليب ، إذ أنه لم يزل حاملا فى قلبه حباً لنا ، واهتماماً بنا ، ولم يزل شفيعنا ، الذى يتراءى أمام الله ، ويشفع فينا . إن « يسوع المسيح » هو « صديق السجين » للناس أجمعين .

يسوع المسيح الكفارة

يواصل « يوحنا » حديثه فيقول : « إن يسوع هو كفارة لخطايانا » ، والكلمة اليونانية هى « هيلاسموس » ، وهى صورة صعبة جداً ، ومن المتعذر علينا أن نفهمها فهماً جيداً . فصورة الشفيع المدافع ، صورة عامة ومألوفة ، ولا شك فى أن كلا منا ، قد اختبر بصورة أو بأخرى وقوف صديق ، أو مجموعة من الأصدقاء ، بجانبه فى ظرف من الظروف ، أما صورة الكفارة ، فإنها تأتى من التضحية ، وهذه التضحية أمر طبيعى لذهن اليهودى ، أكثر مما هى بالنسبة لنا . ولكى نفهمها حق الفهم ، علينا أن نفهم الأفكار الرئيسية التى تقوم عليها : إن الشركة مع الله هى غاية الدين الأساسية ، وهدفه الرئيسى ، هو أن يعرف الإنسان المتدين الله كصديق ، وأن يدخل

إلى حضرته ، بفرح لا تشوبه شائبة من خوف ، وهذا يأتى بنا إلى أن الخطية هى المشكلة الكبرى التى تواجه الدين ، لأن الخطية هى التى تقف عقبة كأداء ، فى وجه شركة الإنسان مع الله ، وهى التى تحول بين الإنسان ، وبين الدخول إلى حضرة الله ، ولهذا السبب كان تقديم الذبائح هو الواسطة ، التى لجأ إليها الإنسان ، لاسترداد شركته مع الله وصلته به .

وإنه لمن المتعذر ، أن يفكر الإنسان فى الدين ، دون أن ينظر إليه ، على أنه علاقة شخصية تربطه بالله . وعلاقة الإنسان الشخصية والكاملة مع الله ، هى الهدف الرئيسى لكل دين . من أجل هذا ، كان اليهود يقدمون فى الهيكل ، ذبيحة فى الصباح ، وأخرى فى المساء ، ولم تكن تلك الذبيحة ، تقدم من أجل خطية معينة ، لكن من أجل الإنسان كخاطئ ، وظلت هذه الذبيحة تقدم كل صباح ، وكل مساء ، إلى أن خرب الهيكل . كما قدموا لله ذبائح عن خطاياهم ، وهذه كانت تقدم عن خطايا بعينها ، ومخالفات محددة لبعض وصايا الناموس ، وكان عندهم يوم للغفران ، هذا اليوم كان لأجل غفران جميع الخطايا ، سواء تلك التى كان الناس يعرفونها ، أو الخطايا التى كانوا يجهلونها ، يستوى فى ذلك ما يرتكبه الناس بإرادتهم ، وما يفعلونه بغير هذه الإرادة ، وهذه الخلفية ضرورية لنا للوصول إلى فهم صورة الكفارة .

كما سبق القول . « هيلاسموس » هى الكلمة اليونانية التى تستخدم للتعبير عن الكفارة ، وهى مشتقة من الفعل « هيلاسكيسثاى » (يكفر) ، ولهذا الفعل معانٍ ثلاث :

١ – عندما يكون فاعله إنساناً ، يكون المعنى المقصود هو المصالحة ، مصالحة شخص قد أوذى أو أضير أو أعثر ، أو أسيء إليه ، وهى تستخدم

بوجه أخص ، للإشارة إلى مصالحة الله ، عن طريق تقديم ذبيحة ، أو أداء طقس أو فرض معين ، لإرضاء الإله الذى أغضبته الخطية .

٢ ــ أما إذا كان القائم بالمصالحة إلهاً ، فإن الفعل يستخدم بمعنى الصفح ، لأنه عندئذ يكون الله بذاته ، هو الذى يقدم وسائل إعادة العلاقات المقطوعة بينه وبين الناس .

٣ ــ هناك معنى ثالث لهذا الفعل ، يرتبط بالمعنى الأول ، وهو غالباً يشير إلى القيام بعمل ما ، أو أداء طقس ما ، تتم عن طريقه إزالة آثار الخطأ . فعندما كان يخطئ إنسان ، كان لزاماً عليه أن يزيل آثار هذا الخطأ ، ولذا كان يحتاج إلى واسطة أو وسيط ، ، على حد تعبير القائل الذى قال ، إن هذا الوسيط يزيل آثار الخطية ، ويتيح للإنسان إمكانية الدخول مرة أخرى إلى حضرة الله ، وبهذه الصورة يكون الفعل مستخدماً بمعنى « يطهر » وليس « يكفر » ، وهكذا لا ينصرف المعنى إلى مصالحة وإرضاء الله ، وإنما إلى تطهير الإنسان عينه من الخطيئة ، لكى يصبح أهلا للدخول فى شركة مع الله .

والآن ، عندما يقول « يوحنا » ، إن « يسوع » هو « كفارة لخطايانا » ، ندرك أنه كان يرغب فى أن يجمع كل هذه المعانى معاً . فيسوع هو الشخص الذى فيه وبواسطته ، تتلاشى كل مذنوبية الخطية السالفة ، وشرور الخطية الحالية ، وعن طريق العمل الذى قام به ، رفع عنا قصاص الخطية ، وزالت وصمتها . وهو يأتينا بالصفح الإلهى عن الخطايا التى تركناها ، ويكسونا برداء جديد من الطهارة ، يلاشى كل وصمة طبعتها الخطية على حياتنا .

فالحقيقة الأساسية والعظمى ، الكامنة وراء هذه الكلمة ، هى أن العمل الذى قام به « يسوع » ، لم يكن من أجلنا نحن فقط ، لكنه أيضاً من أجل العالم بأسره .

وفى العهد الجديد ، خط فكرى واضح ، يشير بوضوح إلى عمومية الخلاص الإلهى : « هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد » (بشارة يوحنا ٣ : ١٦) ، وقد عبر يسوع عن ثقته ، فى أنه « متى ارتفع سيجذب إليه الجميع » (بشارة يوحنا ١٢ : ٣٢) . والله هو الإله الذى « يريد الكل يخلصون » (تيموثاوس الأولى ٢ : ٤) . ومن ذا الذى يجرؤ ويتجاسر على وضع حدود لنعمة الله ومحبته غير المحدودتين ، أو لتأثير عمل الفداء ، الذى عمله يسوع المسيح ! ؟ إن محبة الله أوسع وأكبر من كل معايير العقل البشرى ومقاييسه ، وفى العهد الجديد عينه ، إشارة إلى خلاص يتسع ، لكى يشمل العالم بأسره .

المعرفة الحقة لله

وَبِهَذَا نَعْرِفُ أَنَّنَا قَدْ عَرَفْنَاهُ إِنْ حَفِظْنَا وَصَايَاهُ . مَنْ قَالَ قَدْ عَرَفْتُهُ وَهُوَ لاَ يَحْفَظُ وَصَايَاهُ فَهُوَ كَاذِبٌ وَلَيْسَ ٱلْحَقُّ فِيهِ . وَأَمَّا مَنْ حَفِظَ كَلِمَتَهُ فَحَقًّا فِى هٰذَا قَدْ تَكَمَّلَتْ مَحَبَّةُ ٱللهِ . بِهَذَا نَعْرِفُ أَنَّنَا فِيهِ . مَنْ قَالَ إِنَّهُ ثَابِتٌ فِيهِ يَنْبَغِى أَنَّه كَمَا سَلَكَ ذَاكَ هٰكَذَا يَسْلُكُ هُوَ أَيْضًا

(رسالة يوحنا الأولى ٢ : ٣ – ٦)

هذه الفقرة ، حافلة بتعبيرات وأفكار ، كانت مألوفة وشائعة جداً فى العالم القديم ، هذا العالم الذى تحدث كثيراً عن محبة الله . وإنه لمن الأهمية بمكان ، أن نرى أين يكمن الإختلاف القائم ، بين العالم الوثنى بكل عظمته ، وبين اليهودية والمسيحية .

أن نعرف الله ونثبت فيه ، وتكون لنا شركة معه . هذه كلها كانت مطالب الروح البشرية، وقد صدق « أغسطينوس » حين قال : إن الله قد خلق الإنسان لذاته . ولهذا فإن الإنسان لا يهدأ ولا يستريح ، إلا عندما يأتى إلى الله . ويمكننا القول بأنه فى العالم القديم ، كانت توجد ثلاث اتجاهات فكرية حول معرفة الله :

١ — فى العصر الكلاسيكى ،من عصور كل من الفكر والأدب اليونانيين ، فى القرنين السادس والخامس قبل ميلاد المسيح ، آمن اليونانيون بأنهم يستطيعون الوصول إلى الله ، عن طريق المنطق والجدل والتفكير .

وكان اليونانيون يمجدون العقل ، ولم يكن يكفيهم الحدس والتخمين ، وحب الاستطلاع لم يكن خطأ فى عرفهم ، بل إنه فى ذلك العصر ، كان من أعظم الفضائل فى نظرهم . وكانوا يضعون كل شىء تحت الفحص ، وكان هذا هو مصدر الفلسفة ، وقد اتخذ الإنسان العالم مجالا لدراسته ، وكان من حق الإنسان أن يقف أمام أى شىء ، الطبيعة ، الإنسان ، ويسأل ما قد يخطر على باله من أسئلة ، محاولا أن يصل إلى إجابات عنها .

والله نفسه ، قالوا إنه يجب أن يعلن نفسه ، أليس هو الذى خلق الإنسان؟ وهكذا كان العقل هو الطريق المؤدى إلى الله ، فى نظر اليونانيين فى ذلك العصر الكلاسيكى .

ومما هو جدير بالملاحظة : أن الإقتراب العقلى إلى الدين، ليس بالضرورة أن يكون اقتراباً أخلاقياً ، إذا كانت الديانة مجموعة من المشاكل العقلية ، وإذا كان الله هو خاتمة المطاف ، للنشاط العقلى المركز . عندئذ لا يكون

الدين إشباعاً روحياً ، وإنما مجرد إشباع عقلى ، أى أنه لن يزيد عن أن يكون نوعاً من الرياضيات ذات المستوى الرفيع .

والحقيقة البسيطة السهلة ، هى أن كثيرين من المفكرين اليونانيين ، لم يكونوا من أهل الصلاح ، حتى أن « أفلاطون » و « سقراط » ، لم يعتبروا الشذوذ الجنسى خطية ، ففى وسع الإنسان ، أن يعرف الله معرفة عقلية ، بغير أن يتطلب هذا أن يكون إنساناً صالحاً .

٢ ــ اليونانيون المتأخرون ، الذين كانوا معاصرين لظهور العهد الجديد ، والذين كان تفكيرهم ، يمثل خلفية لكتابات العهد الجديد ، هؤلاء كانوا يظنون ، أن الله يمكن أن يوجد فى الإختبار العاطفى ، وكانت الديانات السرية ، هى الخاصية المميزة للدين فى تلك الأيام ، وتلك الديانات السرية ، كانت لها خاصية مذهلة ، وجميعها كانت ترمى إلى الإتحاد بالله ، وكانت تتمثل فى تمثيليات عاطفية ، جميعها كانت تدور حول إله عاش ، وتألم آلاماً مبرحة ، ثم مات ميتة شنيعة ، ثم بعد ذلك قام ثانية . وهذا الإله كانوا يصورونه على أنه كان يصوم ، وكانت حياته تتسم بنظام صارم من التقشف والزهد ، وأنه أثير إلى أن وصل إلى درجة شديدة من الحساسية العاطفية ، ثم جعلوه بعد ذلك يعانى نوعاً من الآلام ، وعلى المسرح ، كانوا يمثلون قصة الآلام التى جاز فيها حتى الموت ، كما كانوا يصورون مشاهد موته وقيامته . وكل هذه الأشياء ، كانوا يقومون بها ، بهدف الوصول بمن يشاهدها ، إلى جو روحى عالٍ ، وكانوا يستخدمون مؤثرات صوتية وضوئية ، كما كانت تصحب التمثيل موسيقى تصويرية ، وبخور عبق يطلقونه ، و « ليترجية » مدهشة يرددونها .

فى مثل هذا الجو كانوا يقدمون التمثيلية ، وكان العابد منهم ، يحاول فى

اختباره الشخصى ، أن يجسد آلام الإله الذى يعبده ، إلى أن يصل إلى حالة الإندماج معه ، أو الفناء فيه ، وبهذه الطريقة ، كان يشترك فى آلام إلهه ، مشاركة يستطيع بواسطتها ، أن يشترك معه فى قيامته ونصرته ، وعدم قابليته للفناء .

وهذا الإختبار كان شعوراً بالله . لا معرفة له ، لكنه مع ذلك كان اختباراً عاطفياً بالغ الرفعة والسمو ، كما أنه كان كذلك ، اختباراً وقتياً لا يدوم . لقد كان مخدراً دينياً يحد الله فى اختبار محدود غير سوى ، وكل ما كان يرمى إليه ، هو الهروب من واقع الحياة .

٣ ــ أخيراً كانت هناك الطريقة اليهودية لمعرفة الله ، وهى تشبه الإختبار المسيحى إلى حد كبير . فالإعلان الإلهى ، هو الطريق الذى يؤدى باليهودى إلى معرفة الله . إن اليهودى لم يعرف الله عن طريق التصور البشرى ، أو عن طريق اختبار عاطفى غريب . لكنه عرفه عن طريق إعلانه عن ذاته ، وإذ يعلن هذا الإله القدوس عن ذاته . فإن قداسته ، تضع عابديه تحت التزام بأن يكونوا قديسين . ويقول (ا . ا . بروك): إن « يوحنا » لم يكن يتخيل أنه من الممكن أن يعرف الإنسان الله معرفة حقة بغير أن يكون هذا الإنسان مطيعاً له ، لأن إطاعة الإنسان لله ، هى التى تؤدى به إلى أن يعرفه معرفة حقيقية » ، أو كما قال آخر [١] : « إن معرفة الله ، تتمثل فى اختبار محبته فى المسيح ، وإطاعته كرد فعل لهذه المحبة » .

وهنا كانت تتركز مشكلة « يوحنا » ، إذ واجه فى العالم اليونانى أشخاصاً ، اعتبروا الله تدريباً عقلياً ، وهؤلاء يمكنهم أن يقول الواحد منهم : « أنا فى

---

(١) Ch.H. Dodd

الله ، والله فى » ، وهؤلاء لم يروا الله مطلقاً فى لغة وصايا وتعاليم . وهذه الوصايا اضطر «يوحنا» إلى التعبير عنها تعبيراً صادقاً ، وبدون حل وسط ، وبقوله إن الطاعة هى السبيل الوحيد ، للتعبير عن معرفتنا لله ، والإقتداء بالمسيح هو الطريق الوحيد كذلك ، للتعبير عن اتحادنا بالمسيح .

فالمسيحية هى الديانة التى تقدم للإنسان الإمتياز الأعظم ، الذى يجب أن يلازمه أعظم الإلتزامات ، وهى لا تهمل المجهود العقلى ، كما أنها لا تتغاضى عن الإختبار العاطفى ، لكنها تربطهما بالفعل الأخلاقى .

الوصية القديمة الجديدة

أَيُّهَا ٱلْإِخْوَةُ لَسْتُ أَكْتُبُ إِلَيْكُمْ وَصِيَّةً جَدِيدَةً بَلْ وَصِيَّةً قَدِيمَةً كَانَتْ عِنْدَكُمْ مِنَ ٱلْبَدْءِ . ٱلْوَصِيَّةُ ٱلْقَدِيمَةُ هِيَ ٱلْكَلِمَةُ ٱلَّتِي سَمِعْتُمُوهَا مِنَ ٱلْبَدْءِ . أَيْضًا وَصِيَّةً جَدِيدَةً أَكْتُبُ إِلَيْكُمْ مَا هُوَ حَقٌّ فِيهِ وَفِيكُمْ أَنَّ ٱلظُّلْمَةَ قَدْ مَضَتْ وَٱلنُّورُ ٱلْحَقِيقِيُّ ٱلْآنَ يُضِيءُ .

(رسالة يوحنا الأولى ٢ : ٧ و ٨)

« أيها الإخوة أو الأحباء »، هو التعبير المفضل ، الذى ينادى « يوحنا » شعبه به (قارن ص ٣ : ٢ و ٢١ ، ص ٤ : ١ و ٧ ، رسالة يوحنا الثالثة ١ و ٢ و ٥ و ١١) . إن المحبة هى السمة الرئيسية والمميزة لكتابة يوحنا ، أو على حد قول « وستكوت » ، إن المحبة هى المحرك الأعظم فى قلب « يوحنا » ، وهنا نجد أنفسنا أمام شىء محبب جداً . وهذه الرسالة مليئة بالكثير من

التحذيرات ، بل إن فى بعض أجزائها توبيخاً عنيفاً ، وعندما نحذر الناس أو نوبخهم ، يمكن بسهولة أن يتخذ توبيخنا صورة نقد لاحدة فيه ، كما أننا قد نسمح بسهولة أيضاً لنبرة الغضب بأن تظهر فى اللهجة التى نقدم بها كلامنا ، ومن المحتمل أن نحس بمتعة إجرامية منحرفة ، حينما يتعرض الناس أمامنا ، لموجة من التوبيخ الصارم العنيف ، لكن « يوحنا » لا يفعل هكذا . فعندما تكون لديه كلمات قاسية ، يريد أن يقولها ، فإنه يقدمها بصوت المحبة . لقد تعلم الدرس الذى يجب أن يتعلمه كل أب ، وكل واعظ ومعلم وقائد ، فهو يقول الحق ، لكنه تعلم أن يقوله بمحبة .

وهنا يتكلم « يوحنا » عن وصية قديمة ، لكنها جديدة فى الوقت عينه ، فما هى هذه الوصية التى يتحدث عنها « يوحنا » ؟ قد يذهب الظن بالبعض إلى أن الوصية المشار إليها فى عدد ٦ ، هى الوصية المقصودة ، وهى تلك الوصية القائلة « من قال إنه ثابت فى المسيح ، عليه أن يسلك مثلما سلك المسيح ». لكنه يشير بالتحديد ، إلى كلمات « يسوع » المشار إليها فى البشارة الرابعة : « وصية جديدة أنا أعطيكم أن تحبوا بعضكم بعضاً كما أحببتكم أنا تحبون أنتم أيضاً بعضكم بعضاً » (بشارة يوحنا ١٣ : ٣٤) ، فمن أى وجه ، تعتبر هذه الوصية قديمة وجديدة فى آن واحد ؟

١ — إنها قديمة ، لأننا نجد فى العهد القديم ، وصية مشابهة لها تماماً ، ألم يقل الناموس : « تحب قريبك كنفسك » ؟ (لاويين ٩ : ١٨) . فالوصية موجودة فى الناموس القديم ، وهى قديمة ، لأن هؤلاء الذين يكتب إليهم «يوحنا» ، قد سبق لهم أن سمعوها ، فهذه ليست هى المرة الأولى ، التى تلتقط فيها آذانهم كلماتها ، ولأنهم من أول يوم دخلوا فيه المسيحية ، وهم يسمعون

التعليم ، بأن المحبة يجب أن تكون القاعدة التى يسلكون بمقتضاها . ولهذه الوصية جذور تاريخية قديمة ، كما أن لها فى حياتهم طريقاً سابقاً .

٢ — ومع هذا كانت وصية جديدة أيضاً ، لأنها كانت تضع حياة «يسوع» أمامهم . كمثال كامل . يجب أن يقتدوا به ويحتذوه ،وكان على الناس أن يحبوا بعضهم بعضاً ، كما أحبهم«يسوع» ،ويمكن القول بأن الناس لم يعرفوا ما هى المحبة ، إلا عندما رأوها فى«يسوع المسيح». وفى كل ناحية من نواحى الحياة ، يمكن أن نرى أموراً عدة ، نستطيع أن نعتبرها قديمة وجديدة معاً ، قديمة من حيث زمان وجودها ، وجديدة من جهة الوقت الذى بلغت فيه حد الكمال ، فى حياة واحد ممن نفذوها ، والتزموا بها ، فأية لعبة رياضية يمكن أن تكون جديدة فى نظر إنسان ، حين يراها فى عرض يقدمه واحد من الرواد ، الذين أتقنوا تلك اللعبة ، وأية مقطوعة موسيقية مألوفة ، تكون رائعة وأخاذة ، عندما تعزفها الفرقة الموسيقية تحت قيادة موسيقى بارع ،وحتى طبق الطعام المعتاد ، يمكن أن يكون ذا مذاق جديد ، من يد طباخ ماهر ، وأى شىء قديم ، يمكن أن يكون جديداً ،عندما يقدمه لنا شخص متخصص . وهكذا المحبة ، صارت شيئاً جديداً فى المسيح ، وقد أصبحت جديدة فى اتجاهين :

(ا) المحبة صارت جديدة فى المسيح ، من حيث المدى الذى بلغته ، فنى المسيح وصلت المحبة إلى الإنسان الخاطئ ، الذى كان فى نظر الحبر اليهودى المتزمت ، شخصاً يريد الله أن يهلكه ، وكانوا يقولون : « إنه يكون فرح فى السماء ، عندما يقطع أحد الخطاة من الأرض » . لكن «يسوع» كان صديقاً للمنبوذين والمكروهين رجالا ونساء ، وكان يأكل مع الخطاة والعشارين ، وكان متأكداً

أنه يكون فرح فى السماء بخاطئ واحد يتوب . وفى « يسوع » وصلت المحبة إلى الأمم ، الذين كان الأحبار ، يرون أنهم خلقوا ليكونوا وقوداً لنيران الجحيم . . نعم . فى « يسوع » امتدت واتسعت تخوم المحبة ، حتى لم يعد هناك إنسان واحد خارج دائرتها ، وامتدت أذرعها لتحتوى بين أحضانها جميع الناس ، لأنه «هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد » .

(ب) صارت المحبة جديدة فى المسيح ، من حيث الأبعاد التى وصلت إليها . فقد أحب المسيح البشر ، رغم عدم تجاوبهم معه ، ولم يستطع شىء مما فعلوه به ، أن يحول بينه وبين إعلان حبه لهم ، كما لم يستطع شىء ، أن يحول حبه لهم بغضاً ، بل إنه طلب الرحمة لهم وهم يسمرونه على الصليب .

لقد كانت وصية المحبة وصية قديمة ، لأن الناس كانوا قد عرفوها قبل ذلك بزمان ، لكنها أصبحت وصية جديدة ، لأن المحبة فى « يسوع المسيح » ، وصلت إلى مستوى لم تبلغه من قبل ، وإلى نفس هذا الحد ، كان على الناس أن يحبوا بعضهم بعضاً .

هزيمة الظلمة

يواصل « يوحنا » الحديث فيقول ، إن هذه الوصية — وصية المحبة — حقيقية فى « يسوع المسيح » ، وأنها أيضاً حقيقية فى شعبه ، الذى يوجه إليه هذه الرسالة . وكما رأينا ، لم يكن الحق فى نظر « يوحنا » ، شيئاً مقصوراً على العقل وحده ، لكنه عمل ينبغى القيام به . إن « يوحنا » لم ير الحق تدريباً عقلياً ، لكنه رآه طريقاً عملياً وأسلوب حياة . وما كان يقصده « يوحنا » ،

هو أن الوصية التى تعلمنا ، بأن نحب بعضنا بعضاً ، هى الحقيقة الأسمى ، وأننا فى « يسوع المسيح » ، يمكننا أن نرى هذه الوصية فى كل بهائها والكمال ، لأنها حقيقية فيه . وبنفس الطريقة ، فى المسيحى يمكننا أن نرى تلك الوصية ، ليس فقط فى ملء حقيقيتها ، لكنها تتحقق فيه . فنحن هنا ، نجد أمامنا المفهوم القائل ، إن المسيحى هو ذلك الشخص ، الذى فيه ، نرى وصية المسيح المختصة بالمحبة ، تتحقق أكثر فأكثر ، فى حياته اليومية ، يوماً بعد يوم . إن « يوحنا » يرى المسيحية تقدماً ونمواً فى المحبة .

ويصل « يوحنا » إلى القول ، بأن النور يضئ والظلمة تمضى ، وفى ضوء القرينة يمكننا أن نجد شيئاً يبهج النفس . كان « يوحنا » يرى ، أننا نعيش فى وسط موكب حافل ، وعندما كتب رسالته هذه ، فى أواخر القرن الأول ، كانت أفكار الناس قد أخذت تتغير . فى الأيام الأولى للمسيحية ، كانوا ينظرون إلى مجىء المسيح الثانى ، على أنه حادث فجائى سيقع فى أيامهم ، لكنه لم يتحقق ، ومع ذلك لم يعتبروا هذا رجاء آجلا ، بل غيروه على أساس من الاختبار . أما «يوحنا» فلم يعتبر مجئ المسيح الثانى حادثاً فجائياً ، لكنه اعتبره موكباً سائراً ، سيتم فيه باطراد ، تغلب النور على الظلام ، وكل عملية لا بد لها من غاية ونهاية . وبغير هدف ، لا يمكن أن يكون هناك موكب على الإطلاق ، وكان «يوحنا» يرى أن خاتمة المطاف ، ستكون عالماً ينهزم فيه الظلام ، وتكون النصرة النهائية فيه للنور .

لكن فى هذه الفقرة ، وفى الأعداد التالية (١٠ و ١١) ، ما هى الأشياء التى يشير إليها كل من النور والظلمة ؟ النور يشير إلى الحب ، والظلمة إلى البغض ، وبتعبير آخر ، يمكن القول بأن خاتمة المطاف ، ستكون عالماً يتخذ وصية المحبة التى أعطاها « يسوع » ، شعاراً ، ويجعلها قانونه الأوحد . فالمسيح يدخل قلب الإنسان ، عندما يضع هذا الإنسان ذاته تحت سلطان

المحبة ، وبالمثل أيضاً ، سوف يأتى « يسوع » إلى عالم البشر ، عندما يتمم الجميع فى حياتهم ، وصية المحبة التى أعطاها لهم . فمجيء المسيح وسيادته ، يتمثلا فى مجيء المحبة وسيادتها ، واتخاذها قانوناً يحكم الحياة .

الحب والبغض ـ النور والظلام

مَنْ قَالَ إِنَّهُ فِى ٱلنُّورِ وَهُوَ يُبْغِضُ أَخَاهُ فَهُوَ إِلَى ٱلآنَ فِى ٱلظُّلْمَةِ . مَنْ يُحِبُّ أَخَاهُ يَثْبُتُ فِى ٱلنُّورِ وَلَيْسَ فِيهِ عَثْرَةٌ . وَأَمَّا مَنْ يُبْغِضُ أَخَاه فَهُوَ فِى ٱلظُّلْمَةِ وَفِى ٱلظُّلْمَةِ يَسْلُكُ وَلاَ يَعْلَمُ أَيْنَ يَمْضِى لِأَنَّ ٱلظُّلْمَةَ أَعْمَتْ عَيْنَيْهِ

(رسالة يوحنا الأولى ٢ : ٩ - ١١)

أول ما يسترعى النظر فى هذه الفقرة ، هو الطريقة التى يصور بها « يوحنا » العلاقات الشخصية ، فى صورة (أبيض وأسود) ، فبالنسبة لإخوتنا فى الإنسانية ، هى حالة من الحب أو البغض ، ولا توجد حالة وسط بين الإثنتين . ويرى « يوحنا » أنه لا (حياد) فى العلاقات الشخصية ، أو كما يقول « وستكوت » ، إنه لا ازدواج فى العالم الروحى ، فالإنسان إما أن يكون سائراً فى نور المحبة ، أو فى ظلمة البغض والكراهية .

وبوسعنا الذهاب إلى ما هو أبعد من هذا ، فنلاحظ أن ما يتحدث عنه « يوحنا » ، هو موقف الإنسان من أخيه فى الإنسانية ، هذا الذى يسكن أو يعمل بالقرب منه ، أو الشخص الذى تضطره الظروف ، إلى الالتقاء معه ، والاحتكاك به ، فى حياته اليومية . يوجد نوع من المحبة ، يملؤها الحماس ونحن نعظ عنه ، هو تلك المحبة التى نحس بها نحو الوثنيين الذين لا يعرفون الله ،

القابعين هناك فيما وراء البحار ، لكن هذه المحبة لم نحس بها أبداً ، ولم تتجسم مطلقاً ، في علاقاتنا مع جيراننا الأقربين . كثيرون يستطيعون أن يعظوا عن المحبة ، التي ينبغي أن نكنها للدول الأخرى ، لكن المؤسف ، أن هؤلاء لم ينجحوا في العيش بسلام ، في نطاق حياتهم العائلية الخاصة ، وهو نطاق محدود . ويوحنا ينبر على المحبة من نحو إخوتنا الذين نعيش بينهم ، ونتعامل معهم ، في حياتنا اليومية . ويقول « ا. بروك » : « إن هذه ليست فلسفة مبتذلة ، أو دعوة عالمية ادعائية ، لكنها وصية عملية ، ينبغي أن نبادر إلى تنفيذها » .

ولقد كان « يوحنا » على حق . عندما رسم الخط الفاصل بين النور والظلام ، والحب والكراهية ، بدون ظلال أو مستويات مختلطة . فأخونا ، يعني شيئاً بالنسبة لنا ، ولا يمكن التغاضي عنه ، أو إسقاطه من المشهد ، والسؤال المهم الآن هو : كيف يمكننا أن نلاحظ أخانا ؟

توجد عدة طرق لملاحظة إخوتنا ورفاقنا :

١ ــ قد نعتبر هذا الرفيق كماً مهملا ، فنرسم خططنا ، دون أن نأخذه في الإعتبار ، فنحيا على أساس أنه لا شأن لنا به ، أو باحتياجاته ، أو مصالحه ، أو خلاصه ، وهكذا يصبح الإنسان أنانياً ، يركز كل اهتمامه في ذاته ، ويعتبر أنه ليس في العالم ما يهمه ، غير شخصه هو ، وربما يفعل الواحد منا هذا دون أن يدرى .

٢ ــ قد يحتقر الإنسان أخاه ، ويعتبره ساذجاً ، حينما يقارنه بنفسه ، وبالنسبة لما حبانا به الله من مواهب عقلية ، فنعتبر أفكاره سخافات ، كما نعتبر أنه ليس له حق البتة ، في أن يتكلم أو يبدى رأياً . بل يمكن أن نعتبره

غير ذى أهمية بالنسبة لنا ، خاصة من جهة ما نتمتع نحن به ، من كرامة وسطوة ونفوذ ، بل إننا يمكن أن ننظر إليه ، بمثل ما كان اليونانيون ينظرون إلى العبيد ، إذ كانوا يرون أنهم من سلالة أدنى ، ولا يصلحون إلا لأحقر الأعمال .

٣ ـ قد ننظر إلى هذا الأخ أو الرفيق ، على أنه عبء ثقيل ، أوجده سوء الحظ فى طريقنا ، ومن كانت له هذه النظرة ، يرى كل فرض تلزمه به المحبة نحو أخيه ، عبئاً وضريبة ، يؤديها لمن هو دونه . ويوجد كثيرون ، فى أعماق قلوبهم ، يحسون بالحب والعطف نحو المحرومين والفقراء . الذين يعانون من الحظ السيء ، والذين يعيشون فى أدنى المستويات ، لكنهم مع ذلك يعتبرونهم عبئاً لا يطاق .

٤ ـ قد ننظر إلى رفاقنا نظرة عدائية ، عندما نتخذ المنافسة قانوناً وقاعدة لحياتنا ، فنرى فى زميلنا فى العمل ، أو فى التجارة ، منافساً خطيراً ، وبالتالى ، ودون تلطيف أو تخفيف ، عدواً خطيراً ، وكل شخص نتصور أو نرى ، أنه يقف فى طريقنا ، نعتبره شخصاً من الواجب أن نزيحه من طريقنا حتى يخلو لنا الجو ، ونستريح من المنافسة والمنافسين .

٥ ـ قد ننظر إلى هذا الإنسان ، على أنه أخ لنا ، فنعامله بالمحبة ، ونعتبر احتياجاته احتياجاتنا ، فنفرح لفرحه ، ويسوؤنا ما يسوؤه ، وهكذا ، نعتبر ذواتنا موجودين هنا لخدمته ، ونفرح ونسر ونبتهج بعشرته ، ونعتبر رفقته لنا متعة ما بعدها متعة .

لا شك أن لكل منا مكاناً فى واحد من هذه الاتجاهات ، أو بتعبير آخر : إن شعورنا نحو رفاقنا قد يتسم إما بالحب أو بالكراهية .

تـأثير الحب والبغض

لكن يوحنا يذهب إلى أبعد من ذلك ، فهو يرى أن موقفنا من الآخرين ، لا يؤثر عليهم وحدهم ، لكنه يؤثر علينا نحن أيضاً :

١ ــ إن أحببنا الآخرين ، فنحن نسير فى النور ، ولن يكون فى حياتنا عندئذ ما يعثرنا . قد يقول اليونانى : « إننى إذ أحب أخى ، لا يكون فى حياتى ما يعثر الآخرين » ، وقد يكون هذا القول صحيحاً ولا غبار عليه . لكن « يوحنا » يواصل المسيرة إلى شوط أبعد ، فيقول : « إن أحببت أخى ، لا يكون فى حياتى ، ما يعثرنى أنا شخصياً » ، أو بمعنى آخر : « إن المحبة هى الشيء الوحيد ، الذى يساعدنا على النمو فى الحياة الروحية ، بينما الكراهية هى الشيء الوحيد ، الذى يعوقنا عن هذا النمو » .

وعندما نتأمل فى هذا ، نراه واضحاً جد الوضوح . إن كان الله محبة ، ووصية المسيح الجديدة هى أن نحب بعضنا بعضاً ، فعندئذ يكون الحب ، هو الشيء الوحيد ، الذى يقودنا إلى الاقتراب أكثر فأكثر ، من الآخرين ، ومن الله ، ويكون البغض ، هو الشيء الوحيد كذلك ، الذى يفصلنا عن الآخرين ، وعن الله . إن البغض يعوق الإنسان عن النمو ، لأنه يحول بينه وبين الله ، كما يحول بينه وبين رفاقه فى الحياة . وعلينا دائماً أن نتذكر ، أن من يطوى جوانحه على شعور بالبغض والمرارة ، وعدم الصفح عن أخطاء الآخرين ، مثل هذا الشخص ، لا يستطيع أن يحرز أى نمو فى حياته الروحية .

٢ ــ يقول « يوحنا » أيضاً : « إن من لا يحب أخاه ، يسير فى الظلمة ، ولا يعرف أين يذهب ، لأن الظلمة قد أعمت عينيه » ، أو بتعبير آخر : « الكراهية تعمى الإنسان » . وهذا أمر واضح أيضاً . عندما يطوى الإنسان

صدره ، على أى شعور بالسخط والكراهية ، تتوارى عندئذ قدرته على إصدار أحكام صحيحة ، وبالتالى لا يستطيع اتخاذ قرارات حكيمة ، لأنه لا يقدر أن يرى الأمور بقدر كاف من الوضوح . وليس غريباً أن ينظر الإنسان نظرة إزدراء ، لكل من يختلفون معه فى الرأى ، لأنه لا يحب الذين يعارضونه ، ويبغض الذين سبق له أن اشتبك معهم ، لتعارض آرائهم مع آرائه ، وهكذا مرة تلو الأخرى ، يقف العداء الشخصى عقبة كؤود ، فى وجه التقدم والنجاح ، فى أية خطة أو مشروع ، وبين أية كنيسة أو جماعة . وكل من كان فى قلبه أى إحساس بالبغض ، لا يصلح لاتخاذ أى قرار فى أى أمر ، كما أنه لا يستطيع أن يوجه حياته الوجهة السليمة ، عندما تسيطر عليه الكراهية والبغضاء .

إن الحب يساعد الإنسان على السير فى النور ، بينما تتركه الكراهية فى الظلام ، حتى إذا لم يعترف هو بصحة هذه الأقوال .

لنتذكر من نحن

أَكْتُبُ إِلَيْكُمْ أَيُّهَا ٱلْأَوْلَادُ لِأَنَّهُ قَدْ غُفِرَتْ لَكُمُ ٱلْخَطَايَا مِنْ أَجْلِ ٱسْمِهِ . أَكْتُبُ إِلَيْكُمْ أَيُّهَا ٱلْآبَاءُ لِأَنَّكُمْ قَدْ عَرَفْتُمُ ٱلَّذِي مِنَ ٱلْبَدْءِ . أَكْتُبُ إِلَيْكُمْ أَيُّهَا ٱلْأَحْدَاثُ لِأَنَّكُمْ قَدْ غَلَبْتُمُ ٱلشِّرِّيرَ . أَكْتُبُ إِلَيْكُمْ أَيُّهَا ٱلْأَوْلَادُ لِأَنَّكُمْ قَدْ عَرَفْتُمُ ٱلْآبَ . كَتَبْتُ إِلَيْكُمْ أَيُّهَا ٱلْآبَاءُ لِأَنَّكُمْ

قَدْ عَرَفْتمْ ٱلَّذِى مِنَ ٱلْبَدْءِ . كَتَبْتُ إِلَيْكُمْ أَيُّهَا ٱلْأَحْدَاثُ لِأَنَّكُمْ أَقْوِيَاءُ وَكَلِمَةُ ٱللهِ ثَابِتَةٌ فِيكُمْ وَقَدْ غَلَبْتمْ ٱلشِّرِيرَ .

(رسالة يوحنا الأولى ٢ : ١٢ - ١٤)

هذا فصل رائع ، ونظراً لما فيه من جمال فائق ، لن تقعدنا المشاكل التفسيرية التي تواجهنا عن دراسته ، لكي ندرك معناه . ولا مفر لنا من أن نبدأ دراستنا بشيئين محددين :

أولا : من جهة الصياغة ، هذا الفاصل ليس شعراً مضبوطاً بحسب قوانين الشعر وضوابطه ، لكنه رغم هذا ، له طابعه الشاعرى ، وعلينا لهذا ، أن نفسره كما يفسر الشعر .

ثانياً : بالنسبة للتحذيرات التي يقدمها«يوحنا»لرعيته ، من أخطار الظلام وحثهم على السير فى النور ، وضرورة سيرهم فيه .

وها هو يقول لهم الآن ، إنه أفضل لهم فى جميع الأحوال ، أن يتذكروا حالهم التي كانوا عليها قبلا ، وما تم القيام به من أجلهم . لا يهم من يكونون طالما أن خطاياهم قد غفرت ، وهم يعرفون الذى كان منذ البدء ، وفى هذا الخصوص كذلك لايهم من يكونون ، كما أن هذا أيضاً لا يهم ، لأن لهم القوة التي بها يمكنهم ، أن يقاوموا الشرير ويغلبوه . لكن عندما يكون المسيحي فى مواجهة مع الخطية ، هنا عليه أن يتذكر من هو ، وماذا يكون ، وما الذى عمله الله فى المسيح من أجله . عندما طلب من « نحميا » أن يقبل سلاماً مبنياً على الجبن والهرب ، كان رده : « أشخص مثلي يهرب ! ؟ » (نحميا ٦ : ١١) .

وعندما تأتى التجربة إلى شخص مسيحى ، عندئذ ينبغى أن يكون رده : « أشخص مثلى ينحدر إلى هذا المستوى الوضيع . ويدنس يديه بعمل الشر ! ؟ » إن الشخص الذى نال الغفران ، والذى أصبح يعرف الله ، والذى يتذكر أنه يستطيع أن ينال قوة ، تفوق بكثير قوته الذاتية ، مثل هذا الشخص ، يكون عنده خط دفاع قوى وحصين ضد التجربة ، بمجرد أن يذكر ببساطة من هو ، وما الذى قد عمل من أجله .

لكن قلنا إن هذا الفاصل له مشكلات . أولاها فى غاية البساطة ، وتختص بتغيير زمن الفعل المستخدم . لماذا يقول « يوحنا » ثلاث مرات : « أكتب إليكم الآن » . ثم ثلاث مرات أخرى يقول : « قد كتبت إليكم » ، لماذا تغير الزمن من المضارع إلى الماضى ؟ يرى البعض أنه لا فرق ولا اختلاف بين الزمنين ، فالترجمة اللاتينية « الفولجاتا » . تورد الفعلين فى المضارع ، كما قيل إن « يوحنا » قد لجأ إلى تغيير الزمن . لإيجاد تنويع فى الأسلوب ، وتجنبا للتكرار المؤدى إلى الملل . وهناك رأى يقول إن كتاب الرسائل ، درجوا عند كتابة رسائلهم ، على استخدام الزمن الماضى بدل المضارع ، لأنهم كانوا يضعون أنفسهم فى مكان القارئ ، الذى سوف يتلو رسائلهم فيما بعد زمن كتابتها . فالزمن المضارع وقت الكتابة ، يصبح ماضياً عند قراءتها ، وبدلا من القول : « أنا ذاهب اليوم إلى المدينة » ، كان كاتب الرسالة يقول « ذهبت اليوم إلى المدينة » ، وإذا كان الأمر كذلك ، لن يكون ثمة اختلاف ، بين قول «يوحنا» : « أنا أكتب » ، وقوله : « أنا كتبت » . وهذا هو الرأى الأرجح فى نظرى . فعندما يقول يوحنا : « أنا أكتب » . ، كان ذهنه يتجه إلى ما كان يخطه على الرق فى التو واللحظة ، وما هو مزمع أن يكتبه فى رسالته ، وعندما كان يقول : « قد كتبت » ، لا شك أنه كان يقصد الإشارة إلى ما كان قد سبق وانتهى

من كتابته ـ من فقرات الرسالة ، والتى كان هو قد سبق وكتبها ، والتى يكون قراؤها ، قد سبق وقرأوها ـ قبل وصولهم إلى هذا الفصل . وهكذا يكون المقصود ، هو الإشارة إلى الرسالة بكل أجزائها ، ما كان قد سبق وكتبه ـ وما كان يكتبه الآن ، وما سوف يكتبه فيما بعد . وهذا كله ، كان يقصد تذكير المسيحيين بما يلى : « من هم ، لمن هم ، وما الذى تم فعله من أجلهم ». لقد ركز « يوحنا » اهتمامه بالدرجة الأولى ، على أنه على المسيحى أن يتذكر دائماً ، ماله فى « يسوع المسيح » ، من فوائد وبركات ، لأن هذه يجب أن تكون دفاعه الأول ، فى مواجهة الخطيئة والخطأ .

على كل مستوى

المشكلة الثانية ، التى تواجهنا ، أكثر صعوبة مين سابقتها ، وأكثر أهمية منها ، « فيوحنا » يستخدم ثلاث كلمات عندما يشير إلى الشعب الذى يكتب إليه : فمرة يدعوهم « أولاد » فى (عدد ١٢) ، وفى (عدد ١٣) يدعوهم « أحداث » ، والكلمة اليونانية المستخدمة فى المرة الأولى هى « تكنيا » ، وهى تشير إلى حدث صغير السن ، بينما يستخدم فى المرة الثانية كلمة « پايديا » ، ومعناها شخص حديث فى الاختبار ، وهو لهذا فى حاجة إلى تدريب وترتيب . ثم بعد ذلك يدعوهم « آباء » . وهنا يواجهنا سؤال : من هم هؤلاء الذين يكتب إليهم «يوحنا»، ويدعوهم مرة « الأولاد »، وأخرى « الأحداث » ، وأخيراً يدعوهم « الآباء » ؟ لدينا إجابات ثلاث على هذا السؤال :

١ ـ يقول البعض ، إننا يجب أن نأخذ هذه الكلمات ، على أنها تشير إلى ثلاث مجموعات من الناس ، مختلفى الأعمار فى الكنيسة : « الأولاد »

يتمتعون بما تتميز به مرحلة الطفولة من جمال البراءة والغفران ، ومثل هؤلاء « لهم ملكوت السموات » ، و « الآباء » يتميزون بالحنكة والحكمة ، التى اكتسبوها من الإختبار المسيحى . من السنين التى قضوها مع ذاك «الذى كان من البدء » . . فتعلموا منه الكثير . بينما يتميز الشبان . بما لديهم من قوة . تساعدهم فى صراعهم مع الشرير ، وتعطيهم الغلبة فى حربهم الشخصية مع الخطية . ولا شك فى أن هذا رأى وجيه . لكننا نتردد فى قبوله لثلاثة أسباب :

(ا) « أيها الأولاد » ، تعبير من التعبيرات التى يحبها « يوحنا » ويعشقها ، ولهذا استخدمه كثيراً . (انظر ص ٢ : ١ و ١٢ و ١٨ ، ص٣ : ٧و٨ ، ص٤ : ٤ ، ص ٥ : ٢١) . ومن الواضح أنه فى المواضع الأخرى التى استخدم فيها «يوحنا» هذا التعبير ، لم يكن يقصد به الأطفال الأحداث من جهة سنى العمر ، لكنه كان يقصد به أولئك المسيحيين ، الذين كانوا أبناء له ، ولدهم فى الإيمان ، وفى ذلك الوقت كان «يوحنا» . قد بلغ من العمر ما يقرب من مائة سنة ، وكل الأعضاء فى الكنائس التى كان يقوم على رعايتها كانوا من جيل آخر أقل منه سناً بكثير ، وهؤلاء بالنسبة له كانوا أولاداً صغاراً ، تماماً مثلما يقول أى أستاذ لتلاميذه فى أيامنا : « يا أولادى » ، رغم كونهم قد بلغوا مرحلة الرجولة .

(ب) حقيقة كون هذا الفاصل يشبه الشعر ، يدفعنا إلى المضى فى التفكير قبل التمسك بمثل هذا التفسير الحرفى لكلماته ، بحسب معناها الظاهرى .

(ح) وربما كانت أعظم الصعوبات جميعاً ، هي أن البركات التي تحدث عنها « يوحنا » ، لم تكن وقفاً على أناس ينتمون إلى فئة بعينها من فئات السن ، فالغفران ليس مقصوراً على الأطفال وحدهم : كما أن المسيحي ، رغم حداثة سنه ، قد يتميز بالنمو المذهل . كما أن القوة التي ينتصر بها الإنسان على العدو المجرب ، ليست وقفاً على الشباب دون سواهم . ونحن نشكر الله من أجل هذا . كما أننا لا ننفي نفياً قاطعاً . أن يوحنا كان يتجه بتفكيره ، إلى مجموعات من هذه الفئات ، لأنه لا بد أن يكون لديه مثل هذا التفكير . لكن « يوحنا » كان يتميز بأن له طريقته الخاصة ، إذ أنه كان يقول أموراً تمكن أخذها على محملين ، أحدهما محمل ضيق محدود ، والآخر أوسع وأشمل ، وبينما نجد هنا المحمل الأضيق ، لكن علينا أن نجاوزه إلى ما هو أبعد وأكمل .

٢ ـ هناك رأي يقول بأننا نجد هنا مجموعتين : الأولاد هم جماعة المسيحيين عموماً ، فجميع المسيحيين أولاد ، ولهذا هم ينقسمون إلى مجموعتين الأولاد . والأبناء ، الأحداث والشيوخ ، النامون ، والذين يبدو أنهم لم يحرزوا أي نمو ، وهذا المعنى قريب الاحتمال ، لأنه لا شك في أن رعية « يوحنا » ، قد اعتادوا أن يسمعوا منه هذا النداء : « أيها الأولاد » ، وعلى هذا الأساس ، لا يمكن اعتبار أن هذا الكلام ، يشير إلى مرحلة بعينها من مراحل العمر ، لكنها تشير إليهم أجمعين .

٣ ـ يقال إن المسيحيين بوجه عام ، هم الأولاد المشار إليهم في جميع الحالات ، وإنه لم يكن المقصود تقسيمهم إلى فئات ، لأن المسيحيين في جميع أنحاء المسكونة ، جماعة واحدة ، وهم جميعاً يشبهون الأولاد الصغار ،

لأنهم جميعاً ، يستطيعون العودة إلى حال البراءة كالأولاد ، بالغفران الذى ينالونه من يسوع المسيح ، كما أن جميع المسيحيين كالآباء ، الذين وصلوا إلى مرحلة النمو وتحمل المسئولية ، ويعرفون جيداً ، كيف يقدرون أن يتعمقوا فى معرفة يسوع المسيح ، كما أن جميع المسيحيين شبان مملوؤون قوة ، ولديهم طاقة جبارة للحرب والإنتصار ، فى حربهم مع الشيطان . ويبدو أن هذا هو المعنى . الذى كان يرمى إليه « يوحنا » . فعندما نقرأ أقواله ، قد يتجه تفكيرنا لأول وهلة ، إلى تقسيم المسيحيين إلى فئات بحسب السن ، وقد نقف عند هذا الحد . لكن مع مواصلة التأمل ، يمكننا أن ندرك أن البركات المسيحية الموعودة ، هى بركات عامة . لجميع الفئات ، وليست قاصرة على فئة منها دون الأخرى ، كما أن كل واحد منا ، يستطيع أن يجد لنفسه مكاناً ، بين كل فئة من هذه الفئات ، أو المجموعات الثلاث .

هبات الله فى المسيح

وهذا الفصل يبين لنا بكل جلاء ، أن كل الهبات التى يقدمها الله للبشر ، يعطيها لهم فى شخص المسيح يسوع :

١ — هبة «الغفران فى المسيح يسوع ».وهذه هى رسالة الإنجيل الأساسية ، كما أنها كانت رسالة الوعاظ فى فجر المسيحية ، فقد أرسلهم الله ، ليكرزوا بالتوبة ومغفرة الخطايا (بشارة لوقا ٢٤ : ٤٧) ، كما كانت هذه هى رسالة بولس فى أنطاكية بسيدية ، إذ كان « ينادى للناس بغفران الخطايا » (أعمال الرسل ١٣ : ٣٨) . والغفران معناه أن يكون الإنسان فى سلام مع الله ، ومقيما فى شركة وصداقة معه ، وهذه هى العطية الأساسية ، التى جاء بها يسوع للبشر .

ويستخدم يوحنا هذا التعبير العجيب : « فى اسمه » ، فالغفران يأتى فى اسم « يسوع المسيح » .

وهذا التعبير . استخدمه اليهود بطريقة خاصة جداً . فالإسم المقصود ، ليس هو الإسم الذى يطلق على الإنسان . لكنه يشير إلى كل خصائص الشخص وطبيعته ، بحسب ما عرف به ، وأعلن عنه للبشر ، وقد وردت كلمة « إسم » بهذا المعنى فى سفر المزامير : « ويتكل عليك العارفون اسمك » (مزمور ٩ : ١٠) ، وواضح هنا أن المقصود ، ليس أن جميع الذين يعرفون اسم « يهوه » ، لكن الذين يعرفون طبيعته وصفاته ، هم الذين يتكلون عليه ، لأنهم بحسب معرفتهم له بحسب طبيعته وصفاته ، وطبعه الذى أعلن من قبل للناس ، سيكون لدى هؤلاء الاستعداد ، لإلقاء كل اتكالهم عليه ، ووضع كل ثقتهم فيه . والقول « من أجل اسمك اغفر إثمى » (مزمور ٢٥ : ١١) معناه ، من أجل خاطر محبتك ورحمتك إغفر لى خطيتى ، فالمرنم فى المزمور ، يتخذ من طبيعة الله وصفاته ، كما عرفها بالضبط ، أرضية وأساساً لصلاته ، وعندما يصلى المرنم قائلا : « من أجل اسمك تهدينى وتقودنى » (مزمور ٣١ : ٣) ، يقدم طلبته هذه لأنه عرف اسم الله ، وشخصيته ، وطبيعته ، كما يقول المرنم : « هؤلاء بالمركبات وهؤلاء بالخيل أما نحن فاسم الرب إلهنا نذكر » (مزمور ٢٠ : ٧) ، وبهذا القول يقصد المرنم أن يقول ، إن بعض الناس يتكلون على معونات أرضية ، لكن نحن ، نتكل على الله ، لأننا نعرف اسمه ، وطبعه ، ومحبته ، ورحمته .

وهكذا يكون المعنى المقصود بقول « يوحنا » ، إننا واثقون من أن الله قد غفر لنا خطايانا ، لأننا نعرف طبيعة يسوع المسيح وشخصيته ، ونحن نعلم أن « يسوع » هو صورة الله ، وأننا فيه ، نرى المحبة المضحية الباذلة ،

والرحمة المتأنية الصابرة. وما دامت هذه هي صورة الله . إذاً فنحن واثقون من مغفرة هذا الإله المحب الصابر لخطايانا . وصفحه عن آثامنا .

٢ — ثم أيضاً هبة « معرفة الله المتزايدة »، ولا شك في أن فكر « يوحنا ». كان مشغولا باختباره هو الشخصي . لقد كان يكتب هذا الكلام حوالي سنة ١٠٠ م . ، وقبل ذلك بسبعين عاماً تقريباً ، عاش المسيح ، وكانت له أفكاره عنه ، وها هو الآن ، قد أصبح شيخاً ، لكنه في كل يوم ، كان يحصل على معرفة أفضل للمسيح . والمعرفة عند اليهود ، لم تكن مجرد المعرفة العقلية . فمعرفتهم لله ، كانت تختلف عن معرفة الفلاسفة له ، لقد عرفوه كصديق . وفي العبرية ، كلمة « يعرف » ، تستخدم للإشارة إلى العلاقة بين الرجل وزوجته ، وخاصة من الناحية الجنسية ، وهي العلاقة الأساسية بين العلاقات جميعاً (انظر تكوين ٤ : ١) . فمعرفة الشخص . تعني الاتحاد مع هذا الشخص اتحاداً جوهرياً ومتكاملا ، وعندما تحدث « يوحنا » عن المعرفة المتزايدة لله ، لم يكن يقصد . أن المسيحي يصبح أكثر فأكثر وبالتدريج . لاهوتياً متعمقاً في العلم والمعرفة . لكنه كان يقصد . أنه بمرور الزمان . يمكن للمسيحي أن يصبح . أكثر ارتباطاً بالله كمحب . وكصديق .

٣ — هناك أيضاً هبة « القوة الظافرة » ، ومما هو جدير بالملاحظة ، أن « يوحنا » ينظر إلى الصراع مع التجربة ، على أنه صراع شخصي . إنه لا يتكلم في نظرية الإنتصار على الشر ، لكنه يتحدث عن الانتصار على الشرير ، فهو يرى أن الشر قوة ذاتية ، تحاول هزيمتنا وإبعادنا عن الله . وذات مرة ، عندما كان « روبرت لويس ستيفنسون » يتحدث عن اختبار له ، لم يذكره بالتفصيل ، قال لمن كان يتحدث إليه : « أنت تعرف محطة كاليدونيا في أدنبره ، مرة قابلني الشيطان هناك » ، ولا شك أننا جميعاً

ليس بيننا واحد لم يختبر مهاجمة المخرب له . وهجومه الشخصي للنيل من إخلاصنا وفضيلتنا . وإننا في المسيح ، ننال القوة ، التي بها يمكننا أن نواجه مهاجمات الشيطان . ونصده ، ونهزمه . وكمثال لذلك نقول ، إننا جميعاً نعرف أن هناك أناساً ، يمكننا بسهولة أن نصبح أردياء في محضرهم . كما يوجد على العكس من هؤلاء ، أناس آخرون ، لا يمكننا في حضورهم ، إلا أن نكون صالحين وطيبين .

وعندما نمشي مع « يسوع » . وننشغل بذكره على الدوام ، ونحس بحضوره معنا باستمرار ، عندئذ ، نكون سائرين بصحبة ذاك ، الذي في رفقته ، يمكننا أن نهزم الشرير ، وننتصر عليه انتصاراً دائماً .

مزاحمون للقلب البشرى

لَا تُحِبُّوا ٱلْعَالَمَ وَلَا ٱلْأَشْيَاءَ ٱلَّتِي فِي ٱلْعَالَمِ . إِنْ أَحَبَّ أَحَدٌ ٱلْعَالَمَ فَلَيْسَتْ فِيهِ مَحَبَّةُ ٱلْآبِ . لِأَنَّ كُلَّ مَا فِي ٱلْعَالَمِ شَهْوَةَ ٱلْجَسَدِ وَشَهْوَةَ ٱلْعُيُونِ وَتَعَظُّمَ ٱلْمَعِيشَةِ لَيْسَ مِنَ ٱلْآبِ بَلْ مِنَ ٱلْعَالَمِ . وَٱلْعَالَمُ يَمْضِي وَشَهْوَتُه وَأَمَّا ٱلَّذِي يَصْنَع مَشِيئَةَ ٱللهِ فَيَثْبُتُ إِلَى ٱلْأَبَدِ .

(رسالة يوحنا الأولى ٢ : ١٥ ـ ١٧)

كان من خصائص التفكير القديم ، النظر إلى العالم ، من وجهتي نظر متباينتين ، وهذه الخاصية واضحة جد الوضوح ، في الزرادشتية ، الديانة الفارسية ، وهي ديانة كان اليهود قد اتصلوا بها ، وتركت طابعها على تفكيرهم.

فقد نظرت الزرادشتية إلى العالم ، على أنه ميدان ، تتصارع فيه قوتان ، هما النور والظلام ، متمثلتين فى « أهورا مازدا » إله النور ، و « أهورا مينيو » إله الظلام ، وهذان الألهان فى صراع دائم منذ الأزل . وأعظم قرار يتخذه الإنسان ، هو اختيار الجانب الذى ينحاز إليه . وكان على كل واحد أن يقرر ويختار ، إما أن ينحاز إلى جانب النور ، أو ينضم إلى جناح الظلام ، وهذا الفكر كان معروفاً تماماً لليهود . لكن بالنسبة للمسيحى ، كانت هناك خلفية أخرى ، للصراع القائم بين العالم وبين الكنيسة . وقد استمر اليهود لعدة قرون يؤمنون بعقيدة أساسية واحدة ، وبالنسبة لهم ، كان الزمن قسمين ، الحاضر وهو شر بجملته ، والزمان الآتى ، وهو خير بجملته ، وكان المسيحى يؤمن كذلك بعقيدة أساسية ، هى أن الزمان الآتى ، الذى كان اليهود يرجونه وينتظرونه ، هذا الزمان قد جاء فى المسيح ، وأن ملكوت الله قد حل ، وهذا الملكوت لم يأت فى العالم ولأجله ، لكنه جاء فقط فى الكنيسة ، ومن أجلها ، وهكذا كان هناك تباين فى الفكر ، واختلاف فى وجهات النظر . ففى الكنيسة ، كانت حياة المسيحى ، هى حياة الدهر الآتى ، حياة الملكوت ، حياة الصلاح المسلمة بجملتها لله . من ناحية أخرى ، كان العالم لا يزال يحيا حياة العصر الحاضر ، العصر الذى كان مسلماً للشر بالتمام . ولهذا كان هناك بالتبعية تباين واختلاف ، بين الكنيسة والعالم ، وبالتالى لم يكن ممكناً ، أن تقوم بينهما أية شركة أو مصالحة ، أو حتى طريق وسط ، وهذا هو الذى دعا « يوحنا » ، إلى وضع حد فاصل وواضح ، يفصل بين الكنيسة والعالم .

لكن علينا أن نفهم ، ما كان يعنيه « يوحنا » بالعالم . فالعالم كما سبق ورأينا ، هو « كوزموس » فى اليونانية ، ولم يبغض المسيحى العالم أو ينسحب منه ، كما أنه لم يرفض مثل هذا العالم ، الذى هو من صنع الله ، وقد صنع الله فيه كل شىء حسناً . ولقد أحب « يسوع » جمال العالم ، و « سليمان »

فى كل مجده ، لم يكن يلبس كواحدة من زنابق الحقل ، التى توجد اليوم وتطرح غداً فى التنور ، وما أكثر ما أخذه « يسوع » من الطبيعة ومن العالم ، من أمثال وتصويرات ، ولا يبغض المسيحى العالم بهذا المعنى ، لأن الأرض ليست للشيطان ، بل « للرب الأرض وملؤها » .

أما كلمة « كوزموس » هذه ، فلها معنى روحى . إنها بدأت تستخدم للإشارة إلى حياة العالم بعيداً عن الله ، وهكذا يكون مفهوم العالم عند «يوحنا» هو المجتمع البشرى الذى تأسس على مبادئ خاطئة ، وتميز برغبات دنيئة ، وقيم رخيصة ، مجتمع الأنانية وحب الذات ، المجتمع الذى سجد لآلهة كاذبة . هذا هو العالم المشار إليه فى هذه الفقرة ، أو بمعنى أوضح ، العالم الذى كان يقصده « يوحنا » ، هو المجتمع الوثنى ، بما كان يحكمه من مبادئ فاسدة ، فلم يكن « يوحنا » يقصد العالم بوجه عام ، العالم الذى قيل عنه : « هكذا أحب الله العالم » ، وإنما كان يقصد العالم الذى نسى إلهه ، الإله الذى كونه .

وبالنسبة للوضع الذى كان قائماً بين رعية « يوحنا » ، كان هناك عامل جعل الأمر أشد خطراً ، وواضح من سياق الكلام ، أنهم لم يكونوا معرضين لمواجهة خطر الاضطهاد ، رغم كونهم غير محبوبين من العالم ، لكنهم لهذا كانوا عرضة للوقوع فى أمر التجارب وأقساها ، تجربة التفاهم مع العالم ، واعتناق مبادئه ، واعتناق قيمه ومثله ، وهكذا ينزلون بحياتهم إلى مستوى العالم ، وبهذه الطريقة ، تتلاشى الفوارق ، وتتساوى الكنيسة بالعالم ، وتتم المشابهة بين المسيحيين وأهل العالم ، بزوال الاختلاف ، هذا الاختلاف الذى يمثل صعوبة دائمة بالنسبة للمسيحيين فى كل زمان ، والذى كان أمراً صعباً بوجه خاص ، بالنسبة لأولئك الذين كتب إليهم « يوحنا » هذه الرسالة .

وحتى وقتنا الحاضر ، لا يستطيع المسيحى أن يتنصل من الإلتزام بأن

يكون مختلفاً عن العالم . وفى هذا الفصل ، يرى يوحنا الأمور ، كما يراها دائماً ، أبيض وأسود فقط ، وعلى حد تعبير « وستكوت » : « لا يمكن أن يكون هناك فراغ فى النفس البشرية » . وهذا أمر لا يمكن أن يكون فيه حل وسط ، فإما أن يحب الإنسان العالم ، وإما أن يحب الله ، وقد قال « يسوع » : « لا يقدر أحد أن يخدم سيدين » (بشارة متى ٦ : ٢٤) ، وهكذا يبقى الاختيار النهائى كما هو . أيهما نقبل . المبادئ الإلهية أم العالمية ؟ وأيهما نطيع .. الله أم العالم ؟

حياة بلا مستقبل

هناك شيئان يقولهما « يوحنا » عن الشخص الذى يحب العالم ويتفق معه :

(أولا) يعدد يوحنا الخطايا ، التى تعتبر خطايا العالم المثالية ، ونختار ثلاثاً منها :

١ — « شهوة الجسد » ، ولهذه معنى أبعد ، من المعنى الذى نقصده نحن بقولنا « خطايا الجسد » ، فهذا التعبير يشير بوجه العموم ، إلى الخطية الجنسية ، ولكن الجسد فى العهد الجديد ، هو ذلك الجزء من كياننا ، الذى يكون رأس جسر للخطية ، عندما يكون بعيداً عن نعمة « يسوع المسيح » . فهو يتضمن فيما يتضمنه ، خطايا الشهوة الجنسية ، كما يتضمن أيضاً ، المطامع العالمية ، والأهواء الذاتية . وعندما يكون الإنسان عبداً لشهوة الجسد ، فانه يحكم بحسب مقاييس مادية صرف ، أو بمعنى آخر ، يحيا الإنسان تحت سيطرة الحواس ، فيكون شرها فى تناول الطعام ، كما يكون شهوانياً منحلا ، أنانياً ، لا يعير القيم الروحية أو الخلقية أى اهتمام ، متطرفاً فى تحقيق رغائبه وميوله العالمية ، والأرضية ، والمادية ، لا يأبه بوصايا الله ، ولا أهمية عنده أو

اهتمام . بالدينونة أو المبادئ الإلهية . كما أنه لا يأبه حتى بوجود الله ذاته ، ولا حاجة بنا إلى النظر إلى هذه الخطية . على أنها خطية الإنسان الشرير ، البذىء ، الوقح . ذى السمعة الرديئة . لأن كل من يطلب مسرة تترتب عليها إساءة إلى شخص آخر ،وكل من لا يحترم شخصيات الآخرين ، وهو يمارس ميوله الخاصة ، وكل من يحيا حياة البذخ . بينما يعانى آخرون من شظف العيش ، وكل من يتخذ راحته الشخصية إلهاً له . وكل من يركز كل همه فى تحقيق طموحه الشخصى . فى أى ناحية من نواحى الحياة . كل من يفعل هذه الأمور . أو واحداً منها . يعتبر خادماً خاضعاً لميول الجسد .

٢ — « شهوة العيون » . وقد قال عنها أحدهم ، إنها الميل إلى التمسك بالمظهر الخارجى . والروح التى تمثل الإسراف فى التباهى ، بالسعادة الحقيقية والنجاح الحقيقى — إنها الروح التى لا تستطيع أن ترى شيئاً ، بغير أن تشتهى امتلاكه . ومتى امتلكته . تتباهى به أمام الآخرين . إنها الروح التى تظن أن السعادة تكمن فى المنظور . فى الأشياء التى يمكن اقتناؤها بالمال ، والقيم المادية ، هى وحدها القيم المعتبرة عندها . هذه هى الحياة التى باعت نفسها للأمور المنظورة والزائلة ، ناسية الأمور الأبدية غير المنظورة .

٣ — « تعظم المعيشة » . أو « افتخار الحياة الكاذبة » . وهنا يستخدم « يوحنا » كلمة يونانية فى غاية القوة : « ألازونيا » . وللروحانيين القدامى . كان الـ « ألازون » هو الشخص الذى يدعى إمتلاك أشياء أو ممتلكات . أو أعمال أو منجزات . ليست له . بقصد التأثير على الآخرين . وهذا هو الشخص المتبجح. أو على حد قول أحدهم : «الـ ألازونيا »هى الأنانية التظاهرية » . تلك التى تمثلت فى شخص ما كان يقف فى أحد الموانئ ، ويتفاخر بالسفن الموجودة فى البحر ، ويتحدث عن رفاقه وأصحابه . من

ذوى النفوذ والسلطان، والرسائل التى يتبادلهامع من مشاهير الرجال، ويسرد على مسامع الملأ ، قوائم بتبرعاته الحبية ، وخدماته الخيرية ، وممتلكاته التى يقفها على وجوه البر والخيرات ، ويتحدث عن البيت الذى يقيم فيه ، والبيت الأكبر الذى عزم على شرائه ، لكى ينتقل إلى الإقامة فيه ، لكى يناسب مركزه ويتسع لمتعته ، كل هذا يقوله ، وهو لا يملك شروى نقير ، ولا رصيد له فى أى بنك ، غير بنك الدم ، الذى يبيعه كمية من دمه من آن إلى آخر . وكل حديثه خيال فى خيال ، وقصوره ليست سوى قصور فى الهواء ؛ مثل هذا الشخص هو الــ « ألازون » ، الذى يفخر بما لا يملك . ويقضى حياته كلها فى محاولة للتأثير على الآخرين ، وإقناعهم بأنه شخص مهم .

ورجل العالم فى نظر « يوحنا » ، هو الرجل الذى يسرف فى التفاخر والتباهى ، ويحاول أن يرسم لنفسه صورة أكبر من صورته الحقيقية، وهو الرجل الذى يحكم على كل شىء بحسب شهواته .

بعد ذلك يأتى «يوحنا» إلى تحذيره الثانى ، فالرجل الذى يربط نفسه بميول العالم وأهدافه وخططه ، هذا الرجل ، يعطى نفسه لأشياء ، لا مستقبل لها بحسب المعنى الحرفى ، لأنها جميعاً أشياء زائلة ، ليست لواحد منها خاصية البقاء أو الدوام . إنها كلها عرضة للتغيير والفساد . أما الرجل الذى جعل الله مركزاً لحياته ، فقد سلم حياته لأمور أبدية باقية . رجل العالم مقضى عليه بخيبة الأمل، بينما رجل الله ، سيكون الفرح الدائم الباقى هو نصيبه المؤكد . فيوحنا يريد أن يوضح ، أن الأحمق هو الذى يهب حياته ، لأمور فانية وزائلة بطبعها ، وأن الحكيم هو الإنسان الذى يكرس حياته للأمور الثابتة الباقية ، والخالدة إلى الأبد .

وقت الساعة الأخيرة

أَيُّهَا ٱلْأَوْلَادُ هِيَ ٱلسَّاعَةُ ٱلْأَخِيرَةُ . وَكَمَا سَمِعْتُمْ أَنَّ ضِدَّ ٱلْمَسِيحِ يَأْتِي قَدْ صَارَ ٱلْآنَ أَضْدَادٌ لِلْمَسِيحِ كَثِيرُونَ مِنْ هُنَا نَعْلَمُ أَنَّهَا ٱلسَّاعَةُ ٱلْأَخِيرَةُ .

(رسالة يوحنا الأولى ٢ : ١٨)

إنه لمن الأهمية بمكان ، أن نفهم ما يعنيه يوحنا ، عندما يتحدث عن « الساعة الأخيرة »، و « الأيام الأخيرة » . و «الساعة الأخيرة » ، تعبير شائع الاستعمال فى أسفار الكتاب المقدس ، لكنها تشير إلى معان متعددة ، وهناك تطور ممتع ، بالنسبة لمعنى هذا التعبير :

١ — استخدم هذا التعبير فى الكتب المبكرة من أسفار العهد القديم . فيعقوب قبل موته مثلا ، يجمع أبناءه ليخبرهم بما يصيبهم فى آخر الأيام (تكوين ٢٩ : ١ ، قارن سفر العدد ٢٤ : ١١) . « آخر الأيام » فى ذلك الوقت ، كانت هى تلك الأيام التى سيدخل فيها شعب إسرائيل أرض الموعد، ويبلغون أقصى درجات البهجة والتمتع ، ببركات الله التى كانوا قد وعدوا بنوالها .

٢ — فى الأنبياء ، كثيراً ما نقرأ هذا التعبير ، فغاية آمال « إشعياء » ، هى أن « يكون جبل بيت الرب ثابتاً فى رأس الجبال ، ويرتفع فوق التلال ، وتجرى إليه الأمم » (أشعياء ٢ : ٢ ، ميخا ٤ : ١) ، ومدينة الله المقدسة ، ستكون لها فى آخر الأيام ، مكانتها المرموقة ، وشعب إسرائيل يقدم للرب

الطاعة الكاملة التى يطلبها . (قارن إرمياء ٢٣ : ٢٠ و ٣٠ : ٢٤ و ٤٨ : ٤٧) وفى تلك الأيام سيكون شعب الله فى غاية الطاعة ، ويعطى لله المركز الأول فى حياته .

٣ ــ فى العهد القديم ، وفى فترة ما بين العهدين ، ترتبط الأيام الأخيرة بيوم الرب ، وهذه الفكرة أعمق ما فى الكتاب المقدس من أفكار ، وكثيراً ما ترد فى تلك الكتابات بهذا المعنى . وكان اليهود يعتقدون أن الزمن ينقسم إلى عصرين ، « العصر الحاضر » وهو شرير للغاية ، وكله شر فى شر ، ثم « الزمان الآتى » ، الذى هو العصر الذهبى ، عصر سيادة الله ، وبين العصرين يأتى يوم الرب أو الأيام الأخيرة ، وهى فترة رعب وانحلال عالمى ، وزمان دينونة . كما أنها ستكون فترة تمخض وانبثاق العصر الجديد ، والعالم الجديد .

وهنا ينبغى أن نلاحظ أن « الأيام الأخيرة » ، أو « الساعة الأخيرة » ، لا تشير إلى وقت انتهاء أو انحلال كل شيء ، أو الزمن الذى لا يبقى فيه شيء فى هذا الوجود ، كما كان فى بدء الزمان . إن « الزمان الأخير » بحسب الفكر الكتابى ، يشير إلى انتهاء عصر ، وابتداء عصر آخر ، فهو لا يشير فقط إلى وقت خراب ودمار ، لكنه أيضاً يشير إلى عهد تجديد وتعمير . وهو زمان أخير ، بمعنى أن تلك الأشياء الموجودة فيه الآن ، ستنتهى وتزول ، لكن هذا لن يؤدى إلى فناء العالم وزواله ، وإنما سيتم فيه كذلك تجديد العالم . أو بعبارة أخرى ، لن تكون « الأيام الأخيرة » أو « الساعة الأخيرة » ، وقت خراب ودمار ، لكن فيها يتم تكميل العالم ، وهذه هى النقطة المركزية فى الموضوع كله ، وهكذا نأتى إلى سؤال : هل ستكون دينونة القديم نهاية للإنسان ، أم أنه سيتمتع بدخول العصر الجديد ؟ هذا هو الاختيار الذى يضعه « يوحنا » ، بل وجميع كتاب أسفار الكتاب المقدس أمام البشر ،

لكى يوازنوا بين الأمور ، ويختاروا من بينها الأفضل لأنفسهم ، والناس أحرار فى اختيار ما يربطون ذواتهم به ، عليهم أن يختاروا إما العالم القديم المحكوم عليه بالخراب والإنحلال ، أو المسيح ، والدخول فى العالم الجديد ، الذى هو عالم الله . هنا نجد إلحاح « يوحنا » ، إذا كان الخراب الكامل أمراً ميسوراً . فليس فى وسع أحد أن يفعل شيئاً على الإطلاق فى هذا الخصوص لكن الموضوع هنا أمر تجديد ،ودخول الإنسان فى العهد الجديد،أو حرمانه منه ، وهذا يتوقف على الإنسان ذاته ، وتسليمه حياته للمسيح .

والآن هل من صلة لذلك بنا نحن فى هذا الزمان ؟ وهل أخطأ يوحنا ؟ لأنها لم تكن الساعة الأخيرة بالنسبة لشعبه . بدليل انقضاء حوالى تسعة عشر قرناً من الزمان ، وكل شىء باق كما هو . فالعالم ما يزال قائماً . وهل هذا يعنى أنه لا صلة لهذا الكلام بعصرنا الحاضر ؟ وهل يمكننا أن نطرح هذا الكلام خلف ظهورنا . لأنه كان يخص حالة فكرية لم يعد لها وجود فى هذه الأيام ؟ الجواب هو أنه يوجد ارتباط أبدى . فكل ساعة هى الساعةالأخيرة. وفى العالم صراع مستمر بين الخير والشر . بين الله وذاك الذى هو ضد الله . وفى كل لحظة قرار يتخذه الإنسان طوال سنى عمره عليه أن يختار بين تسليم ذاته لله . أو لقوات الشر التى تقف ضد الله . بين ضمان الحصول على نصيب فى الحياة الأبدية . والفشل فى الحصول على هذا الضمان . وهذا الصراع بين الخير والشر لا يتوقف لحظة ، وبالتالى أيضاً ، يظل مستمراً ، اختيار الإنسان لأحد الجانبين ، وهكذا تكون كل ساعة هى الساعة الأخيرة.

ضد المسيح

فى هذا العدد ، تواجهنا فكرة « ضد المسيح » ، وفى كل أسفار العهد الجديد ، لا نجد هذه الكلمة (ضد المسيح) إلا فى رسائل يوحنا (يوحنا الأولى ٢ : ٢٢ ، ٤ : ٣ ، يوحنا الثانية ٧) . لكنها تعبر عن فكرة قديمة قدم الدين ذاته ، وهذه الكلمات فى اليونانية لها معنيان بحسب اشتقاقها : المقطع الأول « أنتى » يمكن أن يكون معناه « ضد » أو « فى مكان » ، المقطع الثانى « ستراتجوس » معناها قائد ، وهكذا يكون معنى الكلمة كلها « قائد القوات المضادة » أو « قائد قوات الأعداء » ، أو «القائد بالنيابة أو ممثل القائد الذى يستطيع أن يحل محله ويقوم بعمله» ، وعلى ذلك يكون « ضد المسيح » هو « خصم المسيح » أو « المنافس للمسيح » الذى يحاول جاهداً أن يضع نفسه فى مكانه ، وسيان إن اعتبرنا « ضد المسيح » ، ذاك الذى يقف من المسيح موقف المعارضة ، أو الذى يسعى لإحلال نفسه محل المسيح آخذاً مكانه ومركزه القيادى ، فقط فى هذه الحالة تكون معارضته بأسلوب خفى ورقيق ، وهى معارضة غير معلنة أو واضحة ، أو بادية للعيان ، كما فى الحالة الأولى ، لكن بأسلوب مهذب ، يحاول « ضد المسيح » هذا ، أن يأخذ مكان المسيح فى الكنيسة ، وبين الجماعة المسيحية .

فمن ناحية قد يكون المقصود ، هو المعارضة المفتوحة الظاهرة ، على المكشوف ، ومن ناحية أخرى ، قد يكون المقصود هو التسلل بحذر ، وتشويه السمعة ، بأسلوب مهذب ، لا يكشف حقيقة النوايا الخفية ، ولاحاجة بنا للمفاضلة بين هذه المعانى ، لأن ضد المسيح ، يمكنه أن يعمل بأى أسلوب من هذين .

وأيسر السبل للتأمل فى فكرة « ضد المسيح » هى هذه : المسيح هو الإله

المتجسد ، والخير المتجسد ، و « ضد المسيح » ، هو الشيطان متجسداً ، والشر متجسداً ، فالمسيح يمثل الله ، وضد المسيح يمثل كل ما هو ضد الله ومعارض له . وقد بدأنا بالقول بأن هذه الفكرة قديمة ضاربة فى القدم ، وجدت مع وجود الدين ذاته . فقد شعر الناس دائماً بوجود قوات فى العالم ، تعمل ضد الله ، وتقف منه موقف المعارضة ، والصورة المبكرة لهذه القوات المضادة لله ، نجدها فى الأسطورة البابلية التى تحكى قصة التكوين ، حيث نجد أنه فى البدء كان هناك حاكم للبحر اسمه « تيامات » ، هذا الحاكم قهره « مردوخ » لكنه لم يقتل ، بل ظل نائماً فقط ، وسوف تحدث بينهما فيما بعد معركة فاصلة . والفكرة الخرافية التى نجدها فى تلك الأسطورة ، والخاصة بذلك الحاكم البدائى ، تتكرر عدة مرات فى العهد القديم ، فهناك الحاكم « رهب » . أو « الحية المتحوية » ، أو « لوياثان » ، وفى (مزمور ٨٩ : ١) يقول المرنم : « أنت سحقت رهب » ، وأيوب يقول : « يداه (الله) أبدأتا الحية الهاربة » (أيوب ٢٦ : ١٣) ، ويتحدث إشعياء إلى ذراع الرب ويقول : « ألست أنت القاطعة رهب الطاعنة التنين » (إشعياء ٥١ : ٩) كما يقول أيضاً : « فى ذلك اليوم يعاقب الرب بسيفه القاسى العظيم الشديد لوياثان الحية الهاربة لوياثان الحية المتحوية ويقتل التنين الذى فى البحر » (أشعياء ٢٧ : ١) . وهذه الشواهد كلها ، تشير إلى التنين البدائى ، وواضح أن هذه الفكرة ترجع إلى عصر الطفولة الفكرية للجنس البشرى . لكن الفكرة الأساسية هى أنه توجد فى الكون قوة معادية لله وتعمل ضده ، هذه القوة يشار إليها أصلا بالتنين أو الحية القديمة ، وبمرور الزمن ، تم تجسيد هذه الفكرة ، فى صورة إنسان ، وفى كل عصر ، كان يظهر شخص ، يرى فيه شعب الله ، ممثلا لضد الله ، لتماديه فى الشر ، ووقوفه ضد الله ، وتصميمه على إفساد شعب الله ، فسموه « الوحش » ، لتصويره بأنه أكبر أعداءالله ،

وعلى سبيل المثال فى سنة ١٦٨ قبل الميلاد ، كان « أبيفانس » ملك سوريا هو التنين ، لأنه حاول بقدر ما استطاع ، وقام بمحاولات مستميتة ، للقضاء على اليهودية ، وملاشاتها من على وجه كل الأرض ، ووضع نهاية للعبادة الهيكلية ، فخرب أورشليم ، وقتل الألوف من اليهود ، وساق عشرات الألوف منهم عبيداً إلى روما ، واعتبر الختان جريمة ، واقتناء نسخة من الناموس جريمة أيضاً ، وكانت عقوبة كل منهما الإعدام الفورى ، كما بنى فى فناء الهيكل مذبحاً عظيما للإله « زيوس » ، وعلى هذا المذبح قدم خنزيرة ، وأروقة الهيكل تحولت فى ذلك العهد إلى مواخير عمومية ، محاولة منه لتدنيس الهيكل ، وملاشاة الديانة اليهودية والقضاء على إلهها ، وكان هذا هو الذى قال عنه « دانيال النبى » ، إنه يجعل « الرجس المخرب » (دانيال ١١ : ٣١ ، ١٢ : ١١) ، وهكذا بحسب التفكير البشرى ، كان « أنتيوخس أبيفانس » هو التعبير المتجسد للقوة المضادة لله .

وفى الأيام التى دونت فيها بشارة مرقس ، تحدث الناس عن « رجسة الخراب » ، أو « الرعب المروع » ـ بحسب ترجمة « د. موفات » ـ الذى كان قائماً فى الهيكل (مرقس ١٣ : ١٤ ، متى ٢٤ : ١٥) ، وكانوا يشيرون بهذا إلى « كاليجولا » ، الإمبراطور الرومانى ، الذى كان مختل العقل ، والذى أراد أن يضع صورة من صوره فى قدس الأقداس فى الهيكل ، وشعر الناس أن هذا هو « ضد المسيح » ، لأنه بعمله هذا ، يقاوم « الإله المتجسد » . وفى رسالة بولس الثانية إلى أهل تسالونيكى (ص ٢ : ٣ و ٤) ، يتحدث « بولس » عن « إنسان الخطية » ، الذى يعلن نفسه كالمرتفع عن كل ما يدعى إلهاً أو معبوداً ، حتى أنه يجلس فى هيكل الله كإله ، مظهراً نفسه أنه إله . ونحن لا نعرف من هو ذاك الذى كان « بولس » يتوقع ظهوره ، لكننا نقول مرة أخرى ، إنه كان يتوقع ظهور شخص ، تتجسد فيه كل

القوى المضادة لله . وفى سفر الرؤيا نجد « الوحش » و « التنين » (رؤيا ١٣ : ١ ، ١٦ : ١٣ ؛ ١٩ : ٢٠ ، ٢٠ : ١٠) ، وهنا لا بد أن يكون كل من هذين ، مثالا آخر لـ « ضد المسيح » . وعندما تولى « نيرون » زمام الحكم فى الإمبراطورية الرومانية . واشتهر بفظائعه التى جعلته مكروهاً من أبناء جلدته ، ولما اشتهر به من قسوة ووحشية وإجرام ، فى تعذيب المسيحيين ، عندما مات ، لم يصدق الناس الخبر ، وانتشرت شائعة تقول إنه لم يمت ، بل هرب إلى « پارثيا » ، وأنه سوف يأتى من هناك ، من عند قبائل الپارثيين ، وينقض على الناس ، وأنه هو الوحش ، وضد المسيح ، الذى تتجسد فيه قوة الشر الشيطانية .

وعبر كل العصور ، كانت هناك شخصيات بشرية ، يتمثل فيها « ضد المسيح » ، من هذه الشخصيات «نابليون» . «هتلر» ، « موسوليني » ، كل من هؤلاء ، كان فى عصره وجيله ، ممثلا « لضد المسيح » . لكن الحقيقة ، هى أن ضد المسيح ليس شخصاً ، يعتبر ممثلا للقوة المضادة لله ، والمعارضة للمسيح ، لكنه مثال يمكن التفكير فيه ، على أنه يتجسد فى هؤلاء الأشخاص ، المعتبرين عند أبناء جيلهم أعداء لله ، ومنافسين أشرار بجحين ، يعارضون المسيح .

معركة الذهن

لكن « يوحنا له فكره المميز له ، فيما يختص بموضوع « ضد المسيح » . فعلامة وجود هذا الضد فى العالم ، كما يراها « يوحنا » ، هى انتشار العقيدة المنحرفة الكاذبة ، والتعاليم الخطيرة ، التى يروج لها المعلمون الأشرار ، والذين سبق تحذير الكنيسة من ظهورهم فى الأيام الأخيرة . فيسوع قال :

« ... كثيرين سيأتون باسمى قائلين إنى أنا هو ويضلون كثيرين » (مرقس ١٣ : ٦ ، قارن متى ٤ : ٥) ، و « بولس ، قبل رحيله من أفسس ، قال لأصدقائه هناك : « بعد ذهابى سيدخل بينكم ذئاب خاطفة لا تشفق على الرعية ومنكم أنتم سيقوم رجال يتكلمون بأمور ملتوية ليجتذبوا التلاميذ وراءهم » (أعمال الرسل ٢٠ : ٢٩ و ٣٠) . وكل تلك النبوات ، ها هى الآن قد أضحت حقيقة واقعة . لكن « يوحنا » له رأيه الخاص فى الموقف بجملته ، فعندما نقرأ أقواله نستطيع أن نرى أنه لم ينظر إلى « ضد المسيح » على أنه يشير إلى شخص واحد بعينه ، لكنه يعنى فى نظره . قوة الأقوال الزائفة ، العاملة فى المعلمين الكذبة ، وبواسطتهم ، وكما أن الروح القدس ، هو الذى يستخدم المعلمين الحقيقيين ، والأنبياء الحقيقيين ، بنفس الصورة ، يوجد روح كاذب ، يقود المعلمين والأنبياء الكذبة ويوجههم .

وهنا نرى الأهمية الكبيرة والارتباط العظيم ، فيوحنا يعتبر عقل الإنسان هو ميدان الصراع ، وروح ضد المسيح . يصارع روح الله ، بهدف السيطرة على عقول البشر ، ومما هو مثير للدهشة ، أن هذا هو عين ما نراه حادثاً بيننا فى هذا الزمان ، دون أدنى اختلاف . فتعليم الناس قد أصبح فى أيامنا علماً ، وها نحن نلاحظ كيف أن الناس يأخذون فكرة معينة ، ويلحون بها على أذهان الجماهير ، بتكرارها عدة مرات ، حتى تستقر فى أذهانهم ، وتصبح حقيقة مسلما بها عندهم ، وقد أصبح هذا أمراً فى غاية السهولة فى أيامنا هذه ، أكثر من أى عصر مضى ، لتعدد وسائل الاتصال ونقل الأفكار ، من كتب ومطبوعات ، وجرائد سيارة ، وإذاعات مسموعة ومرئية ، وغير هذه من وسائل الإعلام الحديث . وقد رأينا كيف يستطيع الدعاة المهرة ، ومروجو الأفكار الحاذقون ، أن يقنعوا الناس بفكرة معينة ، فيقبلوها ويقبلوا عليها ، دون أى تحفظ .

ونحن لا نقول ، إن « يوحنا » سبق ورأى هذه الأمور كلها ، لكنه رأى ، أن العقل هو الميدان ، الذى يمارس فيه « ضد المسيح » نشاطه . وهكذا نرى أن « يوحنا » ، لم يكن يقصد شخصاً شيطانياً معيناً بالذات ، لكنه كان يشير إلى قوة شيطانية ، تحاول باضطراد ، أن تؤثر فى عقول الناس ، ولا يوجد ما هو أكثر خطراً ، وأعظم ضرراً ، من فكرة شريرة ، يتم إدخالها إلى عقول البشر .

واليوم ، على الكنيسة أن تفهم التكنيك الخاص . باستخدام وتوجيه وسائل الإتصال ، بإمكانياتها الهائلة ، فى صد ومواجهة الأفكار الشريرة ، التى تسمم أفكار الناس ، بعد إقناعهم بها ، والتى يتم تقديمها لهم بانتظام ، فى هذه الأيام .

توضيح حقيقة أعضاءِ الكنيسة

مِنَّا خَرَجُوا لٰكِنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا مِنَّا لأَنَّهُمْ لَوْ كَانوا مِنَّا لَبَقُوا مَعَنَا لٰكِنْ لِيظْهِرُوا أَنَّهُمْ لَيْسوا جَمِيعهُمْ مِنَّا . وَأَمَّا أَنْتُمْ فَلَكُمْ مَسْحَةٌ مِنَ ٱلْقُدُّوسِ وَتَعْلَمُونَ كُلَّ شَيْءٍ . لَمْ أَكْتبْ إِلَيْكُمْ لِأَنَّكُمْ لَسْتُمْ تَعْلَمونَ ٱلْحَقَّ بَلْ لِأَنَّكُمْ تَعْلَمونَه وَأَنَّ كُلَّ كَذِبٍ لَيْسَ مِنَ ٱلْحَقِّ .

(رسالة يوحنا الأولى ٢ : ١٩ - ٢١)

وبحسب مجرى الأحداث ، رأى « يوحنا » أن ذلك الوقت ، كان وقت تفتيت لوحدة الكنيسة . فالمعلمون الكذبة قد خرجوا من الكنيسة وتركوا

حياة الشركة المسيحية ، إنهم لم يفصلوا من عضوية الكنيسة ، لكنهم تركوها بمحض اختيارهم ، وبهذا العمل يكونون قد أظهروا أنهم ليس بعد أعضاء فى الكنيسة المسيحية ، بل صاروا غرباء عنها ، وهذه حقيقة أكدها سلوكهم الشخصى ، والجزء الأخير من (عدد ١٩) يمكن أن يتضمن معنيين :

١ — بحسب ترجمتنا قد يكون معناه هو : « جميعهم ليسوا منا » ، أو كما نقول نحن : « ولا واحد منهم من بيننا » ، أو بمعنى آخر ، مهما كانت الجاذبية التى يتمتع بها بعضهم ، والرقة التى تتسم بها تعاليم البعض الآخر ، إلا أنهم جميعاً ، غرباء عن الكنيسة ، وقد يكون لهم تأثير مفتعل ، لكنهم أصلا وفى الحقيقة أعداء للمسيح .

٢ — قد يكون من المحتمل ، أن هذه العبارة تعنى ، أن هؤلاء الرجال ، قد خرجوا من الكنيسة ، لكى يعلنوا أن الذين هم فى داخل الكنيسة ، والموجودين بعد ما خرجوا هم منها ، لا يمتون للكنيسة بأية صلة حقيقية ، أو كما قال أحدهم : الإنتماء للكنيسة ليس دليلا على أن هذا الإنسان للمسيح ، وليس ضداً له » ، أو كما قال آخر : « إن العضوية الخارجية بالكنيسة ليست دليلا على الإتحاد السرى بالمسيح » . وربما كان المعنى الثانى أقرب إلى الصواب . فهؤلاء المعلمون الكذبة قد أثبتوا ، أن كل الذين فى الكنيسة ، ليسوا جميعهم منها ، لأنه ماأكثر الدخلاء والأدعياء ، أوبحسب تعبير بولس : «ليس جميع الذين من إسرائيل هم إسرائيليون » (رومية ٩ : ٦) . وقد كان لهذا الوقت ، الذى جاء على رعية « يوحنا » شأنه ، لأنه أدى إلى عزل الكاذب بعيداً عن الحقيقى .

وفى (عدد ٢٠) يواصل « يوحنا » الكلام ، لتذكير شعبه بأن جميع الذين خرجوا هم من العارفين . إذن فالذين خرجوا جميعهم من الغنوسيون ،

الذين سبق لهم أن أعلنوا أنهم ينفردون ، بما حصلوا عليه من معرفة خاصة وفائقة ، لم تتح لعامة المسيحيين . و « بولس » يقول للمسيحيين ، إنه فيما يختص بالإيمان ، فإن أكثر الناس تواضعاً بينهم ، لا حاجة به إلى الشعور ، بأنه أقل شأناً من المبرزين ، وإن كان هناك تمييز بين الناس بالنسبة لما لهم من خبرة فى أمور العلم ، واللغة ، واللاهوت ، وغيرها ، إلا أنه لا تمييز فى دائرة الإيمان ، بين أعضاء الجماعة الواحدة ، لأن الإيمان ملك مشاع بين الجميع .

وهذا التدرج يصل بيوحنا ، إلى النقطة الأخيرة فى هذه الفقرة ، فهو يكتب لهم ، لالأنهم لم يعرفوا الحق ، بل لأنهم عرفوه ، فيوحنا — بحسب تفسير « وستكوت » — لا يقدم لرعيته معلومات جديدة ، لكنه يحرضهم على تنشيط واستخدام المعرفة التى سبق حصولهم عليها ، وأعظم دفاع مسيحى ، هو أن يتذكر الإنسان ما لديه من معلومات . فحاجتنا ليست إلى معرفة حقائق جديدة ، والإلمام بها ، لكن إلى تنشيط وتنمية ، مالدينا من معرفة سابقة

وقد استخدم « بولس » دائماً هذا الأسلوب عينه ، ففى رسالته الأولى إلى تسالونيكى ، كتب يقول : « وأما المحبة الأخوية فلا حاجة لكم أن أكتب إليكم عنها لأنكم أنفسكم متعلمون من الله أن يحب بعضكم بعضاً » (تسالونيكى الأولى ٤ : ٩) ، فما كانوا يحتاجونه ليس معرفة جديدة ، بل استخدام ، وإحياء ، وتنشيط ، ما قد سبق لهم أن عرفوه ، وفى رسالته إلى رومية نقرأ : « وأنا نفسى متيقن من جهتكم يا إخوتى أنكم مشحونون صلاحاً ومملوءون من كل علم قادرون أن ينذر بعضكم بعضاً ولكن بأكثر جسارة كتبت إليكم أيها الإخوة كمذكر لكم بسبب النعمة التى وهبت لى من الله » (رومية ١٥ : ١٤ و ١٥) ، فالتذكير بما كانوا يعرفونه هو كل ما كانوا محتاجين إليه .

وهذه هي أبسط حقائق الحياة المسيحية. تلك الحياة قد تتغير تغيراً فجائياً، إذا نحن عملنا بما سبق لنا أن عرفناه. وليس معنى هذا أن نقول، إنه لا حاجة بنا لأن نتعلم شيئاً جديداً. لكن أياً كانت حالتنا، فإننا إذا ما استخدمنا ما لدينا من نور، فإنه سيكون لدينا، نور كاف للسير فيه.

الأُكذوبة الكبرى

مَنْ هُوَ ٱلْكَذَّاب إِلاَّ ٱلَّذِي يُنْكِرُ أَنَّ يَسُوعَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ هٰذَا هُوَ ضِدُّ ٱلْمَسِيحِ ٱلَّذِي يُنْكِرُ ٱلآبَ وَٱلاِبْنَ. كُلُّ مَنْ يُنْكِرُ ٱلاِبْنَ لَيْسَ لَه ٱلآبُ أَيْضًا وَمَنْ يَعْتَرِفُ بِٱلاِبْنِ فَلَهُ ٱلآبُ أَيْضاً.

(رسالة يوحنا الأولى ٢ : ٢٢ و ٢٣)

وقد قال أحد المسيحيين، إن إنكار أن يسوع هو المسيح. هذا الإنكار هو الأكذوبة الكبرى، بل هو أكذوبة الأكاذيب، ويقول «يوحنا»، إن من ينكر الإبن ليس له الآب أيضاً، والذي حدا به إلى هذا القول، هو أن المعلمين الكذبة كانوا يقولون: «قد تختلف أفكارنا من جهة شخص يسوع، لكن إيماننا واحد من جهة الله. فنحن متفقون معاً من ناحية الإيمان بالآب، رغم ما بيننا من خلاف حول الإبن. ورداً على هذا القول، أعلن «يوحنا» استحالة وجود تناقض بين التفكير والإيمان، لأنه لا يستطيع إنسان أن ينكر الإبن، ثم يظل بعد ذلك مؤمناً بالآب. كيف وصل «يوحنا» إلى هذا الموقف؟

إنه وصل إليه ، لأنه الموقف الوحيد الذى يتخذه ، كل من يقبل العهد الجديد ، ويؤمن به ، وهذا هو عين ما نادى به « يسوع » نفسه ، إذ قال ، إنه بدونه هو ، لا يستطيع أحد أن يعرف الله ، وأنه لا أحد يأتى إلى الآب إلا به ، كما قال بوضوح : « لا أحد يعرف الآب إلا الإبن ومن أراد الإبن أن يعلن له » (متى ١١ : ٢٧ ، لوقا ١٠ : ٢٢) ، وفى بشارة يوحنا نقرأ قول « يسوع » : « الذى يؤمن بى ليس يؤمن بى بل بالذىأرسلنى والذى يرانى يرى الذى أرسلنى » (بشارة يوحنا ١٢ : ٤٤ و ٤٥) . وأخيراً نشير إلى رد المسيح على « فيلبس » ، عندما قال هذا الأخير له « أرنا الآب وكفانا» ، قال له « يسوع » : « من رآنى فقد رأى الآب» (بشارة يوحنا ١٤ : ٦—٩) . فالناس يمكنهم أن يعرفوا الله فى شخص « يسوع » ، فإن لم نصدق هذه الأقوال التى نطق بها « يسوع » ، وأنكرنا عليه حقه فى الكلام،ومعرفته الخاصة لله ، بصورة لم يصل إليها سواه ، وإن أنكرنا أيضاً الصلة الخاصة التى بين« يسوع » وبينالله ، عندئذ لن تكون أقواله تلك ، سوى مجرد تخمينات ، فى وسع أى مفكر عظيم أن يصل إليها .

لكن لكل ما ينفرد به « يسوع» ، وماتتميز به أقواله عن الآب ، تلك الأقوال المبنية على ما بينه وبين الآب من علاقة خاصة ، وما له به من معرفة خاصة وفريدة ، فإننا بعيداً عنه لا يمكننا أن نصل، إلى معرفة حقيقية وأكيدة لله ، وعنه ، ولهذا ، فإن كل من ينكر « يسوع » ، يفقد فى الوقت ذاته ، كل صلة أو ارتباط بالله .

زد على ذلك أن « يسوع »أعلن أن ما يفعله به الناس، إنما يفعلونه بالله ، وأنه على هذا الفعل يتوقف مصير الإنسان ، فى هذا الزمان ، وفى الزمان الآتى . إسمعه يقول : « كل من يعترف بى قدام الناس أعترف أنا أيضاً به

قدام أبى الذى فى السموات وكل من ينكرنى قدام الناس أنكره أنا أيضاً قدام أبى الذى فى السموات » . (متى ١ : ٣٢ و ٣٣) ؛ وإنه لمن رابع المستحيلات بل هو أولها ، أن نفصل بين « يسوع » وبين الله ، أو نفصله عنه ؛ وكل من ينكر يسوع ، يفقد معرفة الله ، لأننا لا نستطيع أن نعرف الله إلا عن طريق « يسوع » ، وهكذا يكون إنكار الإنسان ليسوع ، انفصالا عن الله ، وعلى هذا يكون موقفنا من يسوع ، هو الذى يحدد موقفنا من الله .

وإنكار الإنسان ليسوع ، هو الأكذوبة الكبرى . لأنه يعتبر إنكاراً للإيمان والمعرفة ، اللذين لا ننالها إلا بواسطته .

ويمكن القول بأن هناك ثلاث طرق للاعتراف بيسوع : الاعتراف بأنه هو « ابن الله » (متى ١٦ : ١٦ - يوحنا ٩ : ٣٥ - ٣٨) ، والاعتراف بأنه « رب » (فيلبى ٢ : ١١) ، ثم أيضاً الاعتراف بأنه هو « المسيح » (رسالة يوحنا الأولى ٢ : ٢٢) .

وخلاصة كل من هذه الطرق الثلاث ، هى التأكيد بأن « يسوع » وأحد مع الله ، ومن ينكر هذه العلاقة . ينكر بالتالى كل ما قاله « يسوع » عن الله ، والإيمان المسيحى فى مجموعه ، أساسه وحدة المسيح الكاملة مع الله ، وعلى هذا الأساس ، يكون « يوحنا » على حق فى قوله ، إن من ينكر الإبن ينكر الآب أيضاً :

الامتياز العام

أَمَّا أَنْتُمْ فَمَا سَمِعْتُموهُ مِنَ ٱلْبَدْءِ فَلْيَثْبُتْ إِذاً فِيكُمْ . إِنْ ثَبَتَ فِيكُمْ مَا سَمِعْتُمُوهُ مِنَ ٱلْبَدْءِ فَأَنْتُمْ أَيْضاً تَثْبُتُونَ

فِى ٱلاِبْنِ وَفِى ٱلْآبِ . وَهَذَا هُوَ ٱلْوَعْدُ ٱلَّذِى وَعَدَنَا هُوَ بِهِ ٱلْحَيٰوةُ ٱلْأَبَدِيَّةُ . كَتَبَتُ إِلَيْكُمْ هٰذَا عَنِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَكُمْ وَأَمَّا أَنْتمْ فَٱلْمَسْحَةُ ٱلَّتِى أَخَذْتمُوهَا مِنْهُ ثَابِتَةٌ فِيكُمْ وَلاَ حَاجَةَ بِكُمْ إِلَى أَنْ يُعَلِّمَكُمْ أَحَدٌ بَلْ كَمَا تُعَلِّمُكُمْ هٰذِهِ ٱلْمَسْحَةُ عَيْنُهَا عَنْ كُلِّ شَىْءٍ وَهِىَ حَقٌّ وَلَيْسَتْ كَذِباً . كَمَا عَلَّمْتُكُمْ تَثْبُتُونَ فِيهِ .

وَٱلْآنَ أَيُّهَا ٱلْأَوْلاَدُ ٱثْبُتوا فِيهِ حَتَّى إِذَا أُظْهِرَ يَكُونُ لَنَا ثِقَةٌ وَلاَ نَخْجَل مِنْهُ فِى مَجِيئِهِ . إِنْ عَلِمْتُمْ أَنَّهُ بَارٌّ هُو فَٱعْلَمُوا أَنَّ كُلَّ منْ يصْنعُ ٱلْبِرَّ موْلُودٌ مِنْه .

(رسالة يوحنا الأولى ٢ : ٢٤ – ٢٩)

هنا يحث « يوحنا » شعبه . ويحضهم على الثبات فيما سبق وتعلموه ، لأنهم إذ يفعلون ذلك . يثبتون فى المسيح . والتعبير الذى يستخدمه يوحنا تعبير ممتع جذاب . ففى (عدد ٢٠) كان يوحنا قد سبق وتحدث إليهم عن المسحة التى سبق أن أخذوها من القدوس ، والتى بواسطتها عرفوا كل شىء ، وهنا أيضاً يشير يوحنا إلى تلك المسحة . التى تعلمهم كل شىء ، فما هو الفكر الذى تعبر عنه هذه « المسحة » ؟ . . . فيم يفكر يوحنا ؟ . . وماذا يعنى ؟

لنرجع قليلا إلى الوراء ، حيث نجد فى الفكر العبرانى . الفكرة الكاملة ،

فى مجال الفكر والممارسة الفنية عند العبرانيين ، كانت المسحة ترتبط بثلاث فئات من الناس :

١ ــ الكهنة . وكان الترتيب الطقسى لمسحهم كما يلى : « وتأخذ دهن المسحة وتسكبه على رأسه وتمسحه » (خروج ٢٦ : ٧ ؛ قارن لاويين ١٦ : ٣٢) .

٢ ــ الملوك، ومنهم « شاول » وقد مسحه « صموئيل » (صموئيل الأول ٩ : ١٦ ، ١٠ : ١) ، و « داود » وقد مسحه أيضاً « صموئيل » (صموئيل الأول ١٦ : ٣ و ١٢) ، و « حزائيل » و « ياهو » اللذان مسحهما « إيليا » النبي (ملوك الأول ١٩ : ١٥ و ١٦) . وفى القديم . كانت المسحة مثل عملية التتويج التى تتم حالياً .

٣ ــ الأنبياء . وكانوا يمسحون بمعرفة الأنبياء الآخرين بأوامر إلهية ، كما حدث مع « اليشع » عندما أمر الرب « إيليا » بأن يمسحه ، لكى يخلفه فى هذه الوظيفة (ملوك الأول ١٩ : ١٦) .

وهنا نجد إذن ، أول أمر هام ، وهو أن المسحة فى العهد القديم ، كانت امتيازاً ، لا يناله إلا المختارون ، وهم أقلية : الكهنة ــ الملوك ــ الأنبياء ، أما الآن فالمسحة فى العهد الجديد ، امتياز عام . يحصل عليه ، ويتمتع به ، كل مسيحى ، أياً كان مركزه ، حتى وإن كان فى أدنى درجات السلم الإجتماعى . فالمسحة أولا ، امتياز يناله المسيحى فى « يسوع المسيح » .

ورئيس الكهنة بعد المسحة ، كانوا يسمونه « الممسوح » أو « مسيح الرب » ، لأن تلك الكلمة فى العبرية . كانت تشير إلى الشخص الذى يمسح ، للقيام باحدى تلك الوظائف الثلاث ، التى سلف ذكرها . و « المسيا »

فى اللغة العبرية ، تشير إلى « الممسوح الأوحد » ، وهو نفس المعنى الذى تشير إليه الكلمة اليونانية «خريستوس» ، وهكذا كان « يسوع »هو«الممسوح الأسمى » ، أو « الممسوح بوجه خاص » . وهنا نأتى إلى سؤال : متى مسح « يسوع » ؟ والجواب الذى قدمته الكنيسة ، رداً على هذا السؤال ، هو أنه عندما اعتمد « يسوع » فى الأردن ، مسح بالروح القدس . (أعمال الرسل ١٠ : ٣٨) .

وينبغى أن نضيف إلى ما سبق ، أن العالم اليونانى أيضاً ، كان يعرف المسحة ، وأصحاب الديانات السرية ، كانوا يقيمون احتفالات خاصة ، لمن يطلبون الانضمام إليهم ، وفى تلك الاحتفالات ، كانوا يتوقعون الحصول على معرفة خاصة عن دياناتهم ، ويتصلون بالإله اتصالا خاصاً . ونحن نعلم أن بعض المعلمين الكذبة كذلك ، أعلنوا عن مسحة خاصة ، وشعائر وممارسات خاصة ، تؤدى بهم إلى معرفة خاصة لله .

ويخبرنا « هيبوليتس » ، كيف أن هؤلاء المعلمين الكذبة قالوا : « نحن وحدنا المسيحيون من بين كل هؤلاء ، ونحن فقط الذين نكمل سر الباب الثالث ، والممسوحون بالمسحة التى تجل عن الوصف والتعبير . وربما كان إعلان هؤلاء المعلمين الكذبة ، بأن لديهم مسحة خاصة عن طريقها عرفوا الله معرفة خاصة ، ربما كان هذا الإعلان من جانبهم ، هو الذى حدا بيوحنا ، إلى القول ، إن المسيحى العادى ، هو الذى لديه المسحة الحقيقية الوحيدة والتى يعطيها له يسوع المسيح .

لكن متى تأتى تلك المسحة للمسيحى ؟ ومن أى شىء تتكون ؟ وما الذى تعطيه له ؟ من السهل أن نجيب على السؤال الأول ، وهناك طقس

واحد هو المعمودية ؛ كان يجتاز فيه جميع المسيحيين ، وفى الأيام الأخيرة. كانوا يقومون بمسح المعتمدين حرفياً، بالزيت المقدس، كما ذكر «ترتليانوس».

أما السؤال الثانى ، فلا يمكن الإجابة عليه بمثل هذه السهولة ، وهناك إجابتان ، من المحتمل تقديمهما على هذا السؤال .

١ – ربما كان المقصود بالمسح ، هو حلول الروح القدس على المسيحى فى أثناء المعمودية ، وما أكثر ما كان هذا يحدث بصورة محسوسة فى الكنيسة الأولى (أعمال الرسل ٨ : ١٧) ، ولو أننا وضعنا « الروح القدس » مكان « المسحة » ، لزاد المعنى قوة ووضوحا ، لأنه عندئذ ، سيكون الروح القدس هو الذى نالوه وهو الذى سيمكث فيهم ، ويكون هو كذلك الذى أعطاه لهم المسيح، وهو الذى سيعلمهم كل شيء .

٢ – هناك احتمال آخر ، وهو أن يكون « (عدد ٢٤) و (عدد ٢٧) يشيران إلى معنى واحد ، ففى (عدد ٢٤) نقرأ : « فما سمعتموه من البدء فليثبت فيكم » ، وفى (عدد ٢٧) نقرأ : « وأما أنتم فالمسحة التى أخذتموها منه ثابتة فيكم » . « ما أخذتموه من البدء » ، و « المسحة » متوازيان تماماً . ولهذا ربما كانت المسحة هى ما كان يقدم للمسيحى من تعليم عن الإيمان المسيحى ، عند بدء انضمامه إلى عضوية الكنيسة ، فالمعرفة الحقة للإيمان المسيحى ، والطريق المسيحى ، هى المسحة التى كان يمسح بها المسيحى . وربما لا تكون بنا حاجة الآن ، إلى المفاضلة بين هذين الرأيين لتساويهما ؛ وهذا يعنى أن أمامنا طريقتين ، لفحص كل تعليم جديد يقدم إلينا :

(١) هل هو مطابق للتعاليم المسيحية التى سبق وتعلمناها ، والتى يجب أن ترسخ فى أذهاننا وقلوبنا ؟

(٢) هل هو مطابق لشهادة الروح القدس المتكلم فى داخلنا ؟ هذه هى المقاييس المسيحية للحق .

هناك اختبار خارجى . كل تعليم يجب أن يكون مطابقاً . للتعليم والتقليد اللذين سبق وتسلمناهما ، فى الكتاب المقدس . والكنيسة . كما يوجد اختبار داخلى . إذ يجب أن يخضع كل التعليم لاختبار الروح القدس الذى يشهد فى داخل قلوبنا .

وهذا هو تعليم «يوحنا» . إنه إن ثبت إنسان فى الحق الذى سبق وتعلمه ، وإن أخضع كل الحق لاختبار الروح القدس . فانه يستطيع عندئذ ، أن يقبل الحق . ولا شىء غير الحق . ويرفض كل تعليم كاذب . وهكذا يثبت إلى الأبد فى المسيح .

الثبوت فى المسيح

قبل الإنتقال إلى فصل آخر . يجب أن نلاحظ هنا وجود اثنين من الأمور العملية الهامة :

١ - فى (عدد ٨) يحرض يوحنا شعبه . ويحثهم . على الثبوت فى المسيح بصفة دائمة . لكيلا يخجلوا عند مجيئه بقوة ومجد . وهذه حقيقة عملية هامة . وأفضل طريقة للإستعداد لمجىء المسيح ، هى أن يحيا الإنسان معه من يوم إلى يوم . إن فعلنا هذا ، فإن مجيئه لن يكون مفاجأة لنا . وإنما سيكون بمثابة اقتراب أكثر من ذى قبل . من شخص سبق وعشنا معه طويلا فى الأيام الخوالى . فأفضل السبل للإستعداد لمجىء المسيح ، هو ألا ننسى مجيئه ، فى أى وقت من الأوقات .

حتى إن كانت لدينا بعض الصعوبات والشكوك . والأسئلة حول المجيء الثاني ، الفعلي والمادي للمسيح . لكن هذا المجيء يبقى حقيقياً برغم ذلك كله ، لأنه يوماً ستنتهي حياة الجميع . ويسمع الكل صوت الله يدعوهم ، لكي يقوموا بتوجيه الدعوة للعالم . ولو أننا لم نفكر مطلقاً في الله . ولو لم يكن « يسوع » سوى مجرد ذكرى باهتة وغامضة . نادراً ما تخطر في أذهاننا ، فإن تلك الدعوات . سوف تكون استدعاءات للخروج لملاقاة شخص غريب والإرتحال في المجهول المخيف . أما إن كنا نعيش حياتنا . ونحن شاعرون بحضور المسيح معنا . وإن كنا نعيش يوماً فيوماً . ونحن سائرون نتحدث مع الله . فعندئذ يتغير الحال . وتكون تلك الدعوات . استدعاءات موجهة إلينا . لكي نرجع إلى بيتنا . ونصبح أكثر قرباً إلى الله . من كل ما مضى . بعد أن يتلاشى نهائياً وإلى الأبد ، كل إحساس بالزمن . وهذه هي الحقيقة البسيطة بكل وضوح ، فعند انتهاء عمر الإنسان . يتوقف إحساسه في ساعة النهاية . على الطريقة التي قضى بها حياته هنا . وسيكون في هذه الحالة . إما ذاهباً إلى إله غريب . أو ذاهباً إلى إله حبيب . وصديق له .

٢ — في (عدد ٢٩) يعود « يوحنا » مرة أخرى إلى فكر من أفكاره المعتادة ، فيقول . إن السبيل الوحيد لإثبات أن الإنسان قد ولد ثانية ، هي أن يعيش بالبر . فحياة الإنسان العملية . وسلوكه . هما الدليل الذي يثبت أو ينفي ما يدعيه الإنسان لنفسه بكلامه .

الأصحاح الثالث

تذكروا إمتيازات الحياة المسيحية

أُنْظُرُوا أَيَّةَ محبَّةٍ أَعْطَانَا ٱلْآبُ حتَّى نُدْعى أَوْلَادَ ٱللهِ. مِنْ أَجْلِ هٰذَا لاَ يعْرِفُنَا ٱلْعَالَم لِأَنَّهُ لاَ يعْرِفُهُ. أَيُّهَا ٱلْأَحْبَاءُ ٱلْآنَ نحْنُ أَوْلاَدُ اللهِ ولَمْ يُظْهَرْ بعْدُ ماذَا سنكُونُ. ولٰكِنْ نعْلَمُ أَنَّهُ إِذَا أُظْهِر نكُونُ مِثْلَهُ لِأَنَّنَا سنراهُ كَمَا هُو.

(رسالة يوحنا الأولى ٣ : ١ و ٢)

يبدأ يوحنا هذا الفصل، بتذكير شعبه، مشيراً، بأنه يجب عليهم أن يتذكروا، ما لهم من امتيازات. وإنه لمن أعظم الإمتيازات التى نالوها، أن يدعوا أولاد الله، وحتى هذا الإسم، فيه شيء يجب ألا ننساه. «كرزيسوستم» فى موعظته، «كيف تلد الأولاد»، ينصح الآباء، بأن يطلقوا على أبنائهم، أسماء الشخصيات الكتابية البارزة، ويعلموهم باستمرار، قصة الشخص الذى حمل هذا الإسم لأول مرة، لكى يقدموا لهم مثالا يحتذونه، ويستمدوا منه إلهاماً لحياتهم، عند بلوغهم طور الرجولة، وبنفس الطريقة، للمسيحى امتياز حمل اسم الله، وكما أن انتماء الإنسان إلى أسرة أو جماعة لها شأنها، يلزمه بأن يحيا حياة نقية تليق بالإسم الذى يحمله، حتى لا يجلب العار على

تلك الأسرة أو الجماعة ، وهكذا فإن انتماءنا للأسرة الإلهية ، يجعلنا ملزمين بحفظ أقدامنا فى الطريق القويم . ويحفزنا على التسامى والارتفاع .

لكن كما يشير « يوحنا » . لا يقتصر امتيازنا ، على مجرد حملنا لاسم الله كأبناء له ، لكننا نحن أبناء الله فعلا . فنحن أولاد الله ، وليس الإسم وحده هو الذى لنا ، لكن الحقيقة هى نفسها لنا أيضاً .

وهنا يجب أن نلاحظ شيئاً آخر : هو أنه لا يمكن أن يصير الإنسان إبناً لله ، إلا عن طريق هبة فائقة للطبيعة. فالإنسان بطبيعته مخلوق إلهى ، لأنه الله هو الذى خلقه . لكن نعمة الله تصير الإنسان إبناً لله .

وهناك صورتان ، إحداهما فى العهد القديم . والأخرى فى العهد الجديد ، هاتان الصورتان تمثلان هذه الرابطة بكل حيوية ووضوح . ففى العهد القديم ، نجد فكرة العهد ، الذى بمقتضاه أصبح إسرائيل شعب الله ، أى أن الله ، هو الذى بادئ ذى بدء ، اقترب من إسرائيل بصورة خاصة ، وأنه كان إلههم بمفرده ، وأنهم كانوا شعبه هو بمفرده . وكجزء مكمل للعهد . أعطى الله الناموس لإسرائيل ، وكان حفظهم للناموس ، ومحافظتهم على وصاياه ، أساساً لدوام الرابطة التى أنشأها هذا العهد . وعلى هذا ، يكون بنو إسرائيل أبناء له بوجه خاص ، لأنه كان قد دعاهم ، واستجابوا هم لدعوته بطريقة خاصة ، بينما كان باقى الأمم كذلك ، منتمين لله وأبناء له ، لكن بدون قيام عهد خاص بينه وبينهم .

وفى العهد الجديد ، نجد فكرة التبنى (رومية ٨ : ١٤ و ١٧ ، كورنثوس الأولى ١ : ٩ ، غلاطية ٣ : ٢٦ و ٢٧ ، ٤ : ٦ و ٧) ، وهذه الفكرة تقول إنه بعمل متأن ، تتم من جانب الله عملية التبنى ، وبمقتضاها يصبح

المسيحى ، عضواً فى الأسرة الإلهية . فدخوله فى عضوية تلك الأسرة ، عمل إلهى ، وهبة إلهية :

ونحن نعمل حسناً إذ نتذكر . أنه بينما جميع البشر أبناء لله . بمعنى أن الجميع مدينون له بحياتهم . فإنهم يصبحون أبناء له بالمعنى الحى الأساسى ، الذى ينطوى عليه إصطلاح التبنى ، بناء على العمل الأساسى الذى تعمله نعمته الإلهية . وتجاوبهم القلبى مع هذه النعمة المباركة .

وهنا يواجهنا سؤال : إذا كان الناس يحظون بهذا الشرف . حالما يصيرون مسيحيين ، فلماذا إلى هذا الحد ، يحتقرهم العالم . ويرذلهم ولا يعرفهم ! ؟ والجواب أنه لا غرابة فى هذا ، لأنهم يختبرون ما سبق واختبره « يسوع » ، إذ أنه عندما جاء إلى العالم ، لم يعرفه العالم كإبن الله ، إنه جاء بمثل قلبت العالم رأساً على عقب ، فحياته كانت مثل حياة الله ، لدرجة تتضاءل أمامها وبجانبها أكمل حياة ، عاشها إنسان على أرضنا ، وقد رفض العالم أفكار « يسوع المسيح » ، مفضلا عليها أفكاره الخاصة . ولهذا ، فكل من يسلك على نفس المنوال الذى سلكه « يسوع » ، لا بد وأن يواجهه العالم ، بمثل ما واجه به « يسوع المسيح » .

تذكروا احتمالات الحياة المسيحية

بعد ما بدأ يوحنا يتذكير شعبه بامتيازات الحياة المسيحية . يواصل الكلام . ويضع أمامهم . ما سوف يبقى بعدة طرق ، حقيقة فى غاية الغرابة. إنه يضع أمامهم الحقيقة العظيمة ، قائلا ، إن هذه الحياة ليست سوى بداية ، وهنا يلاحظ « يوحنا » الحقيقة الغنوسية الوحيدة . كما يجب أن نسميها : إن المستقبل عظيم إلى هذا الحد . ومثله أيضاً . المجد العظيم الذى سوف يأتى ،

لدرجة أنه لا يخمن شيئاً من جهته . كما أنه لا يحاول حتى أن يصوره بكلمات ، لا تستطيع أن تفي بهذا الغرض ، لكنه يتحدث عن بضعة أمور بذاتها :

١ – عندما يظهر المسيح في مجده، سوف نكون مثله، ولا شك في أنه من المؤكد ، أن الأقوال الخاصة بالخليقة الأولى ، كانت في ذهن « يوحنا » وهو يكتب هذه الأقوال . وهي أن الإنسان قد خلق على صورة الله (تكوين ١ : ٢٦) ، وقد كان هذا هو قصد الله . كما أنه كان كذلك قدر الإنسان، وما علينا إلا أن ننظر في مرآة ، لنرى كيف غير السقوط تلك الصورة ، وأفقد الإنسان ذلك النصيب . لكن « يوحنا » يؤمن . أنه في المسيح ، يمكن للإنسان أن يعود إلى حالته الأولى . ويصير مثل المسيح ، وأن هذا هو السبب ، الذي من أجله ، سوف يحمل الإنسان في النهاية صورة الله وشبهه . فيوحنا يؤمن ، بأنه عن طريق عمل المسيح وحده ، في نفس الإنسان، يستطيع هذا الإنسان ، أن يصل إلى الرجولة الحقة ، الرجولة التي يريد له الله أن يبلغها ، وهي الوصول إلى صورة الله ذاته .

٢ – عندما يظهر المسيح . سنراه كما هو ، ونكون مثله . وكانت رؤية الله ، هي كل ما تتوق إليه النفوس العظيمة ، وغاية آمال العابدين ، هي أن يروا الله ، لكن أعظم ما يميز هذه الرؤية ، هو أنها ليست بقصد الحصول على متعة إشباع العقل ، لكن لكي نكون مثله . وهنا نجد أنفسنا أمام أمرين متناقضين : فنحن لا يمكن أن نصير مثل الله ، إلا إذا رأيناه ، كما أننا لا نستطيع أن نراه ، إلا إذا كانت قلوبنا نقية ، لأن أنقياء القلب فقط هم الذين يعاينون الله (متى ٥ : ٨) . فلكي نرى الله نحن نحتاج إلى الطهارة ، التي لا يمكن أن يعطيها لنا أحد غير الله . ويجب ألا نظن ، أن رؤية الله هذه ،

لا يمكن أن يتمتع بها إلا المتصوفون العظماء ، الذين قد بلغوا درجة عالية من الروحانية ، فأصبحوا من (الواصلين) . ويحكى أن رجلا فقيراً كان يذهب كثيراً للصلاة فى إحدى الكاتدرائيات ، ودائماً كان يركع أمام لوحة الصلب . وأمام تمثال للمسيح المصلوب ، ولاحظ أحدهم أن الرجل يأخذ وضع الصلاة ، ويركع . لكنه لا يحرك شفتيه ، فسأله : « لماذا تركع هكذا بغير أن ترفع صلاة ؟ » فأجابه الرجل الفقير بكل بساطة : « أنا أنظر إليه ، وهو ينظر إلى » . وهذه صلاة ، كما أنها رؤية لله فى المسيح ، تلك التى حصل عليها ذلك الرجل البسيط . وكل من ينظر ملياً إلى « المسيح يسوع » ، لا بد بالضرورة وأن يكون مثله .

ثم لا يزال أمامنا شىء آخر . لا بد لنا من ملاحظته : « يوحنا » هنا يفكر فيما يعنيه المجىء الثانى للمسيح . وربما كان فى وسعنا التفكير فى هذه المعانى . قد لا نستطيع التفكير فى مجىء المسيح فى مجده ، بالمعنى الحرفى لهذا المجىء . ربما كان الأمر هكذا . لكن لكل منا ، سوف يأتى اليوم . عندما نرى المسيح ونرى مجده . فنحن الآن ننظر فى مرآة فى لغز . لكن حينئذ وجهاً لوجه ، فنحن هنا على الدوام نصطدم بحاجز الزمن والحسيات ، لكن سيأتى اليوم الذى فيه ينشق الحاجز إلى نصفين .

وإذا ما أطبق الموت جفونى . . .
وخبا نـــور عيـــونى . . .
وانتهت فى الأرض أيام حياتى . . .
ولقـــبرى شيعـــونى
ســـوف ترفع كل ستر وحجـــاب
وتـــرينى يا إلهـــى . . .

كل ما عن عيني غـــاب
وأرى يا رب مجـــــدك . . . .
الذى قد انفردت . . . .
بـــه فى الأكوان وحـــدك

وعندئذ يتحقق رجاء المسيحى ، وكل ما كانت تسعى إليه ، وترجوه الحياة المسيحية .

وجوب الطهارة

وكُلُّ منْ عِنْدهُ هٰذَا ٱلرّجاءُ بِهِ يطَهِّر نفْسه كَمَا هُو طَاهِرٌ . كُلُّ منْ يفْعلُ ٱلْخَطِّيةِ يفْعل ٱلتَّعدِّى أَيْضاً . وٱلْخَطِيَّةُ هِي ٱلتَّعدِّى. وتعْلَمُونَ أَنَّ ذَاكَ أُظْهِر لِكَيْ يرْفَع خَطَايَانَا ولَيْس فِيهِ خَطِيَّةٌ . كُلُّ منْ يثْبُتُ فِيهِ لاَ يُخْطِئُ كُلُّ منْ يُخْطِئُ لَمْ يُبْصِرْه ولاَ عرفَه .

أَيُّهَا ٱلْأَوْلاَدُ لاَ يُضِلُّكُمْ أَحدٌ . منْ يفْعلُ ٱلْبِرَّ فَهُو بَارٌّ كَمَا أَنَّ ذاكَ بَارٌّ . منْ يفْعلُ ٱلْخَطِيَّةَ فَهُو مِنْ إِبْلِيس لِأَنَّ إِبْلِيس مِنَ ٱلْبِدْءِ يُخْطِئُ . لِأَجْلِ هٰذَا أُظْهِر ٱبْنُ ٱللهِ لِكَيْ ينْقُضَ أَعْمَال إِبْلِيس .

(رسالة يوحنا الأولى ٣ : ٣ - ٨)

لقد فرغ « يوحنا » للتو من القول ، بأن رؤية الله هى غاية الحياة المسيحية . فالمسيحى إذن هو فى طريقه إلى رؤية الله ، ولا يوجد ما يحفظ الإنسان فى حالة الطهر والنقاء ، ويعينه على مقاومة التجربة ، مثلما يفعل هذا الهدف السامى . وقد رسم أحد القصاصين ، صورة شاب ، كان دائماً يرفض مجاراة الآخرين ، فى ممارسة الرذائل ، التى كان أصدقاؤه يدعونه بإلحاح إلى مشاركتهم فيها . وفى كل مرة كان يرد عليهم ، بأنه يستعد لاستقبال أمر عظيم سوف يأتيه ، وأنه يود أن يكون على الدوام ، فى حالة استعداد لهذا الأمر . فالشخص الذى يعرف أن الله ينتظره فى نهاية الطريق ، لا شك فى أنه ، سيجعل حياته كلها ، فترة استعداد لهذا اللقاء العظيم ، الذى سيتم بينه وبين الله . والهدف الأقرب المقصود بهذه الفقرة ، هو مواجهة المعلمين الغنوسيين الكذبة . فكما رأينا . كان للغنوسيين أكثر من سبب ، لتبرير ارتكابهم الخطية : فقد قالوا إن الجسد شر من كل الوجوه ، وأنه لا أهمية له (للجسد) ، وعليه فلا بأس على الإنسان . إذا راح يعب من نبع الشهوات الجسدية ، أو إن تمادى فى التلذذ بالمسرات والمتع الأرضية ، كما قالوا إن الإنسان الروحانى الحق ، قد تسلح بسلاح الروح ، وأنه قد أصبح بوسعه أن يتمم كل شهوات قلبه . دون أن يناله من الخطيئة أدنى أذى . كما أنهم قالوا كذلك . إن الغنوسى الحقيقى . الذى حصل على المعرفة الحقة ، يجب أن يختبر كل الأشياء ، من أسماها إلى أدناها ، حتى يتسنى أن يقال عنه بحق ، إنه يعرف كل شيء . فوراء رد « يوحنا » على هؤلاء ، كان هناك نوع من التحليل الكامل للخطية . فهو يبدأ بالتركيز على أنه ، ما من إنسان يعتبر فوق القانون الأخلاقى ، ولا يوجد من يستطيع أن يقول ، إن فى مقدوره. ودون أى تحفظ ،أن يمارس أموراً بعينها ،من غير أن يناله أى شيء . حتى إذا نتج عن هذه الأشياء إيقاع الأذى بالآخرين . أو كما قال « ا. ا. بروك » .

« الطاعة هي مقياس النمو » ، والنمو لا يمنح الخطية أي امتياز ، فكلما سما الإنسان ازداد طهراً ونقاء ، وأضحى سلوكه أكثر ترتيباً . بعد ذلك يتقدم يوحنا ، إلى إيضاح عدد من الحقائق الأساسية الهامة عن الخطية .

١ — يخبرنا ما هي الخطية . الخطية هي التعدي على الناموس ، الذي يعرفه الإنسان معرفة نافية للجهالة ، والخطية هي أن يضع الإنسان رغائبه الشخصية ، في مكان ناموس الله ، لأن من يخطئ ، يطيع نفسه ، أكثر من الله

٢ — يخبرنا بما تفعله الخطية . إنها تبطل عمل المسيح ، فالمسيح هو حمل الله ، الذي جاء لكي يرفع خطية العالم (بشارة يوحنا ١ : ٢٩) ، ولهذا فإن ارتكاب الخطية ، يعتبر إبطالا لعمل المسيح ، ورجوعاً للوراء ، لنشر تلك الخطية التي جاء المسيح لكي يرفعها ويلاشيها .

٣ — بعد ذلك يخبرنا أيضاً ، لماذا كانت الخطية . إنها كانت نتيجة لفشل الإنسان في الثبوت في المسيح ، فهي تأتي من الاتحاد غير الكامل مع المسيح يسوع ، وهذه حقيقة واضحة غاية الوضوح ، ولا حاجة بنا إلى الظن ، بأن هذا ينطبق فقط على المتصوفين المتقدمين . فهي بكل بساطة يعني ، أننا ما دمنا نتذكر باستمرار ، حضور يسوع الدائم ، وما دمنا نسير على الدوام في ركابه ، وما دمنا نفعل هذا ، فإننا لا نخطئ . كما أننا في الحقيقة نخطئ فوراً ، حالما ننسى حضور المسيح الدائم معنا . هذا الحضور الذي إذ نتذكره باستمرار ، يصبح من العسير علينا أن نخطئ ، بل ويجعل ارتكابنا الخطأ أمراً في حكم المستحيل .

٤ — ثم يخبرنا من أين تأتي الخطية . إنها من إبليس ، وإبليس هو الذي يخطئ « وفقاً لمبدأ » ، هذا هو المعنى المحتمل لكلمة « من البدء » (عدد ٨) .

فنحن نخطئ من أجل الأشياء والمسرات ، التى نظن أننا سنجتنيها من وراء المحرمات . والشيطان يخطئ ، لأنه اتخذ الخطية قاعدة أساسية ، ومبدأ أساسياً لحياته . والعهد الجديد ، لا يحاول أن يشرح لنا ما هو الشيطان ، ولا ما هو أصله ، لكنه رغم ذلك مقتنع ، وهذه حقيقة اختبارية عامة ، بأنه يوجد فى العالم مبدأ وقوة يعملان ضد الله ، وأن من يخطئ ، يطيع تلك القوة المضادة ، بدلا من إطاعته لله .

٥ — كذلك يخبرنا كيف نهزم الخطية . إننا نهزم الخطية ، لأن « يسوع » قد أبطل أعمال إبليس ، والعهد الجديد يعتمد على المسيح الغالب المنتصر ، الذى حارب وغلب ، وجرد إلى الأبد ، كل قوات الشر : وجميع أجناد الظلام . (متى ١٢ : ٢٥ - ٢٩ ، لوقا ١٠ : ٢٨ ، كولوسى ٢ : ١٥ ؛ رسالة بطرس الأولى ٣ : ٢٢ ؛ بشارة يوحنا ١٢ : ٣١) . إن « يسوع المسيح » بانتصاره ، قد كسر قوة أجناد الشر ، ونحن بمعونته ، نستطيع أن ننتصر مثله .

الإنسان المولود من الله

كُلُّ مَنْ هُوَ مَوْلُودٌ مِنَ ٱللهِ لا يفْعل خَطِيَّةً لِأَنَّ زَرْعهُ يثْبُتُ فِيهِ ولاَ يسْتطِيعُ أَنْ يُخْطِئَ لِأَنَّهُ موْلُودٌ مِنَ اللهِ .

(رسالة يوحنا الأولى ٣ : ٩)

وما أكثر ما فى هذا العدد من صعوبات ، إلا أنه من الأهمية بمكان بالنسبة لحياتنا ، أن نعرف ما يعنيه .

(أولا) ما الذى يقصده « يوحنا » بقوله : « زرعه يثبت فيه » ؟ هناك ثلاث احتمالات :

١ — كلمة « زرع » ، استخدمت كثيراً فى الكتاب المقدس ، للإشارة إلى نسل الإنسان . فأبرام ونسله (زرعه) كان عليهم أن يحفظوا عهد الله (تكوين ١٧ : ٩) ، ووعد الله لإبراهيم كان له ولنسله (زرعه) إلى الأبد (لوقا ١ : ٥٥) ، واليهود اعتبروا أنفسهم ذرية (زرع) « إبراهيم » (بشارة يوحنا ٨ : ٣٣ و ٣٧) ، وفى غلاطية ، يحدثنا الرسول عن نسل « إبراهيم » وذريته (زرعه) (غلاطية ٣ : ١٦ و ٢٩) . فإذا أخذنا كلمة « زرع » هنا بهذا المعنى ، واعتبرنا الضمير المتصل فى زرعه (الهاء) ، يعود على الله ، عندئذ نحصل على معنى قوى رائع غاية فى الوضوح ، إذ يصبح النص هكذا : « كل من هو مولود من الله لا يخطئ ، لأن (زرع الله) يثبت فيه أى فى الله . فالواضح أن المولود من الله عضو فى الأسرة الإلهية ، وعائلة الله ، هم أولئك الذين يثبتون فى الله ، ولا ينسونه أبداً ، بل هم دائماً يراعونه ، ويحيون فى قربه على الدوام ، لدرجة يمكن معها أن تقول عنهم ، إنهم يثبتون فى الله ، وكل من كانت حياته على هذا النسق ، لا بد وأن يكون لديه خط دفاع قوى ضد الخطية ، وهذا بغير شك يجعل لهذه الأقوال معنى رائعاً .

٢ — زرع البشر هو الذى ينشئ الحياة البشرية ، فالإبن يأتى من زرع الأب ، ويمكن القول بأن زرع الأب هو فى الإبن . والآن المسيحى مولود من الله ، ولهذا فإن زرع الله موجود فيه ، وهذه الفكرة كانت شائعة وسائدة بين شعب « يوحنا » فى ذلك الزمان ، فالغنوسيون قالوا ، إن الله قد زرع زرعا فى هذا العالم ، وأن العالم قد أصبح ، فى طريقه لبلوغ الكمال ، عن طريق العمل الذى يقوم به هذا الزرع الإلهى ، كما أعلنوا أن الغنوسيين الحقيقيين هم الذين استودعهم الله هذا الزرع . كان هناك بعض الغنوسيين يقولون ، إن جسد الإنسان شيء مادى وشرير ، وأن الذى صنعه هو الإله

الخالق المعادى لله ـ ولكن فى بعض هؤلاء ـ بذرت الحكمة سراً ، بعض البذار فى بعض هذه الأجساد ـ وأن الروحانيين الحقيقيين هم الذين فى نفوسهم هذه البذار ـ وهذه التعاليم وثيقة الصلة بتعاليم الرواقيين ـ التى تنادى بأن الله روح نارى ، وأن نفس الإنسان ، التى تعطيه العقل والحياة ـ هى شرارة من تلك النار المقدسة ـ التى جاءت من الله ـ لكى تسكن فى جسد الإنسان . ولو أخذنا كلمات « يوحنا » على هذا المفهوم ـ فسوف يكون معناها هو ؛ أن كل إنسان مولود من الله ـ فى داخله زرع الله ـ وهذا الزرع ليس أقل من هذه الشرارة التى يقولون عنها ـ ولهذا ـ فإن المولود من الله ؛ لا يستطيع أن يخطئ . ولا شك فى أن « يوحنا » ـ وسامعيه ـ وقارئ رسالته فى ذلك الزمان ، كانوا يعرفون هذه الفكرة جيد المعرفة .

٣ ــ فكرة أخرى أسهل من ذلك بكثير ـ وربما كانت هذه الفكرة هى التى يشير إليها « يوحنا » هنا. مرتين فى العهد الجديد ـ أشير إلى كلمة الله على أنها هى التى تؤدى إلى تجديد البشر ، وحصولهم على الميلاد الثانى ـ فيعقوب يقول : « شاء فولدنا بكلمة الحق لكى نكون باكورة من خلائقه » (يعقوب ١ : ١٨) . فكلمة الله هى البذرة الإلهية ـ التى تنمو ـ وتكون ثمرتها هى الحياة الجديدة ـ « وبطرس » يعبر عن نفس الفكرة ـ وهو يقول عن المسيحيين : « مولودين ثانية لا من زرع يفنى بل مما لا يفنى بكلمة الله الحية الباقية إلى الأبد » (بطرس الأولى ١ : ٢٣) ـ ولو أننا حملنا كلمات « يوحنا » على هذا المحمل ـ لكان المعنى هو ـ أن من ولد من الله ـ لا يستطيع أن يخطئ لأن لديه قوة كلمة الله وإرشادها ـ

. وهذه الطريقة الثالثة ـ هى أيسر السبل وأفضلها ـ وقد يكون المقصود بقول « يوحنا » ـ هو أن الشخص المسيحى محفوظ من الخطية ـ بوجود قوة كلمة الله الساكنة فى داخله

(ثانياً) يقدم لنا هذا العدد ، مشكلة ربطه بأمور معينة . كان « يوحنا » قد قالها قبلا عن الخطية ، وبحسب الظاهر ، يكون معنى هذا العدد ، أنه من المحال أن يخطئ إنسان مولود من الله ، ولكن « يوحنا » كان قد سبق وقال : « إن قلنا إننا بلا خطية نضل أنفسنا وليس الحق فينا » ، وأيضاً : « إن قلنا إننا لم نخطئ نجعله (الله) كاذباً وكلمته ليست فينا » (رسالة يوحنا الأولى ١ : ٨-١٠) ، ثم يواصل حديثه حتى يصل إلى القول : « إن أخطأ أحد فلنا شفيع عند الآب « يسوع المسيح » . وبحسب الظاهر قد يبدو أن « يوحنا » يناقض نفسه ، لأنه فى موضع يقول . « إن المولود من الله ليس إلا إنساناً خاطئاً ، وأنه عندما يخطئ توجد كفارة لخطيته ، بينما يقول فى موضع آخر ، قولا على النقيض من هذا تماماً ، فالمولود من الله لا يستطيع أن يخطئ ، فكيف يمكن التوفيق بين القولين ؟

١ — كانت فى ذهن « يوحنا » الأقوال والصور اليهودية ، لأن هذا هو كل ما يستطيع عمله ، فقد رأينا من قبل ، أن « يوحنا » قد عرف ، وقبل ، الصور اليهودية للعهدين ، الدهر الحاضر ، والدهر الآتى ، وكان اليهوديعتبرون الزمان الحاضر شراً بجملته ، وأنه تحت سلطان الشيطان ، بينما الدهر الآتى هو عصر الله الذهبى . كما رأينا أيضاً أن « يوحنا » كان يعتقد ، أنه مهما كان شكل العالم ، فإن المسيحيين . بفضل العمل الذى عمله المسيح ، قد سبق ودخلوا فى العهد الجديد ، وأنهم عائشون فيه من قبل .

والآن نرى أنه من أدق خصائص العهد الجديد ، أن أولئك الذين يعيشون فيه ، يجب أن يكونوا قد تحرروا قبلا من الخطية ، وفى سفر أخنوخ

نقرأ : « عندئذ تعطى الحكمة للمختارين وجميعهم سوف يحيون ولن يعودوا أبداً إلى الخطية لا عن غفلة ولا عن طيش ولا عن كبرياء » (أخنوخ ٥ : ٨) وإذا كان هذا صحيحاً بالنسبة للعهد الجديد ، فإنه يجب أن يكون كذلك صحيحاً ، بالنسبة للمسيحيين العائشين فى هذا العهد .

لكنا — إحقاقاً للحق — نقول ، إن هذا القول ، ما زال غير صحيح ، لأن المسيحيين لم يتحرروا بعد من قوة الخطية . وعلى هذا يمكننا القول ، بأن « يوحنا » فى هذه الفقرة ، يضع أمامنا مثالا لما يجب أن يكون . أما فى الفقرتين الأخريين ، فهو يواجه الأمر الواقع . ويمكن أن نقول ، إن « يوحنا » يعرف الصورة المثالية ويحث الناس على اتباعها ، كما أنه يواجه الحقائق ، ويقدم للناس العلاج الناجع فى شخص المسيح .

٢ — قد يكون الأمر هكذا ، لكنه يتضمن أكثر من ذلك ، ففى النص اليونانى ، تختلف أزمنة الفعل ، وهذا يؤدى إلى اختلاف كبير فى المعنى . ففى (ص ٢ : ١) يقول يوحنا : « لا تخطئوا » . والفعل اليونانى هنا فى زمن الـ (Aorist) ، وهذا الزمن يشير إلى فعل محدد ومميز ، وهكذا يكون قول يوحنا فى ذلك العدد ، هو أن على المسيحيين ، ألا يرتكبوا أفعالا شخصية من أعمال الخطية ، لكن إذا ما حدث وجرب أحد ، ثم سقط فى الخطية ، فإن لهؤلاء الذين يسقطون ، شفيعاً يشفع فيهم ، وكفارة تكفر عن خطاياهم . ومن ناحية أخرى ، فى الفقرة التى أمامنا الآن (يوحنا الأولى ٣ : ٩) ، فى كل الحالات ، فى النص اليونانى نجد الفعل « يخطئ » فى زمن المضارع ، الذى يشير إلى فعل مستمر ثابت ومعتاد . وهكذا نستطيع أن نضع ما قاله يوحنا على أربع مستويات :

(ا) الصورة المثالية للعهد الجديد ، هى أن الخطية قد انتهت إلى الأبد ؛

(ب) على المسيحيين أن يجعلوا هذا الأمر حقيقة ، وبمعونة المسيح على كل منهم أن يمتنع عن أى فعل من أفعال الخطية ، أو الزلات التى تعتبر خطأ ، أو ابتعاداً عن الصلاح .

(حـ) وإنه لمن إحقاق الحق أن نقول ، إن جميع البشر بلا استثناء ، يقعون فى هذه الزلات ، وعندما يحدث هذا ، عليهم أن يعترفوا بها لله فى روح التواضع ،ولن يحتقر الله القلب المنكسر أو المنسحق أو يرذله .

(د) لكن رغم هذا ، لا يستطيع أى مسيحى ، أن تكون حياته سلسلة متصلة الحلقات من الأخطاء ، كما لا يمكن أن تكون الخطيئة ، هى الطابع المميز لحياة المسيحى . قد تكون لهذا الإنسان زلاته ، لكنه لن يستطيع أن يعيش حياته كلها فى الخطيئة ، ويجعلها الجو الذى يعيش فيه .

فيوحنا ، لا يضع أمامنا هنا ، كما لا مزعوماً ، يتطلب حياة لا تشوبها شائبة من خطية ، لكنه يطلب حياة تحارب فى معركة الصلاح ، حياة لا تستسلم أبداً للخطية ، حياة لا تكون الخطية هى حالها الدائمة ، بل لا تزيد الخطية فيها ، عن أن تكون مجرد انحراف مؤقت ، ولحظة هزيمة شاذة . فيوحنا يقول ، إن من يثبت فى الله ، لا يمكن بحال أن يقبل الاستمرار فى ارتكاب الشر .

بِهَذَا أَوْلَادُ ٱللهِ ظَاهِرُونَ وَأَوْلَادُ إِبْلِيسَ . كُلُّ مَنْ لاَ يَفْعَلُ ٱلْبِرَّ فَلَيْسَ مِنَ ٱللهِ وَكَذَا مَنْ لاَ يُحِبُّ أَخَاه . لِأَنَّ هٰذَا هُوَ ٱلْخَبَرَ ٱلَّذِى سَمِعْتُمُوه مِنَ ٱلْبَدْءِ أَنْ يُحِبَّ بَعْضُنَا بَعْضاً . لَيْسَ كَمَا كَانَ قَايِينُ مِنَ ٱلشِّرِّيرِ وَذَبَحَ أَخَاهُ . وَلِمَاذَا ذَبحَهُ لِأَنَّ أَعْمَالَهُ كَانَتْ شِرِّيرَةً وَأَعْمَالُ أَخِيهِ بَارَّةٌ .

لاَ تَتَعَجَّبُوا يَا إِخْوَتى إِنْ كَانَ ٱلْعَالَم يبْغِضُكُمْ . نَحْنُ نَعْلَم أَنَّنَا قَدِ ٱنْتَقَلْنَا مِنَ ٱلْمَوْتِ إِلَى ٱلْحَيٰوةِ لِأَنَّنَا نُحِبُّ ٱلْإِخْوَةَ . مَنْ لاَ يُحِبُّ أَخَاه يَبْقَ فِى ٱلْمَوْتِ . كُلُّ مَنْ يبْغِضُ أَخَاهُ فَهُوَ قَاتِلُ نَفْسٍ. وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ كُلَّ قَاتِلِ نَفْسٍ لَيْسَ لَهُ حَيٰوةٌ أَبَدِيَّةٌ ثَابِتَةٌ فِيهِ . بِهَذَا قَدْ عَرَفْنَا ٱلْمَحَبَّةَ أَنَّ ذَاكَ وَضَعَ نَفْسَهُ لِأَجْلِنَا فَنَحْنُ يَنْبَغِى لَنَا أَنْ نَضَعَ نُفُوسَنَا لِأَجْلِ ٱلْإِخْوَةِ . وَأَمَّا مَنْ كَانَ لَهُ مَعِيشَةُ ٱلْعَالَمِ وَنَظَرَ أَخَاهُ محْتَاجاً وَأَغْلَقَ أَحْشَاءه عَنْهُ فَكَيْفَ

تَثْبُتُ مَحَبَّةُ ٱللهِ فِيهِ . يَا أَوْلاَدِى لاَ نُحِبُّ بِالْكَلاَمِ وَلاَ بِٱللِّسَانِ بَلْ بِالْعَمَلِ وَالْحَقِّ .

(رسالة يوحنا الأولى ٣ : ١٠ — ١٨)

وقد أبدع يوحنا أيما إبداع . فى صياغة هذه الفقرة . بأسلوب جدلى مقنع ، آتياً فى وسطها . بعبارات اعتراضية . صاغها صياغة متقنة . وقد لخص « وستكوت » مضمون هذه الفقرة فى جملة واحدة :

« الحياة هى التى تظهر أولاد الله » . وكما أن الشجرة لا تعرف إلا عن طريق الثمر ، هكذا . لا يوجد إلا السلوك والحياة العملية ، هذان هما السبيل لمعرفة أولاد الله . فيقول «يوحنا» إن الذى لا يفعل البر ليس مولوداً من الله . والآن لنغض الطرف عن العبارات الإعتراضية . ونتجه مباشرة إلى مجادلة « يوحنا » .

ورغم أن « يوحنا » كان زاهداً متصوفاً . إلا أن عقله كان مفكراً . فلم يترك البر أمراً غامضاً . لكنه بادر إلى إيضاحه وشرحه . وقد يقول قائل : « إننى أقبل الحقيقة القائلة إن بر الإنسان . هو الشئ الوحيد . الذى يثبت لنا إن كان هذا الإنسان إبناً لله أم لا . لكن خبرونى ما هو هذا البر ! ؟ لم يترك « يوحنا » أى مجال لأى تساؤل . بل قدم جواباً واضحاً وصريحاً : « البر هو أن نحب إخوتنا » . كما أعلن أن هذا واجب محتوم . ووصية ملزمة ، وليس هناك أدنى شك فى هذا . ثم يستمر فى حديثه معدداً الأسباب التى من أجلها ، تعتبر وصية « محبة الأخوة » وصية ملزمة :

١ — إنه واجب يلتزم به المسيحى ، من أول لحظة يدخل فيها إلى دائرة الكنيسة . فالسلوك المسيحى ، يمكن إجماله فى كلمة واحدة : « المحبة » .

ومن بدء انتساب المؤمن إلى المسيح - وانتمائه إلى عضوية الكنيسة ، يكون قد التزم بأن يجعل المحبة هي المحرك الأقوى لحياته .

٢ ـ لهذا السبب عينه . تكون محبة المؤمن لإخوته - هي الدليل الحاسم ، على أنه قد انتقل من الموت إلى الحياة . أو على حد قول «ا. ا. بروك» : «الحياة فرصة فيها نتعلم كيف نحب » . فالحياة بغير محبة تكون موتاً ، والمحبة هي السير في النور . والكراهية تكون بقاء في الظلمة ، ولا حاجة بنا إلى أكثر من نظرة في وجه الإنسان ، لنعلم إن كان من حزب المحبين أو من عصابة المبغضين لأن وجه الإنسان - هو الذي يكشف عما في القلب من بهاء أو سواد .

٣ ـ أكثر من هذا ، من لا يحب يعتبر قاتلا . ولا شك في أن « يوحنا » ، عندما كتب هذه الكلمات ، كان يتأمل فيما تضمنته موعظة الجبل ، من أقوال المسيح (انظر متى ٥ : ٢١ ، ٢٢) ، حيث أعلن « يسوع » . أنه إن كان الناموس القديم قد حرم القتل ، فإن الناموس الجديد قد حرم حتى الغضب والسخط والمرارة ، معلناً أنها خطايا خطيرة . فالكراهية في القلب ، قد تؤدي بالإنسان إلى قتل من يكرهه ، والسماح للبغض بأن يستقر في القلب ، يعتبر كسراً لوصية إيجابية من وصايا « يسوع » نفسه . ولهذا السبب : كل من يحب يكون تابعاً للمسيح ، ولا يكون من أتباعه ، كل من يبغض أخـــاه

٤ ـ تبقى لنا نقطة واحدة في هذه الفقرة الجدلية . قد يقول قائل : « أنا معكم في أنه يجب أن نحب ،وسوف أحاول أن أتمم وصية المحبة هذه ،لكنني أجهل مضمونها . ما هي هذه المحبة التي على أن أبديها ، وأن أحيا فيها ! ؟ في (عدد ١٦) يجيب « يوحنا » على هذا السؤال . بقوله : « إن أردت أن تعلم ما هي هذه المحبة . أنظر إلى « يسوع المسيح » وهو معلق على الصليب .

باذلا نفسه من أجل البشر ، ولسوف ترى فيه أقوى تعبير عن المحبة ، إن جواب « يوحنا » هو : « كل من سبق ورأى « يسوع المسيح » . لا بد وأنه قد عرف معنى المحبة ». أو بتعبير آخر : « إن الحياة المسيحية هى الاقتداء بالمسيح . « ليكن فيكم هذا الفكر الذى فى المسيح . . » (فيلبى ٢ : ٥) . » « إنه قد ترك لنا مثالا لكى نتبع خطواته » (بطرس الأولى ٤ : ٢١) . ولا يوجد إنسان يرى المسيح ، إلا ويكون قد عرف ما هى الحياة المسيحية .

٥ ـ لكن « يوحنا » يواجه اعتراضاً آخر أكثر احتمالا ، فقد يقول قائل : « كيف أستطيع أن أتبع المسيح ، وأظهر الحب الذى أظهره هو ! ؟ إنه قد وضع حياته على الصليب ، وأنت تقول إن على أن أضع حياتى من أجل الأخوة . . لكن لا تتاح لى الفرصة . لكى أفعل هذا الأمر . . فماذا أفعل» على مثل هذا يجيب « يوحنا » ويقول : « إن رأيت أخاك محتاجاً ، وكانت لك معيشة العالم ، وفى وسعك أن تقدم له ما يحتاج إليه ، لكنك لم تعطه ، فإن هذا يدل على أنه لا مكان للمحبة فى حياتك . أما إن أعطيته ، ولم تغلق قلبك ، فإنك تكون قد اتبعت خطوات المسيح ، وأظهرت المحبة المسيحية . ويركز « يوحنا » ، على أننا نستطيع أن نجد العديد من الفرص ، التى يمكننا فيها إظهار هذه المحبة ـ محبة المسيح ـ فى حياتنا اليومية . وقد علق أحدهم على هذه الفقرة ، تعليقاً قوياً فقال : « كانت فى حياة الكنيسة الأولى ، كما توجد فى حياتنا نحن اليوم ، ظروف مفجعة ، وهذه هى الفرص التى يمكننا فيها ، أن نتمم هذه الوصية حرفياً ، بوضع حياتنا لأجل الإخوة ، لكن هل الحياة كلها مآس وفواجع ؟ كلا ، ومع هذا ، فإننا فى كل الظروف ، نستطيع أن نسلك بحسب المثال ، الذى أعطاه وتركه لنا « يسوع » ، فمثلا يمكننا الحد مما ننفقه على متعنا الشخصية ، ونقدم ما نوفره منها لإنسان محتاج ، وهذه هى أبسط صورة للتعبير عن محبتنا ، وجعل هذا مبدأ نسير عليه فى

حياتنا . بإظهار الرغبة فى التسليم ، التى تجعل لحياتنا قيمة ، بالعمل على إثراء حياة إنسان آخر . ولئن كان هذا هو الحد الأدنى ، للإستجابة لقانون المحبة . فإنه يكون من قبيل التهاون . التظاهر بأننا أعضاء فى الأسرة الإلهية ، دون إظهار هذه المحبة نحو الإخوة . مع أن هذا هو المجال الذى ينبغى أن نظهر فيه المحبة العاملة . كمبدأ وعلامة للحياة الأبدية .

إن الكلمات الطيبة . لا تقوم مقام الأعمال الصالحة . وكل الكلمات والأحاديث التى يتداولها العالم عن المحبة المسيحية ، لا يمكنها أن تقوم مقام عمل واحد من أعمال الخير . نقدمه لشخص محتاج ، معبرين بهذا عن إنكارنا لذواتنا . لأننا عن طريق هذا العمل . يمكننا أن نظهر عمل الصليب مرة ثانية

إمتعاض العالم من الطريقة المسيحية

قلنا قبلا . إن هذه الفقرة تتضمن جملة اعتراضية ، وقلنا إننا ربما نعود إليها فيما بعد . وها نحن نعود إليها الآن براً بوعدنا :

(عدد ١١) هو الجملة الإعتراضية . مضافاً إليها جزء ختامى فى (عدد ١٢) . المسيحى لا ينبغى أن يكون مثل « قايين » . الذى قتل أخاه ، لأن عملا كهذا ، لا يمكن أن يصدر . إلا عن شخص قد امتلأ قلبه بالبغضاء من جهة أخيه . وهذه البغضاء مصدرها الشيطان . بعد هذا يصل « يوحنا » إلى التساؤل . عن السبب الذى حدا بقايين ، إلى قتل أخيه « هابيل » . وكان جوابه على هذا السؤال هو : « إن قايين قد قتل أخاه ، لأن أعماله هو كانت شريرة . بينما كانت أعمال أخيه بارة» . ثم بعد ذلك يقول « يوحنا » : « لا تتعجبوا يا إخوتى إن كان العالم يبغضكم » .

ونحن نلاحظ بكل وضوح ، أن كل إنسان شرير ، يكره الشخص البار ، والبر دائماً يثير روح العداء ، فى أذهان وقلوب أولئك الذين اتخذوا الشر مبدأ لحياتهم وسلوكهم . أما السبب فى هذا فهو أن حياة البر ، تمثل توبيخاً صارماً حياً . يسير على قدمين . لكل إنسان شرير . حتى إذا لم يوجه إليه كلمة توبيخ واحدة ، أو حتى إن لم يكن بينهما أى اتصال مباشر ، كما أن حياة البار . تمثل دينونة صامتة لحياة الشرير . وكان هذا هو السبب الذى أدى بألسيبيادس . إلى ذلك الموقف الطائش المنحل ، الذى وقفه من « سقراط » . الذى كان فى عصره الإنسان رقم (١) دون أى منازع ، بينما كان « ألسيبيادس » شخصاً فاسقاً ، شاذاً ، غريب الأطوار ، وقد اعتاد أن يقول لسقراط : « أنا أبغضك يا سقراط . لأننى كلما قابلتك والتقيت بك ، تتكشف لى حقيقة ذاتى » .

وفى حكمة سليمان ، فقرة تثير الإمتعاض ، فى هذه الفقرة ، نجد حديثاً يجرى على لسان إنسان شرير ، يعبر عن شعوره تجاه شخص بار ، فيقول : « لنختفى فى انتظار البار ، لأنه ليس على شاكلتنا ، وأعماله طاهرة ، على النقيض من أعمالنا نحن . . إنه وجد لكى يكشف حقيقة أفكارنا ، ولهذا فهو مكدر لنا للغاية . إن حياته تختلف عن حياة الآخرين . وهو ينظر إلينا على أننا أناس مزيفون ، فيهرب من طرقنا ، وكأننا قاذورات يتجنب النظر إليها». إن الشرير يكره البار لمجرد رؤية منظره .

وفى أثينا القديمة . حكم بالموت ظلماً على النبيل « أرستيدس » . وعندما سئل أحد المحلفين ، عن السبب الذى جعله يصوت . ضد شخص على هذا القدر من النبل ، كان رده : « إننى تعبت من سماع اسمه مقترناً بلقب «البار»

وكراهية العالم للمسيحى ، لا زالت إحدى ظواهر عصرنا الحاضر ،

وهى راجعة فى أساسها إلى أن الشخص « العالمى » يرى فى المسيحى إتهاماً لشخصه ، ويرى فيه أيضاً ، شخصاً يختلف عنه اختلافاً تاماً ، كما يرى فى صفات المسيحى . ما يجب أن يتوفر فى حياته هو . لكن لأنه لا يرغب فى تغيير حياته . لتصبح كحياة المسيحى . نجده يسعى جاهداً . لكى يزيح من طريقه . هذا الشخص . الذى يذكره بصلاحه المفقود .

الإختبار الوحيد

وَبِهَذَا نَعْرِفُ أَنَّنَا مِنَ ٱلْحَقِّ وَنُسَكِّنُ قُلُوبنَا قُدَّامَهُ . لأَنَّهُ إِنْ لاَمَتْنَا قُلُوبُنَا فَٱللهُ أَعْظَمُ مِنْ قُلُوبِنَا وَيَعْلَمُ كُلَّ شَيْءٍ أَيُّهَا ٱلأَحِبَّاءُ إِنْ لَمْ تَلُمْنَا قُلُوبُنَا فَلَنَا ثِقَةٌ مِنْ نَحْوِ ٱللهِ وَمَهْمَا سَأَلْنَا نَنَالُ مِنْهُ لأَنَّنَا نَحْفَظُ وَصَايَاهُ وَنَعْمَلُ ٱلأَعْمَالَ ٱلْمَرْضِيَّةَ أَمَامَهُ . وَهَذِهِ هِيَ وَصِيَّتُهُ أَنْ نُؤْمِنَ بِٱسْمِ ٱبْنِهِ يَسُوعَ ٱلْمَسِيحِ وَنُحِبَّ بَعْضُنَا بَعْضاً كَمَا أَعْطَانَا وَصِيَّةً . وَمَنْ يحفظ وَصاياه يَثْبُتْ فِيهِ وَهُوَ فِيهِ .

(رسالة يوحنا الأولى ٣ : ١٩ — ٢٤)

إن القلب البشرى عرضة لأن تتسلل إليه الشكوك ، وإذا ما كان الإنسان مسيحياً بأية صورة من الصور ، فإنه أحياناً ، يجد ذاته مضطراً للشك ، خاصة إن كان حساساً رقيق الشعور . واختبار « يوحنا » يتميز بالبساطة المتناهية ، كما يتميز ببعد مداه . إن اختباره هو «المحبة» . فإذا ما شعرنا بأننا

نحب الآخرين من أعماق قلوبنا ، فعندئذ يمكننا أن نحظى بوجود قلب المسيح فى داخلنا . قد نشعر بوجود العديد من الخطايا ، لكن إحساسنا بالمحبة ، يجعلنا قريبين من المسيح . وربما كان قصد «يوحنا» أن يقول ، إن من يدعى هرطوقياً ، إذا كان قلبه يفيض بالمحبة ، وإذا ما عاش حياة الخدمة ، فإنه عندئذ يكون أكثر قرباً للمسيح ، من أى واحد ، ممن تتسم حياتهم بالبرود وعدم الاهتمام باحتياجات الآخرين ، حتى إذا كان هذا من أصحاب العقيدة السليمة ، والرأى المستقيم .

بعد ذلك يتقدم «يوحنا» ليقول شيئاً ، وبحسب ما ورد فى النص اليونانى الأصلى ، يحتمل هذا القول معنيين . إنه يقول إن ذلك الشعور بالمحبة ، يمكن أن يؤكد لنا من جديد فى حضرة الله ، أن قلوبنا قد تلومنا ، لكن الله أعظم من قلوبنا . والسؤال الآن هو : ما الذى تعنيه هذه العبارة الأخيرة ؟

١ - قد تعنى أن قلوبنا تلومنا ، وأن الله أعظم من قلوبنا بما لا يقاس . إلى أى حد يا ترى ، يلومنا الله ، الكلى القداسة ، والمعرفة ، والطهارة ، إلى أى حد ينبغى أن يلومنا الله ؟ إن أخذناها على هذا المحمل ، لن تترك لنا هذه العبارة غير الخوف من الله ، ومن دينونته المؤكدة المحتومة ، وهنا لا يسعنى إلا القول : «اللهم ارحمنى أنا الخاطئ» . لا شك فى أن هذه قد تكون تفسيراً محتملا ، وربما كانت ترجمة حقيقية كذلك . لكن سياق الكلام يوضح لنا ، أن «يوحنا» يقصد معنى آخر ، لأنه يفكر فى ثقتنا من نحو الله وليس فى خوفنا

٢ - لهذا يجب أن يكون المعنى الذى يقصده «يوحنا» هو : إن قلوبنا تلومنا ، وهذا أمر مؤكد ، لكن الله أعظم من قلوبنا ، فهو يعرف كل شىء. إنه لا يعرف خطايانا فقط ، لكنه يعلم أيضاً محبتنا ، وأشواقنا ، ومشاعرنا

النبيلة . التى لم تتمكن من الإفصاح عن ذاتها . كما يعرف كذلك ندامتنا وآمالنا ، وهذه المعرفة الإلهية فى عظمتها ، تجعله يرثى لنا ، الرثاء المصحوب بالفهم الكلى ، والإشفاق التام ، لدرجة تجعله يقبل ليس فقط ما قدمناه ، بل أكثر من ذلك . يقبل ما كنا نود أن نعمله . ولهذا فهو يقدر أن يصفح عنا ويسامحنا .

ومحبة الله هذه ، هى أساس رجائنا . وكما قال « توما الكمبيسى » : « الإنسان يرى ما نتممه من أعمال : أما الله فإنه يعلم النيات . البشر يحكمون علينا فقط ، فى ضوء ما نقوم به من أعمال ، بينما يستطيع الله ، أن يحكم علينا ، بحسب أشواق قلوبنا ، التى لم تبلغ بعد طور الأعمال ، كما أنه يحكم أيضاً ، على ما يراودنا من أحلام ، حتى ولو لم تتحقق هذه الأحلام . عندما كان « سليمان » يدشن الهيكل ، أشار إلى ، ما كان يعتمل فى نفس « داود » ، من شوق لبناء بيت للرب ، لكن الرب لم يسمح له بالقيام بهذا العمل : «وكان فى قلب داود أبى أن يبنى بيتاً لاسم الرب إله إسرائيل فقال الرب لداود أبى . من أجل أنه كان فى قلبك أن تبنى بيتاً لاسمى قد أحسنت بكونه فى قلبك » (ملوك الأول ٨ : ١٧ و ١٨) . وهناك مثل فرنسى يقول : « من يعرف كل شىء ، يصفح عن كل شىء » . إن الناس يحكمون علينا بحسب ما يرونه من أعمالنا ، وهذا هو كل ما يستطيعون . أما الله ، فإنه يعلم كل عاطفة كامنة هناك فى أعماق قلوبنا ، وبحسب معرفته هذه يحكم علينا . فإذا كان فى قلوبنا ، أى قدر ولو ضئيل من المحبة ، حتى إن كانت هذه المحبة غير كاملة أو غير واضحة ، أو غير نافعة ، فإننا نستطيع عندئذ أن ندخل إلى حضرته ، وملء قلوبنا ثقة ويقين . إن الله يعرف كل شىء ، وهو وحده الذى يملك هذه المعرفة دون سواه ، ومعرفته الكلية هذه ليست خوفاً أو رعباً لنا ، لكنها هى رجاؤنا .

الوصايا المتلازمة

يواصل « يوحنا » حديثه عن الأمرين المقبولين فى نظر الله . بشأن وصيتى الطاعة . اللتين تعتمد عليهما شركتنا مع الله .

١ — علينا أن نؤمن باسم ابنه « يسوع المسيح » . وهنا يستخدم « يوحنا » كلمة (اسم) ، وهى كلمة غريبة بالنسبة لكتاب العهد الجديد . وفى المرات التى استخدم فيها كتاب بعض الأسفار هذه الكلمة ، لم يكن المقصود بها ، هو الإسم الذى يطلق على الشخص على حسب ما تعودنا . فالمرنم يقول فى المزمور : « معونتنا باسم الرب » (مزمور ١٢٤ : ٨) : وهذا بالطبع لا يعنى ، أن معونتنا تتوقف على كون الرب اسمه يهوه » . لكنها تعنى ، أن معونتنا هى فى محبة الله وحنانه ورحمته ، هذا الإله الذى أعلن لنا : أن الحنان هو طبعه ، والمحبة هى طبيعته ، وهكذا يكون المقصود . بإيماننا باسم ابن الله « يسوع المسيح »، هو أن نؤمن بطبيعة يسوع المسيح وشخصه . وهذا يعنى أنه هو ابن الله ، الذى له مع الله ، علاقة وثيقة ينفرد بها دون سواه ، بطريقة ليس لها ، ولن يكون لها ، نظير على الإطلاق ، وأنه هو مخلص نفوسنا . وإيماننا باسم « يسوع المسيح » : يعنى قبولنا ليسوع المسيح ، لكونه هو يسوع المسيح ابن الله .

٢ — علينا أن يحب أحدنا الآخر ، كما أوصانا هو . وهذه الوصية ، نجدها فى (بشارة يوحنا ١٣ : ٣٤) ، وهى الوصية القائلة بأننا يجب أن نحب بعضنا بعضاً كما أحبنا هو . محبة باذلة ، مضحية ، صافحة ، فى غير أنانية ، تماماً كما أحبنا « يسوع المسيح » . وبذل نفسه من أجلنا .

عندما نضع هاتين الوصيتين معاً . تتضح أمامنا حقيقة جليلة . هى أن

الحياة المسيحية تعتمد على الإيمان الحقيقى ، والسلوك الحقيقى ، مجتمعين معاً ، ولا يمكن أن ينفصل أحد هذين الأمرين عن الآخر ، كما أنه من المحال ، أن يوجد إيمان مسيحى ، بغير سلوك مسيحى ، وبنفس القياس ، لا يمكن أن يكون هناك سلوك مسيحى ، دون أن يكون هناك إيمان مسيحى . فكل من الأمرين يعتمد على الآخر ، والإيمان لا يمكن أن يكون إيماناً حقيقياً ، ما لم نترجمه إلى أعمال ، كما أن تصرفاتنا ، لا يمكن أن تكون تصرفات مسيحية ، إلا إذا كان هناك أساس راسخ متين ، هو الإيمان المسيحى الثمين . ولن يتسنى لنا البدء فى الحياة المسيحية ، إلا حالما نقبل « يسوع المسيح » ، لكونه هو « يسوع المسيح » ، ولأجل ما هو عليه ، وقبولنا له ، لا يمكن أن يكون حقيقياً ، ما لم يكن شعورنا حيال الآخرين ، هو ذات شعوره هو حيالهم .

أخطار انقطاع الحياة الروحية

وَبِهَذَا نَعْرِفُ أَنَّهُ يَثْبُتُ فِينَا مِنَ ٱلرُّوحِ ٱلَّذِى أَعْطَانَا

الْأَصْحَاحُ ٱلرَّابِعُ

أَيُّهَا ٱلْأَحِبَّاءُ لاَ تُصَدِّقُوا كُلَّ رُوحٍ بَلِ ٱمْتَحِنُوا ٱلْأَرْوَاحَ هَلْ هِيَ مِنَ ٱللهِ لِأَنَّ أَنْبِيَاءَ كَذَبَةً كَثِيرِينَ قَدْ خَرَجُوا إِلَى ٱلْعَالَمِ

(رسالة يوحنا الأولى ٣ : ٢٤ ب – ٤ : ١)

والتحذير الذى يوجهه « يوحنا » هنا ، جاء نتيجة موقف ، لا نعرف عنه الكثير ، فى كنيسة العصر الحديث . فى الكنيسة الأولى ، كان انقطاع الحياة الروحية ، أمراً له أخطاره وأضراره ، وهذه الأخطار ناجمة عن الإظهارات الروحية المتنوعة ، التى كانت تزخر بها الكنيسة الأولى ، التى كانت كنيسة حية ، وجياشة ، بالحيوية والنشاط . وكانت الحاجة ماسة إلى وجود فحص وامتحان لهذه الإظهارات ، وها نحن نحاول الرجوع بالذاكرة إلى الوراء ، إلى ذلك الجو المكهرب :

١ – حتى فى العهد القديم ، تحقق الناس من خطورة الأنبياء الكذبة ، الذين كان لهم شىء من القوة الروحية (تثنية ١٣ : ١ – ٥) ، لهذا كان مطلوباً ، إبادة النبى الكاذب ، الذى يضل الناس عن الإله الحقيقى ، ولا شك

فى أن هذا القول. يوحى لنا بأن مثل هذا النبى الكاذب ، كان فى مقدوره أن يجرى بعضاً من الآيات والعجائب ، أى أنه كان يتمتع بقدر من القوة الروحية الشيطانية المضلة .

٢ — علينا أن نتذكر على الدوام . أن الكنيسة الأولى . كانت تشعر بوجود العالم الروحى ، وتحس بقربه منها . وكان هناك اعتقاد عام ، بأنه يوجد فى هذا العالم ، أعداد لا حصر لها . من الأرواح . والأشباح ، والقوات الروحية ، علاوة على البشر العائشين فيه . وكان هناك اعتقاد سائد ، بأن كل صخرة ، وشجرة ، وكل بحر ونهر . وجبل ، له روحه ، فكل شىء من هذه ، له قوته الروحية ، وهذه القوات الروحية ، كانوا يعتقدون أنها تبحث عن أشخاص ، تحل فيهم ، وتحتل أجسادهم وعقولهم . فأعضاء الكنيسة الأولى ، كانوا يعيشون فى عصر . تميز بأن جميع الناس فيه ، كانوا يحسون بوجود هذه القوات الروحية من حولهم .

٣ — ذلك العالم القديم ، كان يحس تماماً بأن الشيطان له قوته الذاتية . وكانوا ينظرون إلى العالم ، على أنه ميدان صراع بين قوات النور وقوات الظلمة ، ومع أنهم لم يحاولوا أن يبحثوا عن مصدر قوة الشيطان الذاتية ، إلا أنهم كانوا متأكدين من وجود هذه القوة ، وأنها لا زالت تبحث عن أناس تحل فيهم ، وتستخدمهم آلات ووسائل لتحقيق مقاصدها ، وإثبات وجودها ، وقد اعتقدوا تبعاً لذلك . أن ميدان الصراع ، لم يكن فقط فى الكون الخارجى ، بل إنه أيضاً فى عقول الناس ، كانت قوات النور ، تصارع أجناد الظلمة ، لكى تفوز بها .

٤ — يجب أن نتذكر أنه فى الكنيسة الأولى ، كان حلول الروح القدس ، أمراً محسوساً وملموساً ، أكثر مما هو فى هذه الأيام ، كما كان هذا الحلول

مرتبطاً على الدوام بالمعمودية . وعند حلول الروح القدس ، كانت ترافق حلوله بعض المظاهر ، التى كان يراها ، ويحس بها ، أى واحد من الحاضرين. والمعتمد ذاته ، كانت تبدو عليه تأثيرات واضحة وظاهرة . إذ كانت تصدر عنه بعض الحركات الجسدية . فعندما جاء الرسل إلى السامرة ، وبعد ما قام «فيلبس» بخدمة الوعظ ، وعندما حلت موهبة الروح القدس على المهتدين الجدد ، حدثت عدة ظواهر واضحة ومحسوسة . جعلت « سيمون الساحر » يحس برغبة عارمة فى الحصول على هذه القوة ، التى تنتج هذه الآثار والنتائج (أعمال الرسل ٨ : ١٧ و ١٨) . وحلول الروح القدس على « كرنيليوس » وأهل بيته ، كان أمراً ، استطاع أن يراه ، ويحس به ، كل الذين كانوا حاضرين هناك (أعمال الرسل ١٠ : ٤٤ و ٤٥) . ففى الكنيسة الأولى ، كانت للروح القدس فى حلوله ، تأثيرات واضحة ملموسة وعميقة .

٥ — لا شك أنه كانت لهذا ، تأثيراته على اجتماعات الكنيسة الأولى ، وأفضل شرح لهذه الفقرة ، نجده فى رسالة كورنثوس الأولى (ص ١٤)

فبقوة الروح ، كان الناس يتكلمون بألسنة ، أى أن ألسنتهم ، كانت تلقى بفيض من النطق الإلهامى ، بلغة غير مفهومة . لا يستطيع أحد أن يفهمها ما لم يكن هناك شخص آخر ، لديه قوة روحية معادلة ، لترجمة ما يقال بالألسنة ، وكانت هذه الظاهرة واضحة وعادية ، لدرجة أن الرسول لم يتردد فى القول : « إن دخل شخص غريب إلى اجتماعكم الذى تمارسون فيه موهبة التكلم بألسنة ، ألا يظن أنكم تهذون » . (كورنثوس الأولى ١٤ : ٢ و ٢٣ و ٢٧) . حتى الأنبياء الذين كانوا يعطون رسائل بلغة مفهومة واضحة ، هؤلاء الأنبياء أيضاً ، كانوا مشكلة فى الكنيسة الأولى . فالروح القدس كان يعمل فيهم ، لدرجة أنهم لم يكونوا يستطيعون ، أن ينتظر أحدهم حتى ينتهى

الآخر من إلقاء رسالته ، فكانوا يقفون معاً ، وكل واحد منهم ، يرفع صوته برسالته المعطاة له بالروح (كورنثوس الأولى ١٤ : ٢٦ و ٢٧ و ٣٣) .

وكانت الخدمة فى الكنيسة الأولى . تختلف اختلافاً كبيراً عن ترتيبات الخدمة فى هذه الأيام . وإظهارات الروح فى ذلك الزمان ، كانت عديدة ومتنوعة ، لدرجة أن « بولس » اعتبر « تمييز الأرواح » ، واحدة من المواهب الروحية ، التى يجب أن يحصل عليها المسيحى (كورنثوس الأولى ١٢ : ١٠) . وبوسعنا أن نتصور ، ما كان يمكن أن يحدث ، لو أن واحداً وقف وقال بالروح : « يسوع أناثيما » ، كما قال « بولس الرسول » (كورنثوس الأولى ١٢ : ٣) .

وبالرجوع إلى التاريخ المسيحى البعيد ، نجد المشكلة أكثر وضوحاً . ففى « الديداكى » (تعليم الرسل الإثنى عشر) . وفى الكتاب الأول الخاص بنظام الخدمة ، والذى يرجع تاريخه إلى سنة ١٠٠ م . ، نجد تنظيم كيفية معاملة الرسل المتجولين ، والأنبياء الذين كانوا يتجولون فى مختلف الإجتماعات المسيحية ، فيقول : « ليس نبياً كل من يتكلم بالروح ، ولا يمكنه أن يكون نبياً ، إلا إذا كان يسلك كما سلك الرب » . وفى القرن الثالث بلغ الأمر الذروة ، عندما قام « مونتانوس » ، مدعياً أنه هو المعزى (الپاراقليط) الموعود به ، وأنه ليس أقل من ذلك ، فراح يقول للكنيسة ، الأمور التى قال المسيح ، إن رسله لم يستطيعوا أن يحتملوها قديماً .

لقد كانت الكنيسة الأولى زاخرة بتلك الحياة الروحية الحافلة ، ولم تكن الخدمة قد أصبحت شيئاً رسمياً ، كما لم يكن قد تم وضع تنظيم أو ترتيب لشئون الكنيسة وخدماتها . وكان الناس يعيشون ، فى عالم يملؤه الروح . ولا شك فى أن ذلك العصر كان عصراً عظيماً ، لكنه مع هذا ، كانت له

أخطاره ، لأنه طالما أن الشيطان له قوته الذاتية ، فمن الممكن أن تسيطر هذه القوة على بعض الناس ، وتستخدمهم . وطالما كانت هناك أرواح شريرة ، بجانب وجود الروح القدس ، فقد كان من الممكن ، أن تتسلط هذه الأرواح على البشر ، وتسكن فيهم ، وهكذا كان من الممكن أن نجد فى الكنيسة أناساً ، تستخدمهم هذه الأرواح الشريرة ، بإظهارات مشابهة لعمل الروح القدس . وربما كان بعض هؤلاء ، يظنون بإخلاص ، أن العامل فيهم ، والمستخدم لهم ، هو الروح القدس . كل هذا كان يجول بخاطر « يوحنا » ، عندما كتب عن وجوب التمييز بين الروح القدس والروح المضل فى ذلك الجو الحافل والمشحون . وعلينا أن ندرك ، أن تلك الحالة ، التى حفلت بها الكنيسة الأولى ، برغم كل ما كان يتخللها من مخاطر ، أفضل بما لا يقاس من حالة الجمود التى سادت على كنيسة العصر الحاضر ، ولا شك فى أنه أفضل للإنسان ، أن يعيش على الدوام ، وهو يتوقع أن يحل عليه الروح القدس ، فى أى وقت من الأوقات .

ملاحظة حول الفقرة الواردة فى ص٤ : ١ – ٧

فى هذه الفقرة يتكرر استخدام القول : « من الله » .

(عدد ١) امتحنوا الأرواح هل هى من الله .

(عدد ٢) كل روح يعترف بيسوع المسيح أنه قد جاء فى الجسد فهو من الله .

(عدد ٣) كل روح لا يعترف بيسوع المسيح أنه قد جاء فى الجسد فليس من الله .

(عدد ٤) أنتم من الله أيها الأولاد .

(عدد ٦) نحن من الله . . . وكل من ليس من الله لا يسمع لنا .

(عدد ٧) المحبة هي من الله .

والمقصود بهذه العبارة هو أن هذا الروح أو الشخص الذى هو من الله ، يأتى من عند الله ، أى أنه يستمد من الله أساسه وأصل وجوده ، أى أن « يوحنا » ، يريد أن يقول لشعبه : « امتحنوا الأرواح »، لكى تتبينوا المصدر الذى منه تستمد وجودها . وهل هى من الله أم لا . كما يقول أيضاً . إن الله هو نبع المحبة وأصلها .

الهرطقة الأخيرة

بِهَذَا تَعْرِفُونَ رُوحَ ٱللهِ . كُلُّ رُوحٍ يَعْتَرِفُ بِيَسُوعَ الْمَسِيحَ أَنَّهُ قَدْ جَاءَ فِي الْجَسَدِ فَهُوَ مِنَ اللهِ . وَكُلُّ رُوحٍ لاَ يَعْتَرِفُ بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ أَنَّهُ قَدْ جَاءَ فِي الْجَسَدِ فَلَيْسَ مِنَ ٱللهِ . وَهٰذَا هُوَ رُوحُ ضِدِّ الْمَسِيحِ ٱلَّذِي سَمِعْتُمْ أَنَّهُ يَأْتِي وَٱلْآنَ هُوَ فِي ٱلْعَالَمِ .

(رسالة يوحنا الأولى ٤ : ٢ و ٣)

وسط هذا الخضم الحافل من النشاط الروحى ، الذى كان سائداً فى أيام الكنيسة الأولى ، يضع « يوحنا » اختباراً واحداً حاسما ، فالعقيدة المسيحية فى نظر « يوحنا » ، تتلخص فى عبارة واحدة ، « الكلمة صار جسداً وحل بيننا » . وأى روح ينكر حقيقة التجسد ، ليس من عند الله ، ويضع «يوحنا» اختبارين ، للتحقق من صحة الإيمان :

١ — كل روح من الله ، لا بد وأن يعترف ، بأن « يسوع » هو المسيح (المسيا) ، أما إنكار هذه الحقيقة ، فقد رأى فيه « يوحنا » ثلاثة أمور :

(ا) إنه اعتبره إنكاراً لكون « يسوع » هو مركز التاريخ ، وأنه هو المحور ، الذى كان التاريخ كله ، إعداداً لظهوره ، وأنه هو الشخص ، الذى من أجل مجيئه ، اختار الله « إبراهيم » ، فالأمة اليهودية ، وأنه هو الشخص ، الذى كان كل التاريخ تمهيداً لمجيئه ، وأنه قد جاء فى ملء الزمان .

(ب) كما اعتبر إنكار أن « يسوع » هو المسيا ، إنكاراً لإتمام مواعيد الله ، تلك المواعيد التى كان الشعب القديم يستند إليها ، ويتمسك بها ، فى كل الفترات الحرجة ، التى مرت به فى تاريخه الطويل . فإنكار كون « يسوع » هو المسيا ، يعتبر إنكاراً لصدق هذه المواعيد .

(ح) اعتبر « يوحنا » ذلك الإنكار ، إنكاراً لسلطان « يسوع » كملك ؛ فيسوع المسيح لم يأت . لكى يتألم فقط ، لكنه جاء أيضاً لكى يحكم ، فإنه وإن كان قد جاء لكى يقبل صليباً ، إلا أنه قد جاء لكى يؤسس ملكوتاً أيضاً . وإنكار أنه هو المسيا ، يعتبر إنكاراً لحقيقة كون « يسوع » ملكاً .

٢ — كل روح من الله ، لا بد وأن يعترف بأن « يسوع » قد جاء فى الجسد . وهذه هى الحقيقة التى رفضها الغنوسيون رفضاً قاطعاً ، مستندين إلى أن الجسد شر ، لأنه مادى ، والمادة كلها شر ، وعلى هذا الأساس ، قالوا بأن الله لا يمكن أن يتسربل جسداً بشرياً شريراً ، وقد قال «أغسطينوس» أخيراً ، إنه وجد فى الفلسفات الوثنية مقابلا لكل ما وجده فى العهد الجديد من أقوال ، إلا قولا واحداً هو : « الكلمة صار جسداً » ، هذا القول ، لم يجد ما يقابله فى أقوال الفلاسفة الوثنيين . وقد رأى « يوحنا » أن إنكار حقيقة

التجسد ، يعتبر إنكاراً كاملا لبشرية « يسوع المسيح » ، الأمر الذى يهدم العقيدة المسيحية من أساسها ، وتبدو لنا خطورة هذا الإنكار فى عدة نواح :

(ا) يعتبر إنكاراً لكون « يسوع » مثالا لنا يجب أن نحتذيه ، لأنه لو لم يكن إنساناً مثلنا بالتمام ، لما كان ممكناً له على الإطلاق : أن يرينا كيف نسلك ونحيا . لأن حياته عندئذ ، ستكون مختلفة عن حياتنا اختلافاً جذرياً .

(ب) هذا يؤدى بنا أيضاً إلى إنكار إمكانية أن يكون « يسوع » هو رئيس كهنتنا . الذى فتح لنا الطريق إلى الله . وكما قال كاتب الرسالة إلى العبرانيين ، إن رئيس الكهنة الحقيقى ، يجب أن يشابه إخوته فى كل شىء ، كما أنه يجب أن يكون مثلهم مجرباً فى كل شىء كذلك (عبرانيين ٤ : ١٤ و ١٥) ، لأنه لكى يقود البشر إلى الله ، كان يجب على رئيس الكهنة أن يكون إنساناً مثلهم ، وإلا قادهم فى طريق يتعذر عليهم أن يسلكوه .

(حـ) إنه يؤدى إلى إنكار كون « يسوع » مخلصنا البتة ، لأنه لكى يخلص البشر ، وجب عليه أن يكون إنساناً مثلهم ، وأن يجتاز فى كل الاختبارات التى يجتازون فيها .

(د) إنه إنكار لحقيقة خلاص الجسد ، ولا لبس فيما تقوله المسيحية ، وتنادى به ، من أن الخلاص ، خلاص شامل للإنسان ككل ، نفساً وجسداً ، فجسد الإنسان يخلص ، كما تخلص نفسه بالتمام ، وإنكار التجسد ، يؤدى بالضرورة إلى إنكار إمكانية خلاص الجسد ، وتكريسه ، وتقديسه ، لكى يصير هيكلا للروح القدس .

(ه) وأخطر شيء فى إنكار التجسد . هو ما يؤدى إليه هذا الإنكار من إنكار لإمكانية قيام شركة وعلاقة ، بين الإنسان وبين الله لأنه طالما أن الروح خير والجسد شر ، فعندئذ يكون من رابع المستحيلات ، أن يتلاقى الله مع الإنسان ، طالما بقى الإنسان إنساناً . وهكذا لا يلتقى الله مع الإنسان ، إلا إذا تحرر هذا الإنسان من الجسد ، وصار روحاً مجردة . إن الحقيقة العظمى التى يتضمنها ويعلنها التجسد، هى أنه فى الإمكان ، أن تكون للإنسان ، شركة مع الله ، هنا فى هذا الزمان ، فى هذا العالم المادى . أما إنكار التجسد ، وإنكار إمكانية حدوثه ، فيؤديان بالتالى إلى إنكار هذه الحقيقة العظمى والثمينة . فحقيقة التجسد ، وحقيقة بشرية « يسوع » ، هى الحقيقة المركزية والعظمى ، فى العقيدة المسيحية ؛

الفجوة بين الإنسان وبين الله

أَنْتُمْ مِنَ ٱللهِ أَيُّهَا ٱلْأَوْلَادُ وَقَدْ غَلَبْتُمُوهُمْ لِأَنَّ ٱلَّذِى فِيكُمْ أَعْظَمُ مِنَ ٱلَّذِى فِى ٱلْعَالَمِ . مِنْ أَجْلِ ذٰلِكَ يَتَكَلَّمُونَ مِنَ ٱلْعَالَمِ وَٱلْعَالَمُ يَسْمَعُ لَهُمْ . نَحْنُ مِنَ اللهِ فَمَنْ يَعْرِفُ ٱللهَ يَسْمَعُ لَنَا وَمَنْ لَيْسَ مِنَ اللهِ لاَ يَسْمَعُ لَنَا . مِنْ هٰذَا نَعْرِفُ رُوحَ الْحَقِّ وَرُوحَ ٱلضَّلَالِ .

(رسالة يوحنا الأولى ٤ : ٤ — ٦)

هنا يقرر « يوحنا » حقيقة جليلة القدر ، كما يواجه أيضاً مشكلة لها وزنها كذلك .

١ ـ على المسيحى ألا يخشى المراطقة ، لأنه فى المسيح ، قد أحرز النصر على جميع قوات الشر ، تلك القوات التى حاولت ، أن تقاوم المسيح بكل ما أوتيت من قوة ، لدرجة أنها علقته على صليب ، لكنه أخيراً ، قام غالباً منتصراً . وهذا النصر الذى أحرزه المسيح ، أصبح من حق كل مسيحى ، وأيا كان الأمر ، فإن النصر حليف المؤمن ، وقوات الشر ، لا بد وأن تخسر المعركة فى النهاية ، وسيتحقق القول ، « إن الحق يعلو ، ولا يعلو عليه شىء » وما على المسيحى ، إلا أن يتذكر ، الحق الذى قد عرفه ، ويثبت فيه ، فبالحق وحده يحيا الناس ، والباطل هو الذى يؤدى بهم إلى الموت ؟

٢ ـ لكن مع ذلك تبقى مشكلة المعلمين الكذبة ، الذين لا يسمعون ولا يقبلون الحق الذى يقدمه المسيحى لهم . كيف يمكن إيضاح ذلك ؟ هنا يلجأ « يوحنا » إلى استخدام الأضداد ، التى يحلو له استخدامها ، فيتحدث عن المعارضة بين العالم وبين الله ، فكما رأينا قبلا ، طبيعة البشر تختلف عن طبيعة الله ، وهى تعمل بحسب ناموس ، يتعارض مع ناموس الله . والإنسان الذى من الله ، لا بد وأن يقبل الحق ، ويرحب به ، أما الإنسان الذى هو من العالم ، فيرفض هذا الحق .

وعندما نتأمل فى هذا ، يبدو لنا جلياً أن هذه الحقيقة لا تحتاج إلى إيضاح ، لأنه كيف يستطيع إنسان ، قد تشبع بمبادئ الغرور والكبرياء ، أن يقبل سلوكاً ، محوره الأساسى هو الخدمة . وكيف يمكن لإنسان ، قد تشبع بالأنانية وحب الذات ، ويعتقد يقيناً أن البقاء هو للأصلح ، وأن الضعيف ينبغى أن يخلى مكانه لغيره ، إنسان مثل هذا ، كيف يمكنه أن يفهم ويقبل تعليم المسيح ، الذى لا يقوم على أساس غير المحبة . وكيف يمكن لإنسان ، لا يؤمن بالأبدية والخلود ، ولا يعترف بأهمية شىء فى الحياة ، غير الأمور

المادية . كيف يمكن لمثل هذا الإنسان ، أن يفهم الحياة المسيحية ، التي يحياها صاحبها في ضوء الأبدية ، الحياة التي تعطي كل اعتبار وتقدير ، للأمور غير المنظورة ، لأنها أبدية وخالدة . إن الإنسان لا يصغي إلا لما درب أذنيه على سماعه ، ولهذا ، فإن أي واحد يستطيع أن يمنع نفسه منعاً باتاً ، من الإصغاء إلى الرسالة المسيحية .

هذا هو عين ما يقوله « يوحنا » . وقد رأينا مراراً وتكراراً ، كيف أنه دأب على مقارنة الأمور ببعضها ، بوضعه الأبيض مقابل الأسود ، إنه لا يتعامل في الظلال ، لكنه دائماً يفكر في صورة الرجل ، الذي هو « من الله » ، وهذا هو الذي يسمع للحق ، ويصغي إليه . وعلى الطرف الآخر هناك ، الشخص الذي « من العالم » ، وهذا لا يستطيع مطلقاً أن يسمع للحق .

هنا تواجهنا مشكلة . ربما لم تخطر مطلقا على بال « يوحنا » ؛ ترى هل يوجد أناس لا تجدي معهم أية دعوة إلى اتباع الدين الحق ، وهل يوجد أناس لا يمكن التأثير فيهم بأي شكل من الأشكال لأنهم أصيبوا بصمم يمنعهم من أن يسمعوا شيئاً البتة ؟ هؤلاء قد أغلقت أذهانهم إلى الأبد ، أمام أية دعوة أو وصية من وصايا المسيح . هل يوجد أناس مثل هؤلاء ؟ سبق وقلنا ، إن هذا السؤال ، لم يخطر مطلقاً في بال « يوحنا » ، لكنه كان فقط ، يرمي إلى التمييز الواضح بين الأشياء ، والمقارنة بين أسوأ الأمور وأفضلها .

وإجابة لهذا السؤال ، ينبغي أن نقول ، إنه لا حدود لنعمة الله ، وأن الروح القدس موجود ، وأن محبة الله تستطيع أن تقتحم أمنع الحصون ، هذا هو الدرس المستفاد من الحياة . حقاً إن الإنسان يستطيع أن يقاوم ، وربما كان صحيحاً أيضاً ، أن في وسعه أن يظل معانداً ، ويقاوم إلى النهاية ، لكن من ناحية أخرى ، يقف المسيح على الدوام ، يقرع على باب كل قلب ،

ومن الممكن ان يسمع كل واحد صوت المسيح ، وربما أكثر من كل الأصوات الأخرى الكثيرة الموجودة فى هذا العالم .

المحبة بشرياً وإلهياً

أَيُّهَا ٱلْأَحِبَّاءُ لِنُحِبَّ بَعْضُنَا بَعْضاً لِأَنَّ ٱلْمَحَبَّةَ هِيَ مِنَ ٱللهِ وَكُلُّ مَنْ يُحِبُّ فَقَدْ وُلِدَ مِنَ ٱللهِ وَيَعْرِفُ ٱللهَ . وَمَنْ لاَ يُحِبُّ لَمْ يَعْرِفِ ٱللهَ لِأَنَّ ٱللهَ مَحَبَّةٌ . بِهٰذَا أُظْهِرَتْ مَحَبَّةُ ٱللهِ فِينَا أَنَّ ٱللهَ قَدْ أَرْسَلَ ٱبْنَهُ ٱلْوَحِيدَ إِلَى ٱلْعَالَمِ لِكَيْ نَحْيَا بِهِ . فِي هٰذَا هِيَ ٱلْمَحَبَّةُ لَيْسَ أَنَّنَا نَحْنُ أَحْبَبْنَا ٱللهَ بَلْ أَنَّهُ هُوَ أَحَبَّنَا وَأَرْسَلَ ٱبْنَه كَفَّارَةً لِخَطَايَانَا .

أَيُّهَا ٱلْأَحِبَّاءُ إِنْ كَانَ ٱللهُ قَدْ أَحَبَّنَا هٰكَذَا يَنْبَغِي لَنَا أَيْضاً أَنْ يُحِبَّ بَعْضُنَا بَعْضاً . ٱللهُ لَمْ يَنْظُرْهُ أَحَدٌ قَطُّ . إِنْ أَحَبَّ بَعْضُنَا بَعْضاً فَٱللهُ يَثْبُتُ فِينَا وَمَحَبَّتُهُ قَدْ تَكَمَّلَتْ فِينَا . بِهٰذَا نَعْرِفُ أَنَّنَا نَثْبُتُ فِيهِ وَهُوَ فِينَا أَنَّهُ قَدْ أَعْطَانَا مِنْ رُوحِهِ . وَنَحْنُ قَدْ نَظَرْنَا وَنَشْهَد أَنَّ ٱلْآبَ قَدْ أَرْسَلَ ٱلِابْنَ مُخَلِّصاً لِلْعَالَمْ . مَنِ ٱعْتَرَفَ أَنَّ يَسُوعَ هُوَ ٱبْنُ ٱللهِ فَٱللهُ يَثْبُتُ فِيهِ وَهُوَ فِي ٱللهِ . وَنَحْنُ قَدْ عَرَفْنَا وَصَدَّقْنَا

ٱلْمَحَبَّةَ ٱلَّتِى لِلّٰهِ فِينَا . ٱللّٰهُ مَحَبَّةٌ وَمَنْ يَثْبُتْ فِى ٱلْمَحَبَّةِ يَثْبُتْ فِى ٱللّٰهِ وَٱللّٰهُ فِيهِ . بِهَذَا تَكَمَّلَتِ ٱلْمَحَبَّةُ فِينَا أَنْ يَكُونَ لَنَا ثِقَةٌ فِى يَوْمِ ٱلدِّينِ لِأَنَّهُ كَمَا هُوَ فِى هٰذَا ٱلْعَالَمِ هٰكَذَا نَحْنُ أَيْضاً . لاَ خَوْفَ فِى ٱلْمَحَبَّةِ بَلِ ٱلْمَحَبَّةُ ٱلْكَامِلَةُ تَطْرَحُ ٱلْخَوْفَ إِلَى خَارِجٍ لِأَنَّ ٱلْخَوْفَ لَهُ عَذَابٌ وَأَمَّا مَنْ خَافَ فَلَمْ يَتَكَمَّلْ فِى ٱلْمَحَبَّةِ . نَحْنُ نُحِبُّهُ لِأَنَّهُ هُوَ أَحَبَّنَا أَوَّلاً . إِنْ قَالَ أَحَدٌ إِنِّى أُحِبُّ ٱللّٰهَ وَأَبْغَضَ أَخَاهُ فَهُوَ كَاذِبٌ . لِأَنَّ مَنْ لاَ يُحِبُّ أَخَاهُ ٱلَّذِى أَبْصَرَهُ كَيْفَ يَقْدِرُ أَنْ يُحِبَّ ٱللّٰهَ ٱلَّذِى لَمْ يُبْصِرْهُ . وَلَنَا هٰذِهِ ٱلْوَصِيَّةُ مِنْهُ أَنَّ مَنْ يُحِبُّ ٱللّٰهَ يُحِبُّ أَخَاهُ أَيْضاً .

(رسالة يوحنا الأولى ٤ : ٧ - ٢١)

كثيراً ما يحدث خلط فى هذه الفقرة ، لهذا يستحسن أن نقرأها كلها دفعة واحدة ، ثم بعد ذلك نقوم بتجزئتها لاستخلاص ماتتضمنه من تعاليم ، والآن دعونا نتأمل ما تقدمه لنا هذه الفقرة من تعاليم عن المحبة :

١ — الله هو مصدر المحبة (عدد ٧) . نعم إن المحبة تنبع من الله ، الذى هو ذاته « محبة » ، أو كما يعبر «ا. ا. بروك» : « المحبة البشرية ، ليست إلا انعكاساً لشىء ، هو فى طبيعة الله ذاته » ، وفى الوقت الذى فيه نحب ، نكون أقرب إلى الله من أى وقت آخر ، وهناك قول مأثور ومؤثر ، قاله

« اكليمندس السكندرى » : « إن الغنوسى الحقيقى ، أى المسيحى الحقيقى ، يهتم بالدرجة الأولى بأن يكون إلهاً » ، فنحن نحيا حياة الله ذاتها ، وعندما نحب نحمل فى ذواتنا انعكاس الله . فالمحبة تجعلنا شركاء لله . الذى يثبت فى المحبة إنما يثبت فى الله (عدد ١٦) . لقد خلق الله الإنسان على صورته (تكوين ١ : ٢٦) ، والله محبة ، ولهذا ، لكى يكون الإنسان على صورة الله ، ويحقق قصد الله من جهته ، عليه أن يكون محباً ، مثل الله بالتمام .

٢ – للمحبة علاقة مزدوجة بالله ، لأننا لن نعرف المحبة ، إلا إن عرفنا الله ، كما أن المحبة – هى سبيلنا الوحيد إلى معرفة الله (عدد ٧ و ٨) ، وعندما يسكن الله فى داخل قلوبنا ، نتعلم كيف نحب ، كما أننا عندما نحب ، نقترب إلى الله أكثر فأكثر . فالمحبة تأتى من عند الله ، كما أنها تقودنا إليه ، إنها تبدأ منه ، وتنتهى إليه .

٣ – المحبة هى الوسيلة التى بها نعرف الله (عدد ١٢) . الله روح ، ولا يمكن أن نراه ، لكن بوسعنا أن نرى آثاره وتأثيراته ، تماماً مثل الريح والكهرباء ، لا نستطيع أن نراهما ، لكننا نستطيع أن نرى أعمالهما وتأثيراتهما . والمحبة هى تأثير الله ، وعندما يأتى الله إلى إنسان ، نرى هذا الإنسان ، وقد تسربل برداء المحبة ، فنراه يحب الله ، ويحب إخوته من بنى البشر . فالله يعرف عن طريق تأثيره فى مثل هذا الإنسان المحب ، تماماً كما قيل ، إن القديس شخص يحيا فيه المسيح ثانية ، والتأثير الذى تتركه محبة الله ، الظاهرة فى حياة إنسان ، يفوق فى فعله كثيراً من الأقوال ، لأن الله يرى فى حياة المحبة هذه ، بصورة أروع ، مما يمكن أن نراه بها فى غيرها .

٤ – محبة الله تأتينا عن طريق « يسوع المسيح » (عدد ٩) . لأننا فى

« المسيح يسوع » ، نرى أروع صورة للتعبير عن المحبة الإلهية ، وعندما ننظر إلى « يسوع » ، نرى محبة الله فى أمرين :

(١) نرى المحبة التى لا تنكص عن أن تفعل أى شىء ، فنى محبته للبشر ، وجدنا الله مستعداً ، لأن يبذل إبنه الوحيد الحبيب ، ويقدمه فدية من طراز فريد ، لا تدانيها أية فدية أخرى فى الوجود.

(ب) إنها بالإجماع ، محبة بلا حدود . لذا لا عجب إن أحببنا الله ، عندما نذكر كل هباته وعطاياه ، تلك الهبات والعطايا ، التى أجزلها لنا فى « المسيح يسوع » ، خاصة وأنه من الغريب والعجيب أن الله يحب أناساً فقراء عصاة مثلنا .

٥ ــ محبة الإنسان لله : نتيجة لمحبة الله له (عدد ١٩) . فنحن نحب الله ، لأنه هو أحبنا أولا ، فمشهد محبة الله لنا ، هو الذى يولد فى قلوبنا ، الرغبة فى أن نحب الله كما أحبنا ، وأيضاً ، فى أن نحب إخوتنا من بنى البشر ، تماماً ، كما أحبهم الله . فمحبة الإنسان لله ، ليست من نتاج القلب البشرى ، كما أنها ليست أمراً يستطيع الإنسان أن يفعله ، لكنها رد فعل وصدى ، لمحبة الله القدسية .

٦ ــ حالما تأتى المحبة ، يذهب الخوف (عدد ١٧ و ١٨) . فالخوف ينجم عن شعور الإنسان ، بأنه سوف يدان ، فنحن عندما نرى أن الله هو الديان ، والملك الذى أعطى الناموس ، لا يمكن أن تمتلئ قلوبنا إلا بالرعب والفزع ، لأننا فى إله مثل هذا ، لا يمكننا أن نرى ، ومنه لا يمكننا أن ننتظر ، غير الغضب ، والدينونة ، والهلاك . لكن عندما نعرف أن الله محبة ، فإن خوفنا يبتلع فى المحبة عندئذ . ولا نجافى الصواب إن قلنا ، إن قلوبنا تمتلئ

عندئذ بخوف آخر ، مختلف تماماً عن الخوف الأول ، ذلكم هو الخوف من الإساءة إلى ذاك ، الذى أحبنا بهذه الصورة .

٧ — محبتنا لله ، تسير جنباً إلى جنب ، مع محبتنا للآخرين (الأعداد ٧ ، ١١ ، ٢٠ ، ٢١) . أو على حد قول من قال : « إن عمل المحبة يسير فى اتجاهات ثلاث ، مكونا مثلثاً رؤوسه الثلاث هى : — الله — الذات — القريب » . فإن كان الله قد أحبنا ، فنحن مطالبون بأن نحب بعضنا بعضاً ، لأننا عندئذ ، سيكون هدفنا الأعظم ، هو أن نحقق وجود الله فى المجتمع البشرى ، وجعل الحياة فى هذا الزمان ، صورة من حياة الدهر الآتى » ، ويقول « يوحنا » بلهجة عنيفة جداً ، إن من يقول ، إنه يحب الله ، وهو لا يحب أخاه ، يكون كاذباً . فالطريق الوحيد ، لإثبات أننا نحب الله ، هو أن نحب الآخرين ، لأن الله قد أحبهم ، والطريق الوحيد ، لإثبات وجود الله فى داخل قلوبنا ، هو أن تبدو محبة الآخرين ، علامة بارزة فى حياتنا .

الله محبة

ربما كانت هذه الفقرة وحدها ، هى التى تتضمن أعظم صفة من صفات الله ، فى كل الكتاب المقدس ، وهى القول بأن « الله محبة » ، هذا القول الذى يستطيع أن يفتح أمامنا ، مالا يعد ولا يحصى ، من الأبواب المغلقة ، كما أنه يقدم لنا ، إجابة لعدد لا حصر له من التساؤلات .

١ — إنه يفسر لنا عمل الخلق . أحياناً يسأل الإنسان متحيراً : لماذا خلق الله العالم ! ؟ هذا العالم الذى لم يحقق قصد الله ، والذى جعله يندم ، لأنه خلق الإنسان ، بسبب ما حدث من عصيان ، لماذا خلق الله العالم ، الذى لم يسبب له إلا المتاعب ؟ الجواب هو ، أن الله خلق العالم ، لأن الخلق عمل

يمثل لنا طبيعة الله ذاته . فإن كان الله محبة ، فإن هذا يعنى ، أن الله لا يسر بأن يكون فى عزلة ، وكون الله محباً ، يتطلب وجود طرف آخر ، يتبادل الله محبته معه ، لهذا كانت الخليقة ضرورية بالنسبة لطبيعة الله .

٢ — هذا القول (« الله محبة ») يوضح لنا الإرادة الحرة أيضاً . فالمحبة لن تكون محبة ، إلا إذا كانت عملا إرادياً ، ولو كان الله إله الناموس فقط ، لخلق عالماً ، كل ما فيه ، يجرى تلقائياً ؛ بصورة منتظمة ، عالماً تحكمه نواميس الكون الثابتة ، وعندئذ يكون البشر كالآلات . التى لا إرادة لها فيما تعمله . ولو أن الله خلق الناس على هذه الصورة ، لما كان هناك احتمال ، لقيام علاقة بين الله والإنسان ، ولهذا ، فقبل أن يتمكن البشر من محبة الله ، بكل ما فى كلمة « المحبة » من معنى . كان لزاماً أن تكون لهؤلاء البشر حرية الاختيار ، ولهذا . أعطى الله البشر إرادة حرة ، حتى يتحقق بذلك قصده فى الخلق .

٣ — هذا القول أيضاً . يشرح حقيقة العناية ، لأنه لو كان الله مجرد عقل ونظام وقانون . لأمكن القول بأنه كان ينبغى أن يخلق الكون ، ويرتب كل ما فيه ، ثم بعد ذلك يتركه وشأنه . ويعامله بمثل ما يعامل الإنسان الآلة ، إذ يتركها تدور دون أى تدخل فى شئونها . إلا عندما تصاب بخلل . كما أن هناك آلات وأدوات نشتريها . لأن استخدامها لا يكلفنا جهداً أو مشقة ما ، لأنها تعمل وحدها . وهذا هو ما يدفعنا إلى شرائها . لكن لأن الله محبة ، فإنه بعدما خلق الكون ، لم يتركه وشأنه ، بل راح يعتنى به عناية فائقة . لقد أحب الله العالم ، وفى محبته له . سوف يظل ملاحظا له . معتنياً به ، مصلحاً ما قد يحدث فيه من خلل .

٤ — إنه يشرح لنا كذلك حقيقة الفداء . فلو كان الله مجرد ناموس وعدالة ، لترك الناس يواجهون مصيرهم المحتوم ، والدينونة التى جلبتها عليهم

آثامهم . فالناموس الأخلاقى قد ينفع ، والنفس التى أخطأت لا بد أن تموت ، كما أن العدل الأبدى لا بد أن يأخذ مجراه ، بإثابة المحسنين ودينونة الأشرار ، لكن حقيقة كون الله محبة . تعنى أن الله . لابد وأن يبحث ويفتش عن الضال ليخلصه . وأنه لا بد وأن يوجد علاجاً لموضوع الخطية . وشفاء لمرض النفس . وإنك لتفعل المستحيل ، إن أنت حاولت القضاء نهائياً ، على المحبة الكامنة فى قلب الأب نحو إبنه ، والله هو أبو الجنس البشرى .

٥ — كما يوضح لنا هذا القول ،معنى الحياة الأبدية—حياة الخلود ، فلو أن الله كان فقط خالقاً للجنس البشرى ، لكان من الممكن أن يقضى الناس أيامهم بسرعة ، ثم بعد ذلك يموتون إلى الأبد ، وعندئذ لن تكون تلك الحياة التى انقضت سريعاً ، غير زهرة أخرى ، سحقتها أقدام المنون . بأسرع ما يكون . لكن حقيقة كون « الله محبة » ، تؤكد أن هناك ما هو أكثر من فرص الحياة وتغييراتها ، هناك محبة إلهية ، سوف تعيد للحياة توازنها المفقود .

ابن الله ومخلِّص البشر

قبل الإنتقال إلى فقرة أخرى . علينا أن نلاحظ ما فى هذه الفقرة ، من أمور عظيمة ، تقولها عن « يسوع المسيح »

١ — « يسوع هو الذى أتى لنا بالحياة » . لقد أرسله الله ، لكى تكون لنا فيه حياة (عدد ٩) . وهناك بون شاسع وفرق كبير . بين الوجود والحياة ، فكل البشر موجودون ، لكنهم ليسوا جميعهم أحياء . واللهفة التى يتصف بها بحث الناس عن المسرات ، تكشف لنا عن إحساسهم بأن هناك شيئاً ينقصهم فى الحياة . ومرة قال أحد مشاهير الأطباء ، إنه قد يتم اكتشاف

علاج لمرض السرطان ، بأسرع مما يستطيع الناس اكتشاف علاج للسآمة والضجر . إن « يسوع » يعطى الإنسان شيئاً يعيش من أجله ، كما يعطيه قوة يعيش بها ، وسلاماً نحيا فيه ، ومع « يسوع » ، تضحى الحياة فرصة مذهلة لاكتشاف مثير . فالحياة مع « يسوع » ، تتميز بروعة الإكتشاف العظيم ، والقوة التى تتخطى كل الصعوبات . كما أنها تتميز بالشعور بالراحة والإكتفاء . نعم إن الحياة مع يسوع ، تحيل الوجود المجرد ، إلى ملء حياة .

٢ — « يسوع » يعيد لنا الصلة مع الله . تلك الصلة التى قطعتها الخطية . لقد أرسله الله . لكى يكون ذبيحة كفارة للخطية (عدد ١٠) ، ولئن كان العالم الذى نعيش فيه اليوم ، لا يدرك تماماً ما هى ذبيحة الخطية ، لكننا نستطيع تماماً أن نفهم ، ما كانت تعنيه تلك الذبيحة فى العالم القديم . عندما يخطئ الإنسان كانت تنقطع علاقته مع الله ، ولهذا كان يقدم ذبيحة ، إعترافاً منه بأنه نادم على تلك الخطية التى صدرت عنه ، وطلباً لعودة العلاقات بينه وبين الله ، إلى سيرتها الأولى ، قبل فعله الشر . و « يسوع » بحياته وموته ، أتاح للإنسان فرصة وإمكانية الدخول ، فى علاقة جديدة مع الله . هى علاقة محبة وسلام ، وألفة ، وصحبة . لقد نقض « يسوع » كل الحواجز ، وعلى الفجوة الفاصلة بين الإنسان وبين الله ، أقام معبراً ، يستطيع الإنسان عن طريقه ، أن يصل إلى حياة الشركة من جديد .

٣ — « يسوع هو مخلص العالم » (عدد ١٤) . عندما جاء يسوع إلى العالم ، لم يكن الناس يدركون سوى أنهم ضعفاء . لا حول ولا قوة لهم ، وقد قال « سينيكا » ، إن الناس كانوا يبحثون عن خلاص ، وأنهم كانوا يشعرون بالضعف ولهذا كانوا يرجون أن تمتد إليهم من الأعالى ، يد ترفعهم وتقيمهم . وليس من الإنصاف أن نفتكر ، أن الخلاص هو فقط خلاص من

القصاص ، ومن عذاب الجحيم ، لأن الناس يحتاجون إلى من يخلصهم من ذواتهم . وعاداتهم . التي سادت وتسلطت عليهم ، ومن تجاربهم ، التي ألمت بهم . إنهم بحاجة إلى الخلاص من مخاوفهم ، واضطراباتهم ، وأخطائهم وحماقاتهم . و « يسوع » يقدم للناس خلاصاً من هذه كلها ، فهو يأتيهم بما يعينهم على مواجهة مشاكل الحياة ، في هذا الدهر وفي الدهر الآتي كذلك

٤ — « يسوع هو ابن الله » (عدد ١٥) . وأياً كان المعنى المقصود بهذا القول ، فإنه بالتأكيد يعني أن ليسوع المسيح مع الله ، علاقة ليست لأي شخص آخر ، ولا يمكن أن تكون لسواه ، علاقة مثلها مع الله . فهو وحده الذي يستطيع أن يظهر الله للبشر ، وهو وحده الذي يستطيع ، أن يقدم لهم نعمة الله ومحبته ، وغفرانه وقوته ، وفيه وحده يستطيع الناس ، أن يجدوا الله ، ويعرفوه بأكمل صورة ، كما أنهم فيه كذلك ، يستطيعون أن يحبوا الله محبة كاملة .

بعد ذلك يتبقى في هذه الفقرة شيء آخر ، إنها علمتنا عن الله ، كما علمتنا عن يسوع ، كما أنها كذلك تعلمنا عن الروح القدس . في (عدد ١٣) يقول « يوحنا » ، إنه بما أننا شركاء في الروح ، فإننا بهذا نعرف أننا ثابتون في الله . فعمل الروح منذ البداية ، هو الذي يقودنا إلى البحث عن الله ، كما أننا عن طريق عمل الروح القدس أيضاً ، نحس بحضور الله ، وعن طريق هذا العمل كذلك ، نتأكد أنه قد صار لنا سلام مع الله ، فالروح القدس في قلوبنا ، هو الذي يجعلنا نتجاسر ، وندعو الله « أبانا » (رومية ٨ : ١٥ و ١٦) . إن الروح القدس ، هو الشاهد الداخلي ، الذي يمنحنا تأكيداً قوياً لا يقاوم ، بحضور الله في حياتنا ، على حد قول تشارلس هـ . دد .

الأصحاح الخامس

حب من خلال الأُسرة الإلهية

كُلُّ مَنْ يؤمِنُ أَنَّ يَسُوعَ هُوَ ٱلْمَسِيح فَقَدْ وُلِدَ مِنَ اللهِ وَكُلُّ مَنْ يُحِبُّ ٱلْوَالِدَ يحِبُّ ٱلْمَوْلُودَ مِنْهُ أَيْضاً . بِهٰذَا نَعْرِفُ أَنَّنَا نُحِبُّ أَوْلَادَ ٱللهِ إِذَا أَحْبَبْنَا ٱللهَ وَحَفِظْنَا وَصَايَاهُ

(رسالة يوحنا الأولى ٥ : ١ و ٢)

« عندما كتب « يوحنا » هذه الكلمات ، كان ذهنه مشغولا بأمرين :

١ ــ إن محبة الله ومحبة الإنسان ، أمران متلازمان ، وحقيقتان لاتنفصلان لأنهما جزءان فى اختبار واحد ، وقد كانت هذه الحقيقة ، هى المحور الأساسى لتفكير « يوحنا » كله . وعندما أجاب « يسوع » على تساؤل السائل ، قال له إن هناك وصيتين عظيمتين ، الأولى هى : « تحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك وبكل قوتك » ، والثانية هى : « تحب قريبك كنفسك » ، ولا يوجد فى الناموس كله ، أعظم من هاتين الوصيتين (مرقس ١٢ : ٢٨ ــ ٣١) . وكانت هذه الكلمات التى نطق بها السيد ، لا تزال ترن فى آذان « يوحنا » ، وفى ذهنه ، عندما كتب هذه الأقوال .

٢ ــ كما أنه كان متشبعاً بمبادئ قانون طبيعى ، يجب أن تسير بمقتضاه الحياة البشرية . فمحبة الأسرة جزء من الطبيعة ، فالطفل جبل على محبة أبويه ،

كما أنه بطبيعته يحب إخوته وأخواته . والجزء الثانى من العدد الأول ، يقول حرفياً : « كل من يحب الوالد يحب المولود منه أيضاً » ، وهذا يعنى أننى ، إن كنت أحب أباً . فإننى أحب ابنه كذلك ، وهكذا كان « يوحنا » يفكر فى المحبة الطبيعية . التى تربط الإنسان بالأب الذى جاء منه ، وبالإخوة الآخرين الذين أنجبهم هذا الأب .

وينقل « يوحنا » هذه الفكرة إلى دائرة الفكر والإختبار المسيحيين ، فالمسيحية ولادة جديدة ، والمسيحى يجتاز هذا الاختبار ، إختبار الولادة الجديدة ، وهو فى هذه الحالة ، لا يولد لأب بشرى ، لكن الله هو أبوه فى هذا الميلاد الجديد . والمسيحى ملزم بأن يحب الله ، بسبب جميع ما عمله الله له ومن أجله . لكن الميلاد . يتم دائماً فى إطار أسرة ، والمسيحى يولد فى دائرة العائلة الإلهية ، وكما كان « يسوع » ، يعتبر كل من يفعل مشيئة الله ، أمه وإخوته . هكذا يجب على المسيحى ، أن يحسب كل الذين يفعلون مشيئة الله ، أمه وإخوته وأخواته (مرقس ٣ : ٣٥) . وإذا كان المسيحى يحب الله الآب الذى ولده ثانية ، هكذا عليه أيضاً أن يحب إخوته الآخرين الذين ولدوا من الله ، فمحبة المسيحى لله،ولإخوته المسيحيين وأخواته المسيحيات، هذه المحبة يجب أن تكون أجزاء لمحبته لله ، وعليه أن يرتبط بهم برباط لا ينفصم .

وكما قيل إن الإنسان لم يولد لكى يحب بل ليحب أيضاً ، أو كما قيل : « كل من ولد من الله ، يجب أن يحب كل الذين ولدوا من الله مثله . وقبل ذلك بزمان قال المرنم : « الله مسكن المتوحدين فى بيت » (مزمور ٦٨ : ٦). وعن طريق الميلاد الثانى ، يصبح الإنسان عضواً فى عائلة الله ، وكما يحب

الوالد ، عليه كذلك أن يحب أبناء الله ، الذين هم أعضاء مثله فى تلك الأسرة عينها ، وحبنا للأخوة حب لله ، وحفظ لوصاياه .

الطاعة الواجبة

فَإِنَّ هٰذِهِ هِيَ مَحَبَّةُ ٱللهِ أَنْ نَحْفَظَ وَصَايَاهُ . وَوَصَايَاهُ لَيْسَتْ ثَقِيلَةً . لِأَنَّ كُلَّ مَنْ وُلِدَ مِنَ ٱللهِ يَغْلِبُ ٱلْعَالَمَ .

(رسالة يوحنا الأولى ٥ : ٣ و ٤ ا)

مرة أخرى ، يعود « يوحنا » إلى فكرة لم تبرح ذهنه . ولم تبتعد عن مركز تفكيره ، هذه الفكرة هى ، أن الطاعة هى التعبير الوحيد عن المحبة ، فنحن لا يمكن أن تعبر عن محبتنا لأى شخص ، بأية طريقة أخرى ، غير السعى لجلب السرور والبهجة إليه . والطاعة هى التعبير الوحيد عن المحبة . بعد ذلك يقول « يوحنا » قولا مدهشاً ، هو أن وصايا الله ليست ثقيلة ، وهنا نلاحظ أمرين هامين ، فيوحنا لم يشأ أن يقول ، إن طاعة الله أمر سهل وميسور ، أو أن المحبة المسيحية من الأمور السهلة . لأنه ليس من السهولة بمكان ، أن نحب الناس الذين يؤذون مشاعرنا ، ويضايقوننا ، كما أنه ليس من السهل ، حل مشكلة العيش معاً ، متبعين مثال المسيح ، والمبادئ التى وضعها لنا ، لكى نحيا بمقتضاها . إن هذا لمن أصعب الأمور .

ثم إننا نرى تناقضاً فى هذا القول ، وقد تحدث « يسوع » عن الكتبة والفريسيين ، ووصفهم بأنهم يحملون الناس أحمالا ثقيلة عسرة الحمل ، وهم لا يريدون أن يحركوها ولو بأطراف أصابعهم (متى ٢٣ : ٤) . وقد ينوء كاهل البشر بأحمال الوصايا والترتيبات ، التى وضعها الكتبة والفريسيون على

أكتافهم ، لكن مما لا شك فيه أن « يوحنا » ، تذكر أن « يسوع » ، كان قد قال : « نيري هين وحملي خفيف » (متى ١١ : ٣٠) ، فكيف إذن نستطيع أن تفسر هذا ؟ كيف يمكن القول إن وصايا « يسوع » الضخمة ، ومطالبه الهائلة ، لبست ثقيلة على أى إنسان ؟ هناك إجابات ثلاث لهذا السؤال :

١ — إن الله لا يأمر إنساناً بعمل ما ، بغير أن يعطيه القوة اللازمة لإتمام هذا العمل ، فمع الرؤيا تأتى القوة . نعم . إن الله يعطينا القوة عندما نحتاج إليها ، فهو لا يقدم لنا وصاياه ، ثم يتركنا لذواتنا ، لكنه يبقى دائماً بجوارنا ، وفى داخل قلوبنا ، يعيننا على إتمام ما أمرنا وأوصانا به ، فكل تكليف إلهى ، بالقيام بعمل ما ، يصحبه على الدوام ، إلهام إلهى ، وغير المستطاع عندنا ، يصبح بعون الله ممكناً ومستطاعاً لنا ، وهذا أمر يؤكد صحته الإختبار البشرى . فنحن عندما نحاول ، لا نعرف ماذا نفعل ، لكن كل من يحاول مع الله ، يصبح المستحيل ممكناً لديه .

٢ — توجد هنا أيضاً حقيقة عظيمة أخرى : كل تجاوب لنا مع الله ، يجب أن يكون تجاوباً حبياً ، ومع المحبة ، يصبح كل شيء سهلا ومقدوراً عليه ، وما نعجز عن القيام به ، مع أى شخص غريب ، سنحاول القيام به مع من نحب ، وما لا نعطيه للغرباء ، نقدمه بسرور ورضا لمن نحبه . والتضحية التى تعتبر فى حكم المستحيل ، إذا ما طلبها منا أى شخص غريب ، تصبح عطية عادية ، إذا ما طلبها منا إنسان نحبه . وهناك قصة قديمة ، تصور لنا هذا الأمر ، تقول القصة إن أحدهم قابل ولداً سائراً فى طريقه إلى المدرسة ولم تكن هناك وسائل للمواصلات ، وكان هذا الولد السائر على قدميه ،

يحمل فوق ظهره ولداً آخر صغيراً ، أعرج لا يستطيع المشى ، فقال الغريب للولد الذى يحمل ذلك الأعرج :

« أتحمله هكذا كل يوم ، وتذهب به إلى المدرسة ؟ » .

— « نعم » .

— « إنه حمل ثقيل عليك » .

— « لا ليس كذلك ، إنه ليس حملا البتة ، إنه أخى » .

لقد جعلت المحبة ذلك الولد ، يحس بأن الحمل ليس حملا ولا ثقلا البتة ، إن إخوتنا إمتياز لنا ، والتزامنا بحملهم ، يعتبر فرصة لنا ، لإعلان محبتنا لهم . ومهما كانت وصايا المسيح صعبة ، إلا أنها ليست ثقيلة ، لأن المسيح لا يأمر الإنسان بعمل ، إلا ويعطيه القوة للقيام به ، وكل وصية يأمرنا بإتمامها ، تمنحنا فرصة لإظهار محبتنا . أما الإجابة الثالثة ، فنؤجلها لحين الانتقال إلى الفصل التالى .

غلبة العالم

وَهٰذِهِ هِيَ ٱلْغَلَبَةُ ٱلَّتِي تَغْلِبُ ٱلْعَالَمَ إِيمَانُنَا . مَنْ هُوَ ٱلَّذِي يَغْلِبُ ٱلْعَالَمَ إِلاَّ ٱلَّذِي يُؤْمِنُ أَنَّ يَسوعَ هُوَ ٱبْنُ ٱللّٰهِ .

(رسالة يوحنا الأولى ٥ : ٤ ب و ٥)

٣ ـ قد رأينا أن وصايا « يسوع المسيح » ، ليست ثقيلة ولا مؤلمة ، لأن معها تأتينا القوة اللازمة لإتمامها ، ثم أيضاً ، لأننا نقبلها فى المحبة . وإطاعتنا لهذه الوصايا ، تعتبر إتاحة فرصة لنا ، للتعبير عن محبتنا ، وهكذا تصبح

امتيازاً لا عبئاً . لكن فضلا عن ذلك توجد حقيقة عظيمة أخرى . فلدى المسيحى . ما يجعله قادراً على أن يغلب العالم . والعالم المقصود هنا ، هو العالم البعيد عن الله ، العالم الذى لا يسير بحسب إرادة الله ، ذلك العالم الذى يحاول أن ينسينا الله . ويجعلنا نتخلى عن مثله ومبادئه . والإيمان هو الذى يعطينا الغلبة على العالم ، فما هو إذا هذا الإيمان الغالب ؟ « يوحنا » نفسه يحدده لنا ، إنه الإيمان بأن « يسوع » هو ابن الله ، أو بتعبير آخر : « الإيمان الغالب هو الإيمان بالتجسد » . لكن لماذا يعتبر الإيمان بالتجسد هاماً لهذا الحد ، وكيف يمنحنا النصر ؟ إننا عندما نؤمن بالتجسد ، فإن هذا يعنى أن الله فى المسيح ، قد دخل إلى العالم . وأنه أخذ طبيعتنا البشرية ، وهذا يعنى، أن الله قد اهتم بالبشر ، إلى الحد الذى جعله يخلى ذاته من مجده ، ويضعها فى نطاق البشرية المحدود ، وهذا يعتبر تضحية عظمى من جانب الله . وعملا من أعمال المحبة ، لا يمكن تصوره أو تخيل حدوثه ، لأنه يسمو عن إدراك الذهن البشرى المحدود ، وبقيام الله بهذا العمل ، يكون قد اشترك فى كل أعمال الطبيعة البشرية ، ويكون قد اختبر . فى جسم بشريته . كل ما يصادفنا فى حياتنا ، من تجارب وآلام . أى أن الله اشترك معنا فى مواقفنا ، وفهم كل ما يحدث لنا فهماً تاماً ، أى أن الله يسير معنا فى حياتنا العملية هذه . والإيمان بالتجسد ، هو الإقتناع بأن الله يشاطرنا آلامنا ويرق لنا فى أحزاننا ، ويهتم بنا فى ظروفنا ، وما إن نصل إلى هذا اليقين ، إلا وتحدث عدة أمور :

١ — يكون لدينا دفاع به نقاوم تأثيرات العالم ، فنحن من كل جانب ، محاطون بضغوط عنيفة من المثل والمؤثرات العالمية ، فمن كل جانب ، تحيطنا إغراءات الوقوع فى الخطأ من خارج ، ومن داخل ، تأتى التجارب ، وهى جزء من مواقف البشر ، فى عالم ، وفى مجتمع ، ليس فقط غير متجاوب مع الله ، لكنه فى معظم الأحيان ، يكون معادياً لله . لكن مادمنا واثقين

ومتأكدين ، من وجود الله الدائم ، فى شخص « يسوع المسيح » ، نكون فى مأمن تام من كل التأثيرات العالمية . والحقيقة التى يؤيد صحتها الإختبار ، هى أن الشركة مع الأخيار تيسر لنا حياة الصلاح ، وإيماننا بالتجسد ، يحقق لنا حضور الله الدائم فى المسيح .

٢ – لدينا القوة التى تعيننا على مواجهة هجمات العالم . فمواقف البشر حافلة بأمور ، تحاول أن تنتزع منا إيماننا ، وهناك هموم الحياة ، وما يصادفنا فيها ، مما نعجز عن إدراكه ، وهناك أيضاً الفشل الذى يواجهنا فى حياتنا ، والأشياء التى تنتزعنا من أحلامنا . معظمنا يصيبه فى الحياة من عوامل الفشل ما يجعله يحس بأنه عبثاً يحاول ، وأنه ليس عليه إلا أن يستسلم لليأس ، لكن إيماننا بالتجسد ، يمنحنا الإيمان ، بأن الله هو الذى يستطيع أن يتدخل فى هذه كلها ، حتى ولو إلى الصليب .

٣ – لدينا الإيمان الذى لا يعتريه شك ، بأن النصر النهائى لنا . فقد بذل العالم كل جهده فى مقاومته ليسوع . فكادوا له ، وفعلوا به مافعلوه ، حسبوه مجدفاً وخاطئاً ، وصديقاً للعشارين والخطاة . حكموا عليه وصلبوه ، ودفنوه ، وعملوا كل ما هو فى طاقة البشر ، لتحطيم المسيح والقضاء عليه ، لكنهم فى النهاية باءوا بخسران مبين . فبعد الصليب ، جاءت القيامة ، ومن العار ، سطع بهاء المجد . هذا هو «يسوع» الذى يسير معنا . إنه شخص رأى الحياة فى أقتم صورها ، وعاش أردأ ما فيها . إنه شخص مات ، لكن ، لم يكن ممكناً للموت أن يمسكه ، إن معنا شخصاً ، يقدم لنا نصيباً فى هذا الإنتصار الذى أحرزه . فإن آمنا بالتجسد ، وبحياة وموت يسوع المسيح ، وقيامته ، عندئذ يكون معنا إلى الأبد ، المسيح المنتصر ، الذى يمنحنا الغلبة والنصرة .

الماءُ والدم

هٰذَا هُوَ ٱلَّذِى أَتَى بِمَاءٍ وَدَمٍ يَسُوعُ ٱلْمَسِيحُ . لاَ بِالْمَاءِ فَقَطْ بَلْ بِـٱلْمَاءِ وَالدَّمِ . وَٱلرُّوحُ هُوَ ٱلَّذِى يَشْهَدُ لأَنَّ ٱلرُّوحَ هُوَ ٱلْحَقُّ . فَإِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْهَدُونَ فِى ٱلسَّمَاءِ هُمْ ثَلٰثَةٌ ٱلآبُ وَالْكَلِمَةُ وَٱلرُّوحُ ٱلْقُدُسُ وَهٰؤُلاَءِ ٱلثَّلٰثَةُ هُمْ وَاحِدٌ . وَالَّذِينَ يَشْهَدُونَ فِى ٱلأَرْضِ هُمْ ثَلٰثَةٌ ٱلرُّوحُ وَالْمَاءُ وَٱلدَّمُ وَٱلثَّلٰثَةُ هُمْ فِى ٱلْوَاحِدِ .

(رسالة يوحنا الأولى ٥ : ٦ – ٨)

عندما بدأ « بلمر » تفسيره لهذه الفقرة ، قال إنها أعظم فقرة فى الرسالة كلها ، بل إنها أعظم فقرة محيرة فى جميع أسفار العهد الجديد . ولا شك فى أننا إذا ما عرفنا الظروف التى كان يكتب فيها « يوحنا » ، ولو أنه كان لدينا إلمام تام ، بالهرطقات التى كان « يوحنا » يدفعها عن شعبه ، ولو أننا أعدنا تصور الخلفية الفكرية كلها ، عندئذ يصبح المعنى فى غاية الوضوح ، لكن ليس متاحاً لنا غير الحدس والتخمين . وعلى أية حال ، لدينا من المعرفة ما يسمح لنا بإدراك ما يقصده « يوحنا » بهذه الكلمات .

بادئ ذى بدء ، علينا أن نلاحظ حقيقتين من الحقائق العامة ، أولاهما ، هى أنه واضح أن كلمتى « ماء » و « دم » ، فى ارتباطهما بيسوع ، لهما عند « يوحنا » ، معنى سرى ورمزى خاص ، وعند الحديث عن الصليب ، نجد عند « يوحنا » فى بشارته ، آيتين مثيرتين :

«لكن واحداً من العسكر طعن جنبه بحربة وللوقت خرج دم وماء . والذى عاين شهد وشهادته حق وهو يعلم أنه يقول الحق لتؤمنوا أنتم »(بشارة يوحنا ١٩ : ٣٤ و ٣٥) .

ومن الواضح أن « يوحنا » ، يعير هذه الحادثة اهتماماً كبيراً ، ويؤيدها بشهادة برهان خاص ، وبالنسبة ليوحنا ، كلمتا « ماء » و « دم » ، وارتباطهما بيسوع ، توضحان ركناً هاماً وأساسياً من معنى الإنجيل .

العدد الأول من الفقرة ، يشرح بوضوح ، أن الذى جاء بالماء والدم هو « يسوع المسيح » ، وهذا يعنى أن ذاك الذى قدم على أنه « المسيح » أو « المسيا » قد قدم عن طريق الماء والدم .

والماء والدم بالنسبة ليسوع ، يشيران إلى حادثتين من أحداث حياته . لا بد أن الماء يشير إلى معموديته ، والدم يشير إلى صليبه ، وهكذا يقول « يوحنا » ، إن المعمودية والصليب فى حياة يسوع ، هما جزء من عمله كالمسيا .

ويواصل « يوحنا » حديثه فيقول ، إن « يسوع » لم يأت بالماء فقط ، لكن بالماء والدم ، وهكذا يتضح لنا أنه كان هناك قوم يؤمنون ، بأن يسوع قد جاء بالماء فقط دون الدم ، وهذا يعنى ، أن المعمودية كانت جزءاً من عمله كالمسيا ، أما صليبه ، فلم يكن جزءاً من ذلك العمل ، وهذا فى رأينا ، هو الباعث الذى أدى بيوحنا إلى كتابة هذه الفقرة .

ولقد رأينا مراراً وتكراراً ، أن هذه الرسالة كتبت لمقاومة الغنوسية ، كما رأينا أيضاً ، أن الغنوسية كانت تؤمن بأن الروح كله خير ، بينما المادة شر بجملتها ، وهذا الإعتقاد ، حمل الغنوسيين على رفض الإيمان بعقيدة

التجسد ، وإنكار أن الله قد جاء فى جسد بشرى : إنهم لم يستطيعوا أن يتصوروا ، أن الله يمكن أن يحد فى جسم بشرى ، أو أنهم على الأقل ، لا يستطيعون أن يتصوروا ، أن الله الروح ، يعانى ما يعانيه البشر من آلام . ويخبرنا « إيرينايوس » عن عقيدة ارتبطت باسم شخص يدعى « كيرنثوس » وهو واحد من ممثلى الغنوسيين ، وكان من المعاصرين ليوحنا . ويخبرنا « إيريانيوس » . أن « كيرنثوس » هذا كان يقول : « إنه فى المعمودية ، من تلك القوة التى تفوق كل قوة ، هبط المسيح من السماء ، فى هيئة حمامة ، وحل فى جسد الإنسان « يسوع » ، حاملا للناس رسالة الله ، الذى يجهله الناس أجمعون جهلا تاماً» ، كما قال ، إن المسيح عاش فى « يسوع » فى كمال تام ، وأنه أخيراً . ترك جسد « يسوع » ، وقفل راجعاً إلى السماء ، التى منها كان قد جاء ، وأن الذى صلب على صليب الجلجثة وقام ، لم يكن هو المسيح ، لكنه يسوع الإنسان : وهذا يمكن تلخيصه بالقول ، إن « كيرنثوس » كان يعلم ، بأن يسوع صار إلهاً عند معموديته ، وأن هذا اللاهوت قد فارقه عند صلبه . وأنه عند موته ، لم يكن غير مجرد إنسان عادى .

وواضح أن تعليما كهذا ، يجرد حياة « يسوع » وموته ، من كل قيمة لها ، لأن محاولة إبعاد الله ، إبعاداً تاماً ، عن اجتياز الآلام ، والمواقف التى يعانيها البشر ، يبعد الله عن عمل الفداء ، ويجرد الصليب من كل قيمة له .

وما يقوله « يوحنا » ، هو أن الصليب ركن أساسى فى معنى « يسوع » ، وأن الله كان فى المسيح ، عند موته تماماً ، مثلما كان فيه فى حياته . أى أن « يوحنا » يقول ، إنه فى « يسوع » ، فى الإنسان « يسوع » ، عاش الله حياة حقيقية ، وتألم آلاماً حقيقية من أجل البشر .

الشهادة المثلثة

يواصل « يوحنا » كلامه عن الشهادة الثلاثية : « هناك شهادة الروح ، وفى هذه الشهادة ، كان « يوحنا » يفكر فى ثلاثة أمور :

١ — واضح من العهد الجديد ، أنه فى المعمودية ، نزل الروح على « يسوع » بطريقة خاصة متميزة (مرقس ١ : ٩ — ١١ ، متى ٣ : ١٦ ، ١٧ ، لوقا ٣ : ٢١ و ٢٢ ، أعمال الرسل ١٠ : ٣٨ ، بشارة يوحنا ١ : ٣٢ — ٣٤) . فنى المعمودية نزل الروح القدس على « يسوع » ، نزولا تاماً ، واستقر فيه بصفة دائمة .

٢ — والعهد الجديد كذلك ، يوضح لنا أنه بينما كان « يوحنا » يعمد الناس بالماء ، جاء « يسوع » لكى يعمدهم بالروح . (مرقس ١ : ٨ ، متى ٣ : ١١ ، لوقا ٣ : ١٦ ، أعمال الرسل ١ : ٥ و ٢ : ٢٣) . فيسوع قد جاء ، لكى يعطى الروح للبشر ، بطريقة جديدة أشمل وأكمل . إنه أعطى الروح للناس بفيض ، وبصورة لم يكن لهم بها سابق عهد .

٣ — تاريخ الكنيسة هو الدليل ، على أن هذا لم يكن مجرد إعلان لا معنى له ، لكنه أصبح عملا محسوساً ، وحقيقة واضحة ومؤكدة ، بدأت يوم الخمسين (أعمال الرسل ٢ : ٢٤) ، ثم تكررت بعد ذلك مرة بعد الأخرى ، فى تاريخ الكنيسة الطويل ، واختبارها الحافل على مر العصور . (أعمال الرسل ٨ : ١٧ و ١٠ : ٤٤) . لقد أخذ « يسوع » الروح ، واستطاع أن يعطيه للبشر ، واستمرار وجود الروح فى الكنيسة ، كان دليلا وبرهاناً ، على حقيقية واستمرار قوة « يسوع المسيح » ، وشهادة لا يمكن إنكارها .

ثم هناك أيضاً شهادة الماء ، فنى معمودية « يسوع » ذاته ، كان نزول

الروح عليه ، شهادة له ، وهذه فى الحقيقة . كانت الحادثة ، التى كشفت ليوحنا المعمدان عن شخص « يسوع » ، وعندما كانت الكنيسة الأولى ، تعمد المهتدين الجدد ، كانت تواصل القيام بمعمودية «يوحنا» وتشهد للمسيح وعلينا أن نتذكر ، أنه من بدء تاريخ الكنيسة ، كانت المعمودية تجرى للكبار ، باعتبارها إقراراً منهم بإيمانهم بالمسيح ، وذلك لأن المنضمين إلى الكنيسة الأولى ، كانوا جميعاً من الأمم ، كانوا رجالا ونساء هجروا ديانتهم الوثنية ، وبدأوا يحيون حياة جديدة ذات طابع خاص ، وكان المعتمد ، يدفن فى الماء دفناً كاملا ، إعلاناً عن أنه قد قبر ومات مع المسيح ، ثم يخرج من الماء وقد قام مع المسـيح ، وأصبح فيه خليقة جديدة . إنه قد ولد ميلاداً جديداً . لهذا كانت المعمودية المسيحية ، شهادة على استمرار قوة « يسوع المسيح » ، بل شهادة على أنه ما زال حياً ، وأنه هو الله حقاً .

ثم كانت هناك شهادة « الدم » . والدم هو الحياة ، وفى كل ذبيحة ، كان الدم قدساً للرب ، وللرب وحده ، والمسيح فى موته ، كان الذبيحة الكاملة التى قدمت لله ، وفى الصليب ، قدم المسيح دمه لله ، وكان الناس يؤكدون كفاية تلك الذبيحة ، وأنها قد افتدت البشر ، وصالحتهم مع الله ، وأعطتهم سلاماً معه .

والآن ، تمارس الكنيسة العشاء الربانى (الأفخارستيا) ، وهى تواظب باستمرار ، على هذه الممارسة . وفى هذا العشاء ، تقدم الكنيسة صورة لذبيحة المسيح ، وعندما تقدمه للناس ، فإنها لا تتيح لهم فقط فرصة تقديم الشكر الواجب للمسيح ، على ذبيحته التى قدمها ، مرة واحدة وإلى الأبد ، لكنها تتيح لهم الفرصة ، لكى يجنوا ثمار هذا العشاء ، ويحصلوا على قوته الشافية : وهذا هو ما حدث . فعلى مائدة العشاء تقابل الناس مع السيد ، واختبروا

صفحه وغفرانه ، كما اختبروا سلام الله ، الذى جلبه لهم هذا العشاء . وحتى الآن ، لا يزال الناس يتمتعون بذلك الإختبار عينه ، ولهذا ، فإن تلك الوليمة شهادة دائمة ومتصلة ، للقوة المخلصة التى لذبيحة يسوع المسيح .

الروح ، والماء ، والدم ، الثلاثة معاً ، يشهدون لكمال المسيح (المسيا) ، كما يشهدون لكمال بنوته ، وكمال الخلاص الذى صنعه « يسوع » ، هذا الإنسان الذى كان الله فيه . وعطية الروح المستمرة ، والموت المتصل بالمعمودية ، والقيامة منها ، واستمرار ممارسة العشاء الربانى ، الذى يذكرنا بعمل المسيح على الصليب ، هذه كلها تشهد ليسوع المسيح .

الشهادة التى لا تنكر

إِنْ كُنَّا نَقْبَلُ شَهَادَةَ ٱلنَّاسِ فَشَهَادَةُ ٱللهِ أَعْظَمُ لِأَنَّ هٰذِهِ هِيَ شَهَادَةُ ٱللهِ ٱلَّتِي قَدْ شَهِدَ بِهَا عَنِ ٱبْنِهِ . مَنْ يُؤْمِنُ بِٱبْنِ ٱللهِ فَعِنْدَهُ ٱلشَّهَادَةُ فِي نَفْسِهِ . مَنْ لَا يُصَدِّقُ ٱللهَ فَقَدْ جَعَلَهُ كَاذِبًا لِأَنَّهُ لَمْ يُؤْمِنْ بِٱلشَّهَادَةِ ٱلَّتِي قَدْ شَهِدَ بِهَا ٱللهُ عَنِ ٱبْنِهِ .

(رسالة يوحنا الأولى ٥ : ٩ و ١٠)

وراء هذه الفقرة فكرتان أساسيتان :

١ ــ فكرة العهد القديم ، التى تتضمن شهادة كافية . فواضح أن العهد القديم يقول : « لا يقوم شاهد واحد على إنسان فى ذنب ما أو خطية ما من جميع الخطايا التى يخطئ بها . على فم شاهدين أو على فم ثلاثة شهود يقوم

الأمر » (تثنية ١٩ : ١٥ ، ١٧ : ٦) . فإذا كانت شهادة ثلاثة من البشر ، تكفي لإثبات أي أمر ، فكم بالحرى تكون شهادة سماوية ، كشهادة الروح ، والماء ، والدم .

٢ – فكرة الشهادة ، تشكل ركناً أساسياً في فكر « يوحنا » . فني بشارته نجد عدة شهادات عن « يسوع المسيح » ، فيوحنا المعمدان شهد له (بشارة يوحنا ١ : ٥ و ٣٢ – ٣٤ ، ٥ : ٣٣) ، كما أن أعمال « يسوع » تشهد له (بشارة يوحنا ٥ : ٣٦) ، والآب الذي أرسله يشهد له (بشارة يوحنا ٥ : ٣٠ – ٣٢ و ٣٧ ، ٨ : ١٨) ، والروح كذلك يشهد له : « متى جاء المعزى الذي سأرسله أنا إليكم من الآب . روح الحق الذي من عند الآب ينبثق فهو يشهد لي » (بشارة يوحنا ١٥ : ٢٦) . وهكذا يؤكد « يوحنا » ، أن هؤلاء جميعاً ، تتركز شهادتهم في شخص « يسوع المسيح »

وهناك تعبير محبب ، يفضل « يوحنا » استخدامه ، وقد استخدمه كثيراً في بشارته ، حيث حدثنا عن الرجل الذي آمن بابن الله ، وهناك فرق واضح ، بين تصديق إنسان ، وبين الإيمان به . فنحن عندما نصدق إنساناً ، نصدق كل ما يقوله لنا هذا الإنسان في أي موضوع ، ونعترف ونقر ، بأنه صادق في كل أقواله ، وأنه لا يتكلم إلا بالصدق . لكن عندما نؤمن بشخص فإننا نقبله بجملته ، ونقبل كل ما ينادي به ، ونثق به وفيه ، وعندئذ لا نكتفي فقط بتصديق أقواله ، وإنما نسلمه ذاتنا وحياتنا . فإيماننا بالمسيح يسوع ، لا يعني أننا فقط نصدق كل أقواله ، وإنما نضع حياتنا بجملتها بين يديه ، ونخضع لإرشاده وقيادته . بل إن هذا الإيمان ، يعني أننا نسلم ذواتنا له الآن في هذا الزمان ، وفي الأبدية كذلك . وكل من يرفض أن يفعل هذا ، يكون قد رفض عمل الروح القدس في داخل قلبه ، ورفض الإصغاء إلى ذاك المرسل الإلهي .

والآن ، إذا ما رفض أى إنسان قبول هذه الشهادة ، ورفض قبول شهادة الناس ، الذين اختبروا ما يستطيع « يسوع » أن يعمله ، ورفض شهادة أعمال المسيح نفسه ، وشهادة الكتاب المقدس . وشهادة روح الله ، وشهادة الله نفسه ، فإنه برفضه هذا ، يعلن أن الله كاذب ، لأنه يرفض تصديق شهادة الله.

وهكذا يعلن « يوحنا » ، أن كل من يرفض قبول الشهادة التى تقدمها له الحياة ، والتى يقدمها له الله ، يكون هذا الإنسان . يعامل الله على أنه كاذب . وهذا كفر ما بعده كفر .

جوهر الإيمان

وَهٰذِهِ هِيَ ٱلشَّهَادَةُ أَنَّ ٱللهَ أَعْطَانَا حَيٰوةً أَبَدِيَّةً وَهٰذِهِ ٱلْحَيٰوةُ هِيَ فِي ٱبْنِهِ . مَنْ لَهُ ٱلٱبْنُ فَلَهُ ٱلْحَيٰوةُ وَمَنْ لَيْسَ لَهُ ٱبْنُ ٱللهِ فَلَيْسَتْ لَهُ ٱلْحَيٰوةُ .

كَتَبْتُ هٰذَا إِلَيْكُمْ أَنْتُمُ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِٱسْمِ ٱبْنِ ٱللهِ لِكَيْ تَعْلَمُوا أَنَّ لَكُمْ حَيٰوةً أَبَدِيَّةً وَلِكَيْ تُؤْمِنُوا بِٱسْمِ ٱبْنِ ٱللهِ .

(رسالة يوحنا الأولى ٥ : ١١ – ١٣)

بهذه الفقرة ، يختم « يوحنا » رسالته الأولى ، وما يلى بعدها ، يعتبر بطبيعته تذييلا لها ، أو إضافة عليها . وتنتهى الرسالة بتقرير جوهر الحياة المسيحية ، ألا وهو « الحياة الأبدية » ، فما هى الحياة الأبدية ، ما هى

هباتها وصفاتها ؟ الكلمة اليونانية المترجمة « الأبدية » هى « أيونيوس » ، وهى تعنى أكثر من البقاء إلى الأبد ، لأن الحياة التى تستمر إلى الأبد ، قد تكون لعنة لا بركة ، وعبئاً ثقيلا لا عطية ثمينة . ولا يوجد غير شخص واحد فقط ، هو الذى يمكن أن تستخدم له كلمة « أيونيوس » ، هذا الشخص هو الله ، الذى يملك الأبدية ، ويوجد فيها ، ولهذالا تكون الحياة الأبدية ، شيئاً غير حياة الله ذاته .

وفى الله يوجد السلام ، ولهذا ، فالحياة الأبدية تعنى الهدوء والاستقرار . إنها حياة قد تحررت من جميع المخاوف التى تحيط بالحياة البشرية وتهددها . وفى الله قوة ، ولذا فالحياة الأبدية تعنى الغلبة والإنتصار . فهى حياة مليئة بالقوة التى هى قوة الله ، وهى لهذا حياة غالبة منتصرة على كل الظروف . وفى الله قداسة ، ولذا فالحياة الأبدية تعنى الإنتصار على الخطية . إنها حياة الطهارة التى هى طهارة الله ، تلك الحياة التى يحيط بها سياج يحميها ، من جميع ما يحيط بها ، من تأثيرات العالم الأرضية . وفى الله أيضاً ، توجد المحبة ، وعلى هذا يكون معنى الحياة الأبدية ، هو وضع حد للمرارة والبغضاء . فهى حياة نجد فى قلبها حب الله ، ذلك الحب الذى لا يهزم ، الحب بكل ما يتصل به من مشاعر ، وما يتأسس عليه من أعمال .

وفى الله حياة ، ولهذا فالحياة الأبدية ، تعنى الإنتصار على الموت ، أى أنها الحياة التى لا يفسدها الموت ، لأنها تمتلك قوة حياة الله ، التى لا يستطيع الموت أن يفسدها .

ولقد كان « يوحنا » على يقين تام ، بأن مثل هذه الحياة ، لا تأتى إلينا إلا عن طريق « يسوع المسيح » لا سواه . لكن لماذا هذا ؟ الجواب هو ، أنه إن كانت الحياة الأبدية هى حياة الله ، فإن هذا يعنى أننا لا يمكن

أن نحصل عليها ، إلا إذا عرفنا الله ، وعندما نعرفه ، ويصبح بإمكاننا أن نقترب منه . عندئذ نجد راحتنا فيه . ولا يمكننا أن نبلغ من هذه شيئاً إلا بيسوع المسيح . فالإبن وحده ، هو الذى يعرف الآب معرفة تامة ، و « يسوع المسيح » وحده ، هو الذى يستطيع أن يعلن لنا الآب تماماً كما هو ، أو بحسب تعبير « يوحنا » فى بشارته : « الله لم يره أحد قط الإبن الوحيد الذى فى حضن الآب هو خبر » (بشارة يوحنا ١ : ١٨) .

إن يسوع وحده هو الذى يستطيع أن يوجدنا فى حضرة الله . فهو وحده الذى فتح لنا الطريق الحى الحديث ، المؤدى إلى حضرة الله (عبرانيين ١٠ : ١٩ — ٢٣) . ويمكن أن نقدم هنا تحليلا بسيطاً : « إن رغبنا فى مقابلة إنسان ، ليست لنا به معرفة سابقة ، وكان هذا الشخص يعيش فى جو آخر ، يختلف عن الجو الذى نعيش نحن فيه ، فإننا لا نستطيع أن نقابل هذا الشخص إلا عن طريق التوصل إلى شخص آخر يعرفه ، لكن على شريطة ، أن تتوفر فى هذا الشخص الآخر ، الرغبة فى القيام بهذه الخدمة ، وإيصالنا إلى الشخص الذى نرغب فى مقابلته . وهذا هو عين ما فعله « يسوع » من أجلنا ، إنه أوصلنا إلى الإلتقاء بالله .

إن الحياة الأبدية هى حياة الله ، ولا يمكننا أن نجد هذه الحياة إلا فى يسوع المسيح .

أساس الصلاة ومثالها

وَهٰذِهِ هِيَ ٱلثِّقَةُ ٱلَّتِي لَنَا عِنْدَهُ أَنَّهُ إِنْ طَلَبْنَا شَيْئاً حَسَبَ مَشِيئَتِهِ يَسْمَعُ لَنَا . وَإِنْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّهُ مَهْمَا طَلَبْنَا يَسْمَعُ لَنَا نَعْلَمُ أَنَّ لَنَا ٱلطِّلِبَاتِ ٱلَّتِي طَلَبْنَاهَا مِنْهُ .

(رسالة يوحنا الأولى ٥ : ١٤ و ١٥)

فى هذين العددين نجد أساس الصلاة ومثالها .

١ ـ أساس الصلاة هو . أن الله يسمع صلواتنا ، والكلمة اليونانية التى يستخدمها « يوحنا » . والمترجمة « ثقة » ، كلمة شائعة الاستخدام . هى « پارسيا » ، وهى أساساً تعنى حرية الكلام ، حرية التعبير عن الرأى والتكلم بجرأة ، تلك الحرية التى تضمنها الديمقراطية الحقة ، وها نحن نأتى إلى نوع من الجرأة والثقة فى تعاملنا مع الله . فنحن ، لنا مطلق الحرية فى مخاطبة الله ، وهو دائماً يسمع . واستعداده للإصغاء إلينا ، أكثر بكثير من استعدادنا نحن للصلاة . إن الله دائماً فى الانتظار ، فلا حاجة بنا إلى شق طريقنا بصعوبة إلى حضرته ، أو لإرغامه على الالتفات إلينا ، لأنه دائماً ينتظرنا . وإذا لجأنا إلى استخدام تصوير بشرى نقول ، نحن نعلم أننا كثيراً ما انتظرنا طرقات ساعى البريد ، أو رنين جرس الهاتف ، حاملا إلينا رسالة من عزيز لدينا ، وبكل خشوع وإجلال نقول ، إن الله ينتظرنا بمثل هذه اللهفة .

٢ ـ هناك أيضاً مثال للصلاة . فإن كنا نريد أن تجاب صلواتنا ، علينا أن نصلى حسب مشيئة الله .

وأربع مرات فى كتاباته ، يسجل « يوحنا » ، ما يمكن أن نطلق عليه « حالات الصلاة » .

(أ) إنه يقول لنا إننا يجب أن نكون فى حالة الطاعة عندما نصلى : « ومهما سألنا منه ننال لأننا نحفظ وصاياه » . (رسالة يوحنا الأولى ٣ : ٢٢) .

(ب) كما يقول ، إننا ينبغى أن نكون ثابتين فى المسيح عندما نصلى :

« فإن ثبتنا فيه وثبت كلامه فينا . نطلب ما نريد فيكون لنا » (بشارة يوحنا ١٥ : ٧) . فكلما ازددنا ثباتاً في المسيح ، والتصاقاً به ، تصححت واستجيبت صلواتنا .

(ح) يجب أن نصلي باسمه : « إن سألنا شيئاً باسمه فانه يفعله » (بشارة يوحنا ١٤ : ١٤) . إن أعظم اختبار لرغبة الإنسان هو : هل أستطيع أن آخذ رغباتي إلى « يسوع » عندما أصلي إليه ؟ هل تستطيع أن تقول ليسوع : « حقق لي هذه الرغبة من أجل إسمك ، وامنحني طلباتي في هذا الاسم العزيز ؟ إن صلاة مثل هذه لا شك في أنها سوف تجاب .

(د) أمامنا هنا أيضاً ، أعظم طريقة للصلاة . إن صلاتنا يجب أن تكون حسب مشيئة الله ، و « يسوع » يعلمنا أن نصلي قائلين : « لتكن مشيئتك » ، ليس « لتتغير يارب مشيئتك ، فتصبح حسب مشيئتي » ، وفي ساعة ضيقته العظمى ، وحزنه الشديد ، كانت صلاته للآب : « ليس كما أريد أنا بل كما تريد أنت » ... «فلتكن مشيئتك» (متى ٢٦ : ٣٩و٤٢). هذه هي صيغة الصلاة، وقد قال أحدهم : « إن الصلاة يجب ألا تكون وسيلة للحصول على رغباتنا ، وإنما وسيلة لتحويل رغباتنا ، حتى تصير متفقة مع مشيئة الله ومع فكره ، وهكذا تصبح صلواتنا قنوات ، توصل إلينا قوى إرادته ، ويعتقد « ا. بروك » ، أن فكر « يوحنا » من جهة الصلاة ، كان يتلخص في أنها يجب أن تتضمن طلبات لمعرفة واستيضاح مشيئة الله . وحتى الوثنيين ، كانوا يرون هذا الرأي ، فإبكتيتس كتب يقول : « لتكن لديك الشجاعة ، لكي تنظر

إلى الله وتقول له ، تعامل معى كما تشاء ، من الآن فصاعداً ، فأنا واحد معك . وأنا لك . ولن أخشى شيئاً مما تستحسنه أنت ؛ قدنى كما تشاء ، وألبسنى الرداء الذى تريد ، وإنه ليستوى عندى ، أن أكون قائداً أو تابعاً ، أن أبقى أو أذهب ، أن أكون غنياً أو فقيراً ، لا فرق عندى بين هذه وتلك . وسوف أشهد لك من أجل كل هذه الأحوال » .

وهنا أمر يجب أن نركز عليه ، فنحن نعتقد أن الصلاة ، هى أن نطلب من الله ما نحتاج إليه . لكن الصلاة الحقة ، هى أن نسأل الله عما يريده هو . نحن نظن أن الصلاة هى أن نتحدث نحن إلى الله ، بينما هى فى حقيقتها ، يجب أن تكون إصغاء منا لله .

وفى الختام نقول . إن الصلاة الحقيقية الوحيدة ، هى الصلاة التى تقول لله : « لتكن مشيئتك » ، والتى لا تستند فى طلب استجابتها ، إلا إلى قبولنا ، لتلك المشيئة القدسية ، وطلب القوة التى تعيننا على إتمامها .

الصلاة لأجل الأخ الذى يخطئ

إِنْ رَأَى أَحَدٌ أَخَاهُ يُخْطِئُ خَطِيَّةً لَيْسَتْ لِلْمَوْتِ يَطْلُبُ فَيُعْطِيَهُ حَيْوةً لِلَّذِينَ يُخْطِئُونَ لَيْسَ لِلْمَوْتِ .تُوجَدُ خَطِيَّةٌ لِلْمَوْتِ . لَيْسَ لأَجْلِ هٰذِهِ أَقُولُ أَنْ يُطْلَبَ . كُلُّ إِثْمٍ هُوَ خَطِيَّةٌ وَتوجَدُ خَطِيَّةٌ لَيْسَتْ لِلْمَوْتِ .

(رسالة يوحنا الأولى ٥ : ١٦ و ١٧)

لا شك فى أن هذه الفقرة من أصعب الفقرات ، وأكثرها إزعاجاً ؛ لكن « قبل الدخول فى بحث مشاكلها ، يستحسن أن نرى ما تتضمنه من تأكيدات . كان « يوحنا » فيما سبق ، يتحدث عن امتياز المسيحى إذ يصلى ، وها هو الآن يتبع نفس المسار ، ويلفت النظر بوجه خاص ، إلى صلاة التشفع والتضرع ، من أجل الأخ الذى يحتاج إلى صلاتنا من أجله . وإنه لمن المدهش ، أن يختار « يوحنا » هذا النوع من الصلاة ، ويخصه بإشارته . فهو لا يشير بوجه خاص ، إلى الصلوات التى نقدمها ، من أجل ظروفنا واحتياجاتنا نحن ، وإنما يشير إلى الصلاة من أجل الآخرين . فالصلاة يجب أن تخلو من الأنانية ، وعلينا ألا نجعل ذواتنا وحاجاتنا الشخصية ، المحور الذى تدور حوله صلواتنا . إن الصلوات يجب أن تكون نشاطاً فعالا ، وعملا نقوم به من أجل الآخرين ، وكما قال « وستكوت » : « إن كمال الجماعة المسيحية ، ينبغى أن يكون غاية الصلاة » .

ومراراً وتكراراً ، يركز كتاب العهد الجديد ، على الحاجة إلى صلاة التشفع ، فى الرسالة الأولى إلى تسالونيكى يكتب « بولس » : « أيها الإخوة صلوا لأجلنا » (تسالونيكى الأولى ٥ : ٢٥) ، وكاتب العبرانيين يقول : « صلوا لأجلنا» (عبرانيين ٣ : ١٨ و ١٩) ، و « يعقوب» يقول : « أمريض أحد بينكم . فليدع شيوخ الكنيسة فيصلوا عليه » (رسالة يعقوب ٥ : ١٤) ، كما نصح « بولس » تلميذه « تيموثاوس » : « أن تقام صلوات من أجل جميع الناس » (تيموثاوس الأولى ٢ : ١) .

فالمسيحى يتمتع بهذا الامتياز الخطير ، أن يحمل أخاه إلى عرش النعمة ، وحول هذا الموضوع لنا ثلاث ملاحظات :

١ ــ إن كانت الصلاة من أجل المرضى ، أمراً عادياً فى نظرنا ، فإن

علينا كذلك أن ندرك ، أنه من الطبيعي ، كذلك ، أن نصلي من أجل البعيدين عن الله ، فنصلي من أجل شفاء الأرواح ، كما نصلي من أجل شفاء الأجساد . وبالنسبة للبعيدين عن الله ، والذين هم على وشك أن تتحطم سفينة حياتهم ، وتتعرض لخطر الدمار والهلاك ، ليس هناك ما نقدمه لهم ، أعظم من أن نرفعهم أمام الله ، ونتوسل إليه من أجلهم لكي يدركهم بنعمته .

٢ ــ لكن علينا أن نتذكر ، أن واجبنا نحو مثل هؤلاء ، لا ينتهي برفع صلواتنا من أجلهم ، وإنما واجبنا الأول من نحوهم ، هو أن نسعى سعياً حثيثاً ومتصلا ، لتحقيق استجابة صلواتنا ، وهكذا نجد أنه من واجبنا أن نتحدث مع الشخص ذاته ، فلا نكتفي بأننا قد تحدثنا عنه مع الله ، بل علينا أن نتحدث معه هو عن نفسه . إن الله يحتاج إلى قنوات وآلات ، يستطيع أن يعمل من خلالها وبواسطتها ، وإنه لمن المستحسن ، أن نكون نحن صوت الله ، الذي يتحدث إلى الشخص ، الذي يعرض ذاته ونفسه للخطر .

٣ ــ لقد تحدثنا من قبل ، عن أساس الصلاة وطريقتها ، وها نحن نأتي الآن إلى حقيقة أخرى ، فنواجه هنا تحديد الصلاة . فقد يرغب الله في الإستجابة لصلواتنا ، من أجل الشخص المحتاج لهذه الصلوات ، كما أننا قد نصلي بحرارة من أجل هذا الشخص ، لكن هذا الشخص عينه ، يستطيع أن يبطل كل مفعول لصلواتنا ، ويعطل تحقيق قصد الله ، الذي يرغب في إجابة هذه الصلوات . فمثلا ، إذا صلينا من أجل أحد المرضى ، وخالف هذا المريض أوامر أطبائه ، وتصرف بغباء ، عندئذ لا تجاب صلواتنا ، إذ يكون المريض قد جلب على نفسه استفحال أمر الداء . علينا أن نتذكر ، أن الكثير من صلواتنا لا يستجاب ، بسبب الأشخاص أنفسهم ، الذين نصلي من أجلهم . إن الله مستعد لإجابة صلواتنا ، وهو على استعداد لتقديم الشفاء ، بل

ومستعد لتقديم كل الأشياء ، لكنه تعالى ، غير مستعد لسلب حرية الإختيار ، تلك الحرية ، التى سبق له أن أعطاها للإنسان . إن خطأ الإنسان ، هو الذى يحول دون استجابة صلواتنا ، ويعطل عمل نعمة الله .

خطية للموت

هذه الفقرة تحدثنا أيضاً عن خطية للموت ، وأخرى ليست للموت . وهناك عدة أفكار حول الخطية التى هى للموت ، واليهود أنفسهم ، فرقوا بين نوعين من الخطايا ، فكانت لديهم خطايا يرتكبها الإنسان عن غير قصد ، كتلك الخطايا التى يفعلها الإنسان بجهل ، أو تحت ضغط ظروف قاهرة ، أو فى لحظة انفعال حاد ، أفلت فيها الزمام من الإنسان ، فلم يملك نفسه . ومن ناحية أخرى ، كانت هناك الخطايا ، التى يفعلها الإنسان طائعاً مختاراً ، وهو فى كامل وعيه ، وبكل حريته ، وهو يعلم تمام العلم ، أنها ضد مشيئة الله . وخطايا النوع الأول ، هى التى كانت تقدم عنها ذبيحة الكفارة ، أما النوع الثانى ، فلا غفران له على الإطلاق ، و « پلمر » ، يقدم لنا ثلاثة آراء فيقول :

١ ــ الخطايا التى للموت ، هى الخطايا التى عقوبتها الموت ، لكن من الواضح ، أن هناك معنى أوسع لهذا القول . فهذه الفقرة لا تشير إلى خطايا ، من تلك التى تعتبر كسراً لقوانين وضعها الإنسان ، أياً كانت خطورة هذه الخطايا .

٢ ــ الخطايا التى للموت ، هى الخطايا التى ينتقم الله من فاعلها ، بالاقتحام الذى يتسبب فى الموت ، وقد كتب « بولس الرسول » إلى أهل كورنثوس قائلا ، إنه بسبب تناولهم من جسد الرب ودمه بغير استحقاق ، لهذا السبب ، فيهم كثيرون ضعفاء ومرضى وكثيرون يرقدون ، وهذا يعنى

أن كثيرين قد ماتوا (كورنثوس الأولى ١١ : ٣٠) . وهذا الرأى ، يشير إلى خطايا ، يعاقب الله مرتكبها بالموت .

٣ ـ الخطايا التى للموت ، هى الخطايا التى يجب أن يحكم على فاعليها ، بالفصل من عضوية الكنيسة ، وعندما كتب الرسول « بولس » إلى أهل كورنثوس ، طالباً منهم أن « يسلم ذلك الأخ للشيطان » . كان بهذا يشير إلى الفصل والفرز من عضوية الكنيسة ، لكن « بولس » ، لم يقف عند هذا الحد ، إنما واصل حديثه قائلا ، إنه رغم قسوة تلك العقوبة وخطورتها ، إلا أنها تعتبر عقاباً جسدياً فقط ، أما الروح ، فإنها « ستخلص فى يوم الرب يسوع » (كورنثوس الأولى ٥ : ٥) . إنها عقوبة لكنها ليست للموت . لكن هذه كلها آراء غير مقنعة .

وأمامنا أيضاً ثلاثة آراء أخرى ، حول ماهية هذه الخطية التى للموت :

(ا) فى العهد الجديد ، خط فكرى واضح ، يشير إلى أنه كان هناك أناس ، يعتبرون أنه لا يوجد غفران ، للخطايا التى يفعلها الإنسان بعد المعمودية ، وكان هناك من يقول ، إن الإنسان فى المعمودية ، يتطهر من كل خطاياه السالفة ، لكن الخطايا التى يفعلها بعد المعمودية ، لا غفران لها البتة ، وفى رسالة العبرانيين ، نجد شيئاً من هذا الخط الفكرى ، فنقرأ : « الذين استنيروا مرة وذاقوا الموهبة السماوية وصاروا شركاء الروح القدس وذاقوا كلمة الله الصالحة وقوات الدهر الآتى لا يمكن تجديدهم أيضاً للتوبة إذ هم يصلبون لأنفسهم ابن الله ثانية ويشهرونه » (عبرانيين ٦ : ٤ ـ ٦). وفى الإصطلاحات المسيحية ، التى دأب المسيحيون الأول على استخدامها ، كانت « الإستنارة » تشير إلى المعمودية ،

ولهذا السبب ، كان كثيرون يؤجلون ممارسة المعمودية ، إلى آخر لحظة من حياتهم . لكن ذلك القول المشار إليه فى الرسالة إلى العبرانيين ، يشير إلى أن الغفران مرتبط بالندم والتوبة أكثر من ارتباطه بالمعمودية .

(ب) ثم بعد ذلك ، ظهر فى الكنيسة الأولى ، خط فكرى قوى يقول ، إن إهمال الشئون الدينية إهمالا تاماً ، يحول دون حصول من يهملها على الغفران . وفى أيام الاضطهادات المريرة ، ظهر قوم ينادون بأن الذين بسبب الخوف أنكروا إيمانهم ، هؤلاء لا غفران لهم ، وقد استند هؤلاء فى قولهم ، إلى أن « يسوع » كان قد قال : « من ينكرنى قدام الناس أنكره أنا قدام أبى الذى فى السموات » (متى ١٠ : ٣٣ ، مرقس ٨ : ٣٨) . لكن علينا أن نتذكر ، أن العهد الجديد ذاته ، ينبئنا بقصة إنكار«بطرس»، وبأنه عاد بعد ذلك إلى صوابه .

كما ظهر فى تلك الفترة قوم ، طالبوا بمحاكمة كل من ينكر إيمانه ، تحت ضغط التهديد والإرهاب ، فى أيام الاضطهاد ، وأن يعاقب مثل هذا ، بالفصل النهائى من عضوية الكنيسة . لكن علينا أن نذكر أن « يسوع » نفسه ، أعطى « بطرس » ، فرصة ثانية للتوبةوالرجوع ، وهذا هو عين ما يحدث كثيراً،إذ نرى أن « يسوع » أكثر رحمة ورقة ، وعطفاً ولطفاً من كنيسته ، على مر العصور والأجيال .

(ح) يمكن القول ، إنه من هذه الرسالة عينها ، يمكننا أن نستنتج ، أن إنكار حقيقية تجسد «يسوع» ، هو أخطر الخطايا المميتة بأسرها ، لأنها تكون دليلا ، على أن الذى ينكر هذه الحقيقة ، ضد للمسيح

(رسالة يوحنا الأولى ٤ : ٣) . وإن كانت هناك خطية ، يمكن اعتبارها خطية مميتة ، فإنها تكون هذه الخطية ، لكننا نعتقد ، أن هناك ما هو أكثر من ذلك .

جوهر الخطية

قبل كل شيء ، سنحاول أن نوضح ونؤكد ، مايعنيه هذا التعبير : « خطية للموت » . هذه هى الخطية التى تكون « پروس ثاناتون » بحسب النص اليونانى ، وهذا لا يعنى أنها الخطية المميتة ، وإنما الخطية التى تؤدى فى النهاية بالإنسان إلى الموت ، فهى الخطية التى غايتها ونهايتها هى الموت ، أى الخطية ، التى إذا استمر الإنسان فى ارتكابها ، فإنها حتماً ، ستنتهى به إلى الموت . والأمر الرهيب بالنسبة لهذه الخطية ، لا يتركز كثيراً فى نوعيتها ، وماهيتها هى فى حد ذاتها ، لكنه يتركز فيما سوف تنتهى إليه ، إذا ماتمسك الإنسان بها ، وأصر على ارتكابها .

ولا مراء فى أنه يوجد فى هذه الحياة ، فريقان من الخطاة . فهناك إنسان لا يرغب فى فعل الشر ، لكنه يجد نفسه مسوقاً إليه ، تحت تأثير عاطفة ضاغطة ، أو انفعال شديد ، لايستطيع مقاومته فى وقته ، وهكذا يخطىء هذا الإنسان مضطراً ، تحت ضغط لايقوى على مقاومته والصمود أمامه ، وهذه الخطية ، لا اختيار له فيها . لكن من ناحية أخرى ، يوجد الشخص ، الذى يخطىء بكامل حريته واختياره ، بكل برود ، وبعين مفتوحة واعية لكل مايدور حوله ، بل إنه يدبر مسبقاً لفعل الشر ، وهذا الشخص يخطىء ، رغم سبق تحذيره بأنه يسلك فى طريق خاطىء .

يوجد إنسان يكره الخطية التى يرتكبها ، فى نفس اللحظة التى يجرب بالسقوط فيها ، بينما يوجد شخص آخر ، يجد لذته فى فعل الشر ، ويحلو له

ارتكاب الخطية ، ولا يراوده أدنى شعور بأنها تجربة ، أو فعل ذميم ، ثم بعد ارتكابها ، لايخالجه أى إحساس بالندم . هناك الشخص الذى يخجل من خطيته التى ارتكبها ، ويبذل كل جهده لكى يخفيها ويداريها . وهو شاعر ومدرك تماماً ، أنه قد ارتكب إثما ، كما يوجد آخر ، يباهى بخطيته ، ويفخر بقدرته على التفنن فى فعل الشرور ، ولا يحس حتى بذرة واحدة من الخجل ، بل إنه يفكر فى ابتكار الوسائل ، التى بها يتمادى فى ارتكاب الخطية. نعم هناك من يحزن ، وتمتلىء نفسه بالكآبة الشديدة إذا ما أخطأ ، ومن الجانب الآخر ، يوجد من يسر بالإثم ، سروراً لا حدود له .

وهكذا نرى ، أن خبرة الحياة الأساسية ، تؤكد لنا بكل وضوح ، أن كلا من هذين الشخصين ، ربما يكون قد بدأ بنفس البداية ، وأنه ولاشك ارتعب وارتبك ، وهو يفعل الخطية لأول مرة فى حياته ، بل وربما يكون قد بذل جهداً إلى أن أتم فعلها ، ثم اعتراه بعد ذلك شعور طاغ ، بالندم والحزن الشديد ، لكن ، متى سمح لنفسه بالوقوع بعد ذلك ، فى فخ التجربة مرة أخرى ، فإن ارتكابه للخطية فى كل مرة ، سيكون أسهل عنده من المرة السابقة ، وهكذا ، إذا كان يهرب مرة بعد الأخرى ، من كل مايعقب الخطية من شعور بالأسف ، والندم ، وتأنيب الضمير ، فسوف يتناقص بعد ذلك شعوره بالندم ، فى كل مرة عن سابقتها ، إلى أن يأتى وقت ، لايحس فيه بأى توبيخ عندما يخطىء . وهذه هى الخطية التى تكون «خطية للموت » . وطالما كان الإنسان ، يحس فى أعماقه ، بحزن وندم على الخطية ، وكراهية لها ، بل وكراهية لنفسه بعد ارتكابها ، طالما كان هذا هو حال الإنسان . كان للتوبة عنده مكان ، لأنه لم يزل يدرك أنه يفعل إثما . وبالتالى يكون ممكناً أن ينال مثل هذا الإنسان ، الصفح والغفران . أما إذا فقد الإنسان الإحساس ، والشعور بالخوف من الخطية ، والندم عليها ، وإذا ما أصبح غير متحذر منها ،

وغير مترفع عنها ، فإن هذا الإنسان ، يكون ماضياً فى طريقه إلى الموت ، لأنه يكون سائراً فى طريق ، تؤدى به إلى نبذ فكرة التوبة نبذاً نهائياً ، بحيث لايعود يخطر بباله يوماً أن يرجع عن شره .

فالخطية التى للموت ، هى حالة الإنسان . الذى دأب على ارتكاب الخطية ، ورفض الإصغاء لصوت الله ، فأوصله هذا ، إلى حال أصبح معها يحب الخطية حبا جما ، ويعتبرها أعظم شىء فى العالم من وجهة نظره .

التأكيد المثلث

نَعْلَمُ أَنَّ كُلَّ مَنْ وُلِدَ مِنَ ٱللهِ لاَ يُخْطِىءُ بَلِ ٱلْمَوْلُودُ مِنَ ٱللهِ يَحْفَظُ نَفْسَهُ وَٱلشِّرِّيرُ لاَ يَمَسُّهُ . نَعْلَمُ أَنَّنَا نَحْنُ مِنَ ٱللهِ وَٱلْعَالَمَ كُلَّهُ قَدْ وُضِعَ فِى ٱلشِّرِّيرِ . وَنَعْلَمُ أَنَّ ٱبْنَ ٱللهِ قَدْ جَاءَ وَأَعْطَانَا بَصِيرَةً لِنَعْرِفَ ٱلْحَقَّ . وَنَحْنُ فِى ٱلْحَقِّ فِى ٱبْنِهِ يَسُوعَ ٱلْمَسِيحِ . هٰذَا هُوَ ٱلإِلٰهُ ٱلْحَقُّ وَٱلْحَيٰوةُ ٱلأَبَدِيَّةُ .

(رسالة يوحنا الأولى ٥ : ١٨ — ٢٠)

هاهو « يوحنا » يوشك أن يختم رسالته ، بحالة اليقين المسيحى المثلث :

١ — المسيحى قد تحرر من سلطان الخطية . وعلينا أن نتنبه جيداً ، إلى ما يعنيه هذا القول .فهو لا يعنى ، أن المسيحى قد أصبح بالفعل معصوما من الخطية ، لايفعلها البتة ، لكن هذا الكلام يفيد ، أنه لم يعد عبداً ذليلا ،

خاضعاً للخطية ، وضحية لها ، بلاحول ولاقوة ، وكما قال «بلمر» : «قد يخطئ المؤمن ، لكنه بطبيعته يقاوم الخطية» ، وهذا هو الفرق بين المسيحى والوثنى إن العالم الوثنى لم يكن يعرف غير الإنحلال الخلقى ، ولقد عرف ذلك العالم شرّه ، وتيقن أن هذا الشر هو قدَره الذى لامهرب منه ، «وسينيكا» الفيلسوف الشهير ، تحدث عن « ضعفنا فى الأمور الضرورية » . ، كما قال كذلك : إن الناس قد كرهوا شرورهم ، لكنهم عاجزون عن تركها ، والإقلاع عنها .. » و« پرسيوس » ، الناقد الرومانى المعروف ، فى إحدى روائعه يقول : « نتا » القذر ، شخص قضت عليه الخطية ، فلم يعد يحس بجرمها ، أو بما يفقده بسببها ، ولقد هوى إلى هوة سحيقة وتردّى فيها ، لدرجة أنه رقد فى العمق ، بلا حِسّ ولاحركة » .

لقد هزّت الخطية العالم الوثنى ، أما المسيحى ، فشخص لم يخسر المعركة ، ولا يمكن أن يخسرها بحال من الأحوال ، « ف . و . ه . ما يرز » يجرى على لسان « بولس » هذا الحوار :

« حسنا . . فلأ خطئ لكن بغير رضاى

« ولأمت . . . لكننى راغب فى الكمال

« وهل يمكن أن تكون هناك فجوة بين جسدى وروحى ؟ »

أما السبب فى ثبات المسيحى ، وعدم انهزامه ، فهو أنه « ولد من الله » ، وهذه الولادة هى التى تحفظه ، أو بتعبير آخر : « المسيحى لا ينهزم ، لأن يسوع «هو الذى يحفظه» ، أو على حدٍّ قول « وستكوت » : «إن المسيحى له خصم نشيط يقاومه ، لكن له أيضاً حارس واع يقظ . إن الوثنى إنسان قد هزمته الخطية ، وقبل هو من جانبه هذه الهزيمة ، أما المسيحى ، فهو

الشخص الذى حتى إذا أخطأ ، فإنه يرفض التسليم بحقيقة الهزيمة ، ويأبى الاستسلام ، أو كما قال أحدهم ، فى تعريفه للقديس : « ليس ، هو الشخص الذى لايخطىء البتة ، لكنه الإنسان الذى إن سقط ، سرعان مايقوم ، ليواصل جهاده فى طريق الإيمان » .

٢ – إن المسيحى يقف بجانب الله ضد العالم ، فالله هو مصدر وجودنا ، أما العالم فموضوع فى الشرير ، وفى عصر الكنيسة الأولى ، كان البون شاسعا ، والفرق جليا واضحاً ، بين الكنيسة والعالم ، أكثر بكثير مما هو الآن . فاليوم – فى الغرب على الأقل – يعيش الناس حضارة ، تعتمد أساساً على المبادىء المسيحية ، وحتى إن كان الناس قد أهملوا ، السير بما توجبه عليهم تلك المبادىء المسيحية ، إلا أننا نراهم يقبلون مبادىء الطهارة ، والرحمة ، والخدمة ، والمحبة ، بينما العالم القديم ، لم يكن يعرف شيئاً عن الطهارة ، مع أنه كان يعرف القليل عن الرحمة والخدمة والمحبة . ويقول « يوحنا » ، إن المسيحى يعرف أنه مع الله ، بينما العالم فى قبضة الشيطان . ولايهمنا فى شىء ، ماطرأ على العالم من تغيير ، إذ يبقى الإلتزام بالقطع برأى فاصل ، فى تحديد الجانب الذى يختاره الإنسان ، ولازال الإختيار قائماً أمام البشر ، أينحازون إلى جانب الله ، أم إلى جانب القوات المعادية له . وكما وضع « مايرز » فى فم بولس هذه الكلمات :

الشخص الذى أحس بروح القدير
لايمكنه المقاومة أو الشك أو التفكير
بل بصوت واحد يقول :
أيها العالم المنكر
تعال إلى هذا الجانب الذى أقف أنا فيه

٣ – المسيحى يعلم يقيناً ، أنه قد أصبح . داخل الحقيقة التى هى الله ، والحياة حافلة بالمتغيرات والتقلبات ، والإنسان بمفرده ، ليس فى وسعه غير الحدس والتخمين ، لكن المسيح ، يدخل الإنسان إلى داخل دائرة المعرفة والحقيقة . وقد سجل « كسنوفون » ، حواراً دار بين «سقراط» وواحد من الشبان ، نقتطف منه ما يلى :

سقراط : «كيف تعرف ذلك ؟ هل عرفته أم مجرد تخمين ؟ » .

الشاب : « أنا أخمن » .

– حَسناً . عندما ننتقل من التخمين إلى المعرفة ، هل نتحدث عنها عندئذ ؟ . . من أنا إذن ؟ . . ماهى الحياة ؟ . . ماهو الله ؟ . . متى جئت ، وإلى أين أنا ذاهب ؟ ما هو الحق . . وما هو الواجب ؟ .

هذه هى التساؤلات ، التى لا إجابة قاطعة لها ، عند البعيدين عن « يسوع المسيح » ، لكن فى المسيح ، نصل إلى الحقيقة التى هى الله ، وهكذا ينتهى عهد الحدس التخمين ، ويبدأ عهد المعرفة واليقين .

الخطر الدائم

أَيُّهَا ٱلْأَوْلَادُ ٱحْفَظُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ ٱلْأَصْنَامِ . آمين .

(رسالة يوحنا الأولى ٥ : ٢١)

١ – فى اليونانية ، الكلمة المترجمة « أصنام » ، تشير إلى كونها غير حقيقية ، وقد استخدم « أفلاطون » هذه الكلمة ، للتعبير عن عدم ثبات العالم ، بالنسبة للحقائق الأبدية الثابتة . والأنبياء عندما تحدثوا عن أصنام الوثنيين ، أشاروا إلى أن تلك الأصنام ، أشياء غير حقيقية ، وقالوا إنها آلهة

كاذبة ، بالنسبة للإله الواحد الحقيقى ، وهذا هو عين ماقاله « وستكوت » عند تصويره لهذه العبارة ، بقوله إنها تعنى : « احفظوا أنفسكم من كل أمور العبادة الكاذبة » .

٢ ــ الصنم هو أى شىء ، يعبده الناس فى هذه الحياة ، بدلا من الله ، ويضعونه فى مكانه (الله) فقد يجعل أحدهم أمواله صنما يتعبد له ، ويعتمد عليه ، ويبتهج به ، ويحرص عليه ، ومرة أخرى نقتبس من « وستكوت » قوله : « إن الصنم هو الشىء الذى نعطيه مكان الله فى حياتنا » . وعلى كل منا ، أن يحترز لئلا يكون فى حياته ، صنم يعبده بدلا من الله .

٣ ــ لكن يبدو أن « يوحنا » يقصد بالأصنام ، شيئاً آخر ، أكثر تحديداً ، من الأمرين اللذين سلف ذكرهما . فهذه الرسالة ، كتبها « يوحنا » فى أفسس ، وربما كان ذهنه عند كتابتها ، مشغولا بما كان يحدث هناك ، فقصد أن يقول لرعيته : « إحفظوا ذواتكم من التردى فى هوة العبادة الوثنية » ، لأنه لم تكن بين المدائن فى ذلك العصر ، مدينة تضارع أفسس ، فى افتخارها بآلهتها ، وتباهيها بأصنامها ، وتداول القصص القديمة عن تلك الأصنام . وقد كتب « تاسيتوس » عن أفسس فقال : « لقد أعلن الأفسسيون أن « ديانا » و« أبللو » لم يولدا فى دياوس ، كما كان يظن ، لكنهما كانا بمكان نبع كنخريا وسهل أرتيجى ، حيث كان « لاتونا » يستريح مستنداً إلى شجرة من أشجار الزيتون ، لازالت هناك ، وفى تلك البقعة ، ولد هذان الإلهان . وإلى هناك أيضاً ، هرب « أبوللو » ، بعد ما قتل « سيكلوب » ، تجنباً لغضب الإله « جوبيتر » وهناك أيضاً ، انتصر الأب « باخوس » ، وعفا عن عمالقة النساء اللائى كن قد شغلن مكانه زمناً » . وجميع القصص الخاصة بالآلهة القديمة ، كانت تدور وتتركز حول أفسس ، وكانت موضع إعجاب الأفسسيين ، ومادة لافتخارهم .

ثم كان فى أفسس كذلك ، معبد « ديانا » العظيم ، الذى كان واحداً من عجائب الدنيا السبع . وعلى الأقل ، كانت هناك ثلاثة أمور مختصة بهذا المعبد ، تبرر نصيحة « يوحنا » لشعبه ، بحفظ أنفسهم من الأصنام ، ومن العبادة الوثنية .

(ا) كان معبد ديانا مركزاً لممارسات غير أخلاقية ، وكان الكهنة خصيانا ، وقد قال بعضهم ، إن الإلهة « ديانا » ، كانت حزينة لعدم وجود رجل حقيقى بالقرب منها ، كما قال آخرون ، إن أحدا من الرجال ، لم يكن لينجو إذا هو إقترب منها . والفيلسوف العظيم « هيراكليتوس » ، كان واحداً من أهل أفسس ، وكانوا يسمونه « الفيلسوف الباكى » ، لأن البسمة لم تكن تشق طريقاً إلى شفتيه ، وقد قال هذا الفيلسوف ، إن الظلمة التى تغشى من يقترب من مذبح ذلك المعبد ، هى ظلمة الدناءة والوضاعة . لأن التصرفات غير الأخلاقية فى المعبد ، كانت أردأ وأدنى من تصرفات الوحوش ، لدرجة أن أهالى أفسس . لم يكونوا يصلحون ، إلا لأن يلقى بهم فى اليم ، وكان هذا هو سبب الحزن المفرط ، الذى كان يملأ نفس هذا الفيلسوف العظيم .

(ب) كانت لذلك المعبد — (معبد ديانا) — حرمته ، وكل من دخله ، كان يأمن على نفسه ، ولهذا كان القتلة والسفاحون يلجأون إليه ، حتى لا تمتد إليهم يد العدالة . وقد اتهم « تاسيتوس » أفسس ، بأنها تحمى المجرمين ، وتعتبر هذه الحماية عبادة تقدمها للآلهة ، وكان اللجوء إلى ذلك المعبد ، دليلا على أن هذا اللاجىء ، قد وصل إلى أحط دركات الإجرام والرذيلة ، وأن لجوءه إلى هناك ، هو السبيل إلى حصوله على السلامة والأمان .

(ح) كان معبد ديانا ، مركزاً لبيع وترويج « خطابات أفسس » ، وتلك كانت تعاويذ يلبسها الناس معتقدين أنها تسهل لهم تحقيق أمانيهم ، وكما قيل ، كانت أفسس على الدوام ، مدينة السحر والرقى ، والتعاويذ ، والتمائم . ولجوء الإنسان إلى معبد « ديانا » كان معناه ، أنه مرتبط من قريب أو بعيد بفنون السحر الأسود ، والإتجار بالممنوعات .

إنه لمن الصعوبة بمكان ، أن نتصور ، كيف كان معبد « ديانا » ، يتحكم فى مدينة أفسس ، ولم يكن سهلا . أن يحفظ المسيحى نفسه من الأصنام ، فى مثل تلك المدينة . لكن « يوحنا » ، طلب إلى المسيحيين أن يحفظوا أنفسهم من الأصنام ، وإنه لمن الواجب على المسيحى ، ألا يضع فى قلبه أى صنم ، يأخذ مكان الله ، لأن القلب هو الهيكل الذى يسكنه الله .

على المسيحى أن يحفظ نفسه ، فلا يتأثر بأى دين من الأديان الكاذبة ، وهو لايستطيع أن يفعل هذا إلا متى سار فى ركب المسيح .

رسائل يوحنا

الرسالتان الثانية والثالثة

مقدمة للرسالتين

إن قصر هاتين الرسالتين ، لهوُ أبلغ دليل على صحتهما ، فهما غاية في القصر ، كما أنهما بالمقارنة مع بقية أسفار العهد الجديد ، ليس لهما من الأهمية ، ما يدفع أحداً ، إلى تجشم مشقة كتابتهما ، ونسبتهما إلى « يوحنا » ، فكل منهما لاتملأ غير بردية واحدة ، لاتتجاوز عشر بوصات طولا ، وثمان عرضاً .

الشيخ :

كلٌّ من الرسالتين ، تتضمن القول ، إنها من الشيخ . فالرسالة الثانية تبدأ بالقول : « الشيخ إلى كيرية المختارة وأولادها» ، كما تبدأ الرسالة الثالثة بالقول : « الشيخ إلى غايس الحبيب » . ولا يهم هنا ، إن كان لقب « الشيخ » ، لقباً كنسيا أو رسميا ، لأن الشيوخ كانوا يخدمون فى نطاق الكنيسة المحلية ، ونشاطهم كان محصوراً فى دائرة الإجتماع ، الذى هم شيوخ فيه .

أما كاتب هاتين الرسالتين ، فيرى أن من حقه أن يتكلم ، وأن يكون لكلمته تقديرها واعتبارها ، فى الإجتماعات الأخرى ، فى أثناء غيابه عن تلك الإجتماعات . فهو يتكلم كإنسان له سلطان ، فى الكنيسة بوجه عام .

والكلمة اليونانية هى « پرسبتيرس » ، وهى تعنى رجلا كبيراً فى السن ، أو متقدماً فى المقام ، وليس من جهة مكانته ووظيفته الرسمية ، لكن بحسب

ماهو مستفاد من الكلمة بطبيعتها ،وبدلا من « الشيخ» ، يستحسن أن نترجمها إلى « القديم » ، أو المتقدم فى السن ، لأن كاتب هاتين الرسالتين ، لا يستمد سلطانه من الوظيفة التى يقوم بأعبائها فى الكنيسة ، وإنما يستمد هذا السلطان ، من سنه ، واختباره ، وخبراته ، وميزاته الشخصية .

ولقد كان فى الواقع ، فى مدينة أفسس ، رجل متقدم فى السن ، يدعى « يوحنا » . هذا الرجل كانت له مكانة مرموقة . وفى أيام الكنيسة الأولى ، وحوالى الفترة ما بين ٧٠ — ١٤٦ ميلادية ، كان هناك شخص يدعى « پاپياس » ، كان من عادته أن يجمع كل ما يقدر أن يجمعه من معلومات ، عن تاريخ الكنيسة الأولى . لكن لأن « پاپياس » هذا ، كان إنساناً محدود الذكاء ، ولأنه لم يكن من كبار الدارسين ، لم يشر إليه المؤرخ الكنسى الشهير « يوسابيوس » . إلا أن « پاپياس » نقل إلينا بعضاً من المعلومات الشائقة ، وقد صار أسقفاً فى هيراپوليس ، وكانت له علاقة وثيقة بأفسس ، وقد أخبرنا عن الطريقة التى كان يجمع بها معلوماته . وكثيراً ما كان يستخدم كلمة « شيخ » ، عند حديثه عن أى واحد من آباء الكنيسة ، وقد أشار بوجه خاص ، إلى شيخ يدعى « يوحنا » .

وقد كتب « پاپياس » يقول : « أنا لا أتردد فى أن أخبركم مع تفسيرى الخاص ، عن الأمور التى حدثت فى أى وقت ، عما تعلمته من الشيوخ ، وهذه الأمور ، لا زلت أذكرها جيداً ، وأقر بصحتها . ولم أكن أحب الجمهور ، كما لم يكن يعجبنى أولئك الذين دأبوا على الثرثرة ، بينما كنت أعجب أيما إعجاب ، بالذين يعلمون الحق ، ويقدمون وصايا الرب النابعة من الإيمان ، والمبنية على الحق عينه ، دون أولئك الذين كانوا يشيرون إلى وصايا وتعاليم غريبة . لهذا كنت إذا أتانى يوماً واحدٌ ممن كانوا من أتباع

الشيوخ ، كنت أسأله عما قاله الشيوخ ، « أندراوس » ، أو « بطرس » ، أو « فيلبس » ، أو « توما » ، أو يعقوب » أو « يوحنا » ، أو « متى » ، أو أى واحد آخر من تلاميذ الرب . أو كنت أسأله عما قاله « أرسطيون » أو « يوحنا الشيخ » . لأنى كنت أعتقد ، أن المعلومات التى أحصل عليها من مصادر حية أفضل بما لا يقاس ، من المعلومات التى أستقيها من الكتب .

وواضح أن « يوحنا الشيخ » ، أو « يوحنا المتقدم فى الأيام » ، كان من الشخصيات المتميزة فى أفسس ، مع أنه كان بغير شك شخصاً[1] آخر غير « يوحنا الرسول » . و « يوحنا » الشيخ هذا ، هو كاتب هاتين الرسالتين القصيرتين ، وقد كان فى ذلك الوقت ، رجلا تقدمت به السنون ، وهو يمثل إحدى الحلقات الأخيرة ، فى السلسلة التى تربطنا بيسوع المسيح وتلاميذه ، وكان له سلطانه كأسقف فى أفسس والدائرة المحيطة بها .

وعندما رأى كنيسته تواجه المتاعب . والتعاليم المنحرفة ، كتب لشعبه بروح المحبة والإعزاز ، لكى يرشدهم إلى الحق والصواب .

فهاتان الرسالتان ، كتبهما قديس امتد به العمر ، وهو واحد من رجال الجيل المسيحى الأول ، رجل أحبه الجميع ، واحترمه الجميع .

كاتب الرسالتين :

لا شك فى أن كاتب الرسالتين واحد ، كما أننا نجد فيهما عدداً من الخصائص المشتركة ، فهما قصيرتان ، والرسالة الثانية تبدأ بالقول : « الشيخ إلى كيرية المختارة وإلى أولادها الذين أنا أحبهم بالحق » ، كما تبدأ الرسالة

---

(١) هذا هو رأى مؤلف الكتاب .

الثالثة بالقول : « الشيخ إلى غايس الحبيب الذى أنا أحبه بالحق » . وكما نقرأ فى الرسالة الثانية ، قول الكاتب : « فرحت جداً لأنى وجدت من أولادك بعضاً سالكين فى الحق كما أخذنا وصية من عند الآب » ، ثم نقرأ أيضاً فى الرسالة عينها قول الكاتب فى (عدد ١٢) : « إذ كان لى كثير لأكتب إليكم . لم أرد أن يكون بورق وحبر ، لأنى أرجو أن آتى إليكم وأتكلم فما لفم لكى يكون فرحنا كاملا » ، هكذا أيضاً يختم الكاتب الرسالة الثالثة بقوله : « وكان لى كثير لأكتبه لكننى لست أريد أن أكتب إليكم بحبر وقلم » .

أى أن فى الرسالتين تشابهاً كبيراً ، كما يحتمل أن يكون هناك ارتباط كبير بينهما ، وبين المواقف التى تعالجها الرسالة الأولى من رسائل يوحنا . فى الرسالة الأولى نقرأ : « وكل روح لا يعترف بيسوع المسيح أنه قد جاء فى الجسد فليس من الله وهذا هو روح ضد المسيح الذى سمعتم أنه يأتى والآن هو فى العالم » ، وفى الرسالة الثانية نقرأ : « لأنه قد دخل إلى العالم مضلون كثيرون لا يعترفون بيسوع المسيح آتياً فى الجسد . هذا هو المضل والضد للمسيح » . (رسالة يوحنا الثانية ٧) .

وواضح أن الرسالتين الثانية والثالثة ، أكثر ارتباطاً إحداهما بالأخرى ، أنهما معاً ، مرتبطتان بالرسالة الأولى ، لأنهما تعالجان ذات المواقف ، وذات الأخطار ، وذات الشخصيات ، التى تعالجها الرسالة الأولى .

مشكلة الرسالة الثانية :

هاتان الرسالتان القصيرتان ، تضعاننا أمام بعض المشاكل القليلة ، التى لها خطورتها . والمشكلة الحقيقية الوحيدة ، هى البت فيما إذا كانت الرسالة الثانية ، موجهة إلى شخص أم إلى كنيسة . وفى ترجمة الكتاب المقدس

المعروفة بالـ (A. V.) ، تبدأ الرسالة الثانية بالقول : « الشيخ إلى السيدة المختارة وأولادها » ، والمشكلة تتركز فى هذه العبارة « السيدة المختارة » . وهناك ثلاث طرق لمعالجة هذا الموضوع :

١ — مع أنه لا يمكننا الجزم ، إلا أننا نستطيع أن نقول ، إن الكلمة اليونانية المترجمة « المختارة » ، هى « إلكتى » ، وهى اسم صحيح ، كما أن « كيرية » لقب محبب كان يطلق عليها . وكلمة « كيريوس » اليونانية ، فى صيغة المذكر ، لها عدة معان : فقد تعنى «سيد» ، سيداً الجماعة من العبيد ، ومالكاً لكثير من المقتنيات ، وإذا ما تدرجنا إلى مستوى أعلى من هذا ، نجدها تعنى « رب » ، وهو اللقب الذى غالباً ما يطلق على « يسوع » . وبإيجاز فإن هذه الكلمة لها استخدام خاص فى الرسائل ، فهى من الناحية العملية ، مرادفة لكلمة « عزيزى » ، فمثلا عندما يكتب أحد الجنود إلى أبيه قائلا أبى « العزيز » ، فإنه يستخدم كلمة « كيريوس » ، للتعبير عن لقب «العزيز» ، وهذا يصل بنا إلى القول ، إن « كيريوس » ، لقب يفيد معنى الإعزاز والتقدير .

وهكذا يمكن القول ، إن هذه الرسالة ، موجهة إلى « عزيزتى المختارة » ، والمفسر الشهير « رندل هاريس» ، يذهب إلى القول ، إن رسالة يوحنا الثانية ، رسالة محبة مسيحية ، وهذا قول بعيد الاحتمال ، لأن السبب الوحيد الذى بنى غليه هذا الاستنتاج ، ينفيه بصورة قاطعة ، ما نجده فى ختام الرسالة حيث نقرأ قول الكاتب : «يسلم عليك أولاد أختك المختارة» (رسالة يوحنا الثانية١٣)

والآن نكرر القول بأن الكلمة « إلكتى » فى النص اليونانى ، إن كانت اسما فى أول الرسالة ، لا بد وأن تكون اسما كذلك فى ختامها ، وإذا كان الأمر كذلك ، كان لزاماً علينا أن نعترف بوجود أختين ، كل منهما

كانت تدعى « إلكتى » ، وهو اسم غير مألوف ، ولا يمكننا بحال أن نقبل هذا الرأى .

٢ — فى عبارة «كيرية المختارة» ، يمكننا أن نعتبر «كيرية» إسما ، لأنه كان هناك كثيرون يحملون هذا الاسم ، كما أننا نستطيع أن نعتبر « المختارة » (إلكتى) ، صفة بحسب استخدامها المألوف فى العهد الجديد ، وهكذا تكون الرسالة موجهة إلى « كيرية المختارة » ، لكن هذا الرأى يواجه اعتراضات ثلاث :

(ا) هناك احتمال بعيد فى أن يشار إلى شخص بعينه ، على أنه محبوب من جميع الذين قد عرفوا الحق ، كما جاء فى العدد الأول .

(ب) فى العدد الرابع ، نقرأ أن « يوحنا » فرح جداً لأنه وجد من أولادها بعضاً سالكين فى الحق ، وهذا يفيد ضمناً أن البعض الآخر من هؤلاء الأولاد ، غير سالكين فى الحق ، ويبدو أن الإشارة هنا . هى إلى عدد أكبر ، مما يمكن أن تنجبه امرأة واحدة .

(حـ) الإعتراض الحاسم هو : أن « كيرية المختارة » فى بعض المواضع ، يشار إليها بصيغة المفرد ، وفى مواضع أخرى من الرسالة ، يشار إليها بصيغة الجمع . فمثلا فى أعداد ٤ و ٥ و ١٣ نجدها بصيغة المفرد ، بينما فى الأعداد ٦ ، ٨ ، ١٠ ، ١٢ ، يشار إليها بصيغة الجمع ، ومن غير المعقول أن شخصاً واحداً بمفرده ، يمكن أن يشار إليه بهذه الصورة .

٣ — وهكذا نستطيع أن نصل إلى القول ، إن « يوحنا » يستخدم عبارة « السيدة المختارة » ، للإشارة إلى كنيسة . ويوجد فى الحقيقة دليل قوى ، على

أن هذا التعبير ، كان شائع الإستخدام بهذا الوصف ، فرسالة بطرس الرسول الأولى ، تنتهى بتحيات من « (الكنيسة)[1] التى فى بابل المختارة معكم » ، وكلمة « كنيسة » ، مكتوبة بأحرف مائلة ، مما يدل على أنها ليست موجودة فى النص اليونانى ، وأنها وضعت فى هذه الترجمة ، لتفيد هذا المعنى.

وفى النص اليونانى نجد تلك العبارة تقول « تسلم عليكم التى فى بابل المختارة معكم » . والمختارة هنا فى صيغة المؤنث ، وقليلون هم الذين شكوا ، فى أن الكنيسة التى فى بابل ، هى المقصودة بهذا العدد ، وهذا هو المعنى الذى يجب أن نفهمه من رسالة يوحنا الثانية . ولا شك فى أن « السيدة المختارة » ، مبنية على الفكرة القائلة ، بأن الكنيسة هى عروس المسيح ، وبإمكاننا أن نتأكد من أن رسالة يوحنا الثانية ، مكتوبة إلى كنيسة وليست إلى شخص واحد بعينه .

مشكلة فى الكنيسة الأولى :

إن لرسالتى يوحنا الثانية والثالثة ، قدراً كبيراً من الأهمية ، كما أنهما من الرسائل الممتعة المشوقة ، لأنهما تلقيان كثيراً من الضوء على مشكلة ، كانت على وشك أن تثور فى مواجهة الكنيسة الأولى ، بعد فترة من الزمان . والآن دعونا نرى ما إذا كان بوسعنا أن نعيد تصور الوضع الذى دعا إلى كتابة هاتين الرسالتين .

واضح أن « يوحنا الشيخ » ، يشير إلى نفسه ، كمن له حق القيادة والتوجيه ، والتحذير ، فى الكنائس التى يشير إلى أعضائها على أنهم أولاده . ففى الرسالة الثانية ، يكتب عن أولئك الذين يسلكون فى الحق ، وهذا يشير

---

(١) انظر ترجمة الـ(A.V.)

ضمناً إلى أن آخرين لا يسلكون هكذا . فضلا عن ذلك ، يمضي إلى إيضاح أنه كان في تلك المنطقة ، معلمون متجولون ، بعضهم كان يقدم تعاليم كاذبة وخطيرة ، ثم يأمر بعدم قبول هؤلاء المعلمين أو استضافتهم (عدد ٧-١١) ، بعد ذلك نجده يمارس حقه في توجيه الكنائس ، فيطلب منهم أن يتنبهوا لمقاومة هؤلاء المعلمين الكذبة فور وصولهم .

والموقف المحيط بالرسالة الثالثة ، أكثر تعقيداً من الموقف المحيط بالرسالة الثانية ، لكن إلى حد ما . فالرسالة موجهة إلى شخص يدعى « غايس » ، وحياة هذا الشخص وأعماله ، موضع رضا « يوحنا » ، وإعجابه (عدد ٣ - ٥) وقد جاء إلى الكنيسة معلمون من المتجولين ، من شركاء الخدمة ، وحاملي رسالة الحق ، هؤلاء استضافهم « غايس » ، ورحب بهم ترحيباً مسيحياً حقيقياً (عدد ٦ — ٨) . وفي هذه الكنيسة شخص يدعى «ديوتريفس » ، يحب أن يكون الأول (عدد ٩) ، كما أنه كان مستبداً برأيه ، مع أنه ليس له أي سلطان . وقد رفض « ديوتريفس » هذا ، أن يمتثل لهؤلاء المعلمين المتجولين المنادين بالحق ، كما أنه حاول بالفعل ، أن يطرد من الكنيسة ، كل من رحب بهؤلاء المعلمين واستقبلهم ، مع أنه لم يكن محقاً في مقاومته لهؤلاء المعلمين الذين كانوا يكرزون حقاً بالكلمة (عدد ١٠) . بعد ذلك ، يظهر في المشهد شخص آخر يدعى « ديمتريوس » ، يذكر « يوحنا » أنه مشهود له من الجميع ، كما يقدم هو أيضاً عن « ديمتريوس » هذا ، شهادة شخصية ، فيذكر لنا أنه رجل يستحق الترحيب والإكرام (عدد ١٢) . وأبسط إشارة إلى « ديمتريوس » ، هي أنه رئيس لفريق المبشرين المتجولين ، الذين كانوا في طريقهم إلى الكنيسة ، التي كتب لها « يوحنا » رسالته .

ولا شك في أن « ديوتريفس » لم يكن ليقدم أي عون لهؤلاء المبشرين ،

كما أنه بالتأكيد ، كان سيطرد من الكنيسة ، كل من يقبلهم . و « يوحنا » يحث « غايس » ، على قبول هؤلاء المعلمين الجائلين ، دون أن يخشى شيئاً ، من بطش « ديوتريفس » واستبداده ، معلناً أنه عند حضوره لزيارة الكنيسة سوف يتصرف مع هذا المستبد . فالأمر كله منصب على الترحيب بالمعلمين الجائلين ، وكان « غايس » من قبل ، قد قبل بعضاً منهم ، وها هو « يوحنا » يحثه على أن يقبلهم مرة أخرى ، ويقبل رئيسهم « ديمتريوس » ، وكان « ديوتريفس » ، قد تحدى سلطان « يوحنا » ، ورفض قبولهم ، وأغلق الباب فى وجوههم .

الكرازة المثلثة الجوانب :

وقد كان هذا بالفعل وضعاً سيئاً للغاية ، أو أنه على الأقل ، كان وضعاً على وشك أن يظهر ، وبحسب طبيعة الأمور ، كانت هناك مشكلة خاصة بالخدمة ، على وشك الظهور فى الكنيسة ، وفى أيامها الأولى ، كان فى الكنيسة ثلاثة أنواع مختلفة من الخدمة . :

١ — أولا ، وبصفة متميزة ، كان هناك الرسل الذين رافقوا « يسوع » وشهدوا قيامته ، وكان هؤلاء بغير منازع ، قادة الكنيسة ، ولم يكن هناك أى اعتراض فى أى مكان ، على سلطانهم ، الذى كان معترفاً به فى الكنيسة كلها . وكل الناس فى كل مكان ، وفى كل قطر ، كانوا يخضعون لهذا السلطان السامى الرفيع ، الذى كان يتمتع به الرسل .

٢ — كان هناك أيضاً الأنبياء ، وهؤلاء كانوا ينتمون إلى الاجتماعات المحلية ، لكنهم كانوا وعاظاً جائلين ، يذهبون إلى حيث يقودهم الروح ، ويقدمون للناس ، الرسائل التى كان الروح القدس يعطيها لهم . وهؤلاء كانوا

قد تركوا بيوتهم وأعمالهم ، وضحوا براحتهم واستقرارهم، فى سبيل القيام بخدمة الله . كوعاظ جائلين . وفى كتاب « الديداكى » ، أو تعليم الرسل الإثنى عشر ، الكتاب الذى يتضمن نظام الكنيسة الأولى ، فى هذا الكتاب ، يبدو واضحاً لنا ، ما كان لهؤلاء الأنبياء من شأن ومركز رفيع ، وفى نظام خدمة « الأفخارستيا » ، نجد ترتيب الخدمة، وكيف كانت ترفع الصلوات، وتنتهى الخدمة بصلوات شكر ، مسجلة بالتفصيل فى هذا الكتاب (الديداكى)، ثم بعد ذلك ترد هذه العبارة : « لكن أعطوا الفرصة للأنبياء ، لكى يشكروا الله على قدر ما يرغبون » (انظر كتاب الديداكى ١٠ : ٧) . أى أن الأنبياء، لم تكن تسرى عليهم أحكام الترتيبات ، التى كان يتقيد بها الآخرون . وهكذا كان فى الكنيسة فريقان من الناس ، ممن كان لهم سلطان معترف به فى كافة الاجتماعات ، وهم الرسل والأنبياء .

٣ ــ النوع الثالث من الخدمة ، كان خدمة الشيوخ . وفى خلال الرحلة الأولى من الرحلات التبشيرية التى قام بها « بولس » ، و « برنابا » ، رسما شيوخاً فى كل كنيسة محلية من الكنائس التى قاما بتأسيسها ، وكان الشيوخ هم الموظفون بين الجماعات التى استتب لها الأمر ، وكانوا يقومون بالخدمة فى اجتماعاتهم فقط ، ولا يخدمون فى غيرها . أى أن الشيوخ لم يكونوا يتجولون، بل كانت خدمتهم مقصورة على مكان واحد لا يبرحونه ، ولذا كان الشيوخ هم العمود الفقرى فى الكنيسة الأولى ، وعلى عاتقهم ، كانت تقع مسئولية الخدمة الدورية ، كما كان يتوقف عليهم ، ثبات الاجتماع المحلى .

مشكلة الوعاظ الجوالين :

لم يكن فى وضع الرسل ، ما أفضى إلى قيام أية مشكلة حقيقية ، إذ كان لهم مركزهم الفريد ، الذى لا يدانيهم ، أو ينافسهم فيه أحد . وعلى النقيض من

ذلك ، كان وضع الوعاظ والأنبياء الجوالين ، الذى أثار مشكلة فى الكنيسة الأولى ، رغم كل ما كانوا يحظون به من تقدير واحترام. ولا شك فى أن كثيرين من الأشخاص غير المرغوب فيهم ، كان فى مقدورهم ، أن ينضووا تحت لواء هذا الفريق ، من الخدام الجوالين ، الذين كانت اجتماعاتهم المحلية ، تحمل عبء الإنفاق عليهم ، وأى محتال ذكى ، كان بوسعه أن يتخذ من خدمة التجوال أساساً لحياة رخية ، وهذا هو عين ما كان يعمله الدجالون الوثنيون . فالكاتب اليونانى « لوسيان » ، فى مؤلفه « البريجرينوس » ، قدم لنا صورة رجل استطاع التوصل إلى حياة يسودها الهناء ، دون القيام بأى عمل ، هذا الرجل كان دجالا متجولا ، لكنه كان فى بحبوحة من العيش ، لأنه كان يتجول فى اجتماعات المسيحيين ، وكان يقيم حيث تطيب له الإقامة ، على نفقة المسيحيين ، وكان هذا العمل سبة حتى فى نظر الوثنيين .

وقد تضمنت « الديداكى » ، عدة ترتيبات لتدارك هذا الخطر ، الذى كان يمثله هؤلاء المتجولون ، وهى ترتيبات طويلة ، لكنها تلقى ضوءاً عظيما على حياة الكنيسة الأولى ، مما يدعونا إلى الإشارة إليها بالتفصيل فيما يلى :

« كل من يأتى ويعلمكم بمثل ما سبق أن سمعتموه ، فهذا اقبلوه . أما إن جاءكم أحد ليضلكم بتعاليم أخرى ، فلا تقبلوه ، حتى إن كان قد سبق وقدم لكم من قبل التعاليم الصحيحة . ومن علمكم تعليما يقودكم إلى طريق النمو ، فى البر ومعرفة الله ، اقبلوه كالرب ، وكذلك اقبلوا كلا من الرسل والأنبياء الذين يعلمونكم ، بحسب الإنجيل . وكل من جاءكم من الرسل اقبلوه كالرب ، وليمكث عندكم يوماً واحداً ، أو يومين إن دعت الضرورة . لكن إذا مكث لديكم لمدة ثلاثة أيام ، اعتبروه نبياً كاذباً . وإذا ما انطلق الرسول من عندكم ، فلا تعطوه شيئاً ، غير قدر ضئيل من الطعام ، يكفى لمؤونته حتى يعود إلى

داره . وإذا ما طلب منكم نقوداً ، فاعلموا أن هذا نبي كاذب . لا تمتحنوا أى نبي يتكلم لكم بالروح ؛ لأن كل خطية تغفر ، إلا هذه الخطية ، لا غفران لها . وكل من يتكلم بالروح لا يكون نبياً ، إلا إذا كانت حياته وأعماله ، كحياة الرب وأعماله . ومن أعمالهم تعرفون ، إن كان الشخص نبياً حقيقياً أو كاذباً ، وأى نبي يأمر بإعداد مائدة وهو يتكلم بالروح ، ثم يجلس ويأكل منها ، هذا اعتبروه نبياً كاذباً . وكل نبي لا يعمل ، بما يعلم به بالروح ، يكون نبياً كاذباً . وكل من يقول لكم : « أعطونى نقوداً ، أو أى شيء آخر ، لا تسمعوا له . لكن إن طلب منكم أن تعطوا الآخرين ، ممن هم فى حاجة ، فلا تدينوه .

« كل من جاءكم باسم الرب ، فهذا اقبلوه ، ثم بعد ذلك سوف تعرفونه ، وسيعطى لكم أن تعرفوا ، كيف تميزون اليمين من اليسار . وإن كان القادم إليكم عابر سبيل ، ساعدوه بقدر الإمكان ؛ لكن لا تدعوه يمكث عندكم أكثر من يومين أو ثلاثة ، ما لم تكن هناك ضرورة تدعو إلى ذلك . لكن إن كان هو يرغب فى البقاء معكم ، إن كان صاحب حرفة ، فليعمل لكى يكسب عيشه ، أما إن أدركتم ، أنه لا حرفة له ولا عمل ، فإن كان مسيحياً قدموا له ما يحتاجه ، ودبروا له حتى لا يكون عاطلا بينكم ، فإن لم يفعل ذلك ، تحذروا منه ومن أمثاله ، لأنه يكون من المتاجرين بالدين » . (ديداكى ١١ ، ١٢) .

وحتى « الديداكى » ، ابتكرت كلمة « المتجر بالمسيح » ، ولقبت بها مثل هذا الإنسان ، وكل الفصل السابق ، الذى نقلناه عن « الديداكى » ، يظهر لنا بوضوح ، أن هؤلاء المعلمين المتجولين ، كانوا هم المشكلة الحقيقية . وكان « يوحنا » معذوراً كل العذر ، عندما نبه رعيته ، إلى أن الأنبياء الكذبة ،

هم الذين يأتون إليهم ، طالبين منهم أن يستضيفوهم . كما أنه كان له ، ما يبرر مطالبته للشعب ، بعدم قبول مثل أولئك المتطفلين ، من المتجرين بالدين ، ولا شك فى أن هؤلاء كانوا مشكلة واجهت الكنيسة الأولى . وبعضهم كانوا معلمين منحرفين ، حتى ولو كانوا مقتنعين تمام الاقتناع ، بصحة ما كانوا يقدمونه من تعاليم ، كما أن بعضهم الآخر ، لم يكونوا سوى محتالين ، أذكياء ، مرائين ، وجدوا أن هذه هى أفضل وسيلة لحياة الدعة . هذه هى الصورة التى تقف وراء رسالة يوحنا الثانية .

تعارض الخدمات :

أما الوضع بالنيسبة لرسالة يوحنا الثالثة ، فهو من بعض الوجوه ، أكثر خطورة . فديوتريفس هو لب المشكلة ، فهو الرجل الذى لا يريد أن يقبل المعلمين الجوالين ، وقد أغلق الباب فى وجوههم ، كما أنه كان يعاقب كل من يجرؤ على قبول واحد منهم ، أو الترحيب به : وهو كذلك لا يعترف بسلطان « يوحنا » ، ويصفه « يوحنا » بأنه شخص مستبد ، وفى هذا الكثير مما لا تراه العين المجردة . ولم يكن الحادث فى تلك الكنيسة « زوبعة فى فنجان » ، لكنه كان انقساماً أساسياً ، كما أنه كان يمثل تصادماً ، بين الخدام المحليين والخدام المتجولين .

ومعنى هذا ، أن استمرار وجود الكنيسة وبقاءها ذاته ، كان يتوقف على وجود شيوخ أقوياء لهم سلطانهم ، لكن بمضى الزمن ، تطلب الأمر تدخلا إدارياً من شخص له مكانته وشهرته هو «يوحنا» ، واضطرت إلى مواجهة امتعاض ، ومضايقات ، ومهاجمات ، من الأنبياء والمعلمين المتجولين ، ومهما كان ماحازه هؤلاء ، من سمعة طيبة وصيت حسن ، إلا أن ضررهم ،

كان أكثر من نفعهم ، بالنسبة للكنيسة المحلية . هذا هو الوضع الذى تعالجه رسالة يوحنا الثالثة .

فيوحنا يمثل السلطان الرسولى ، بينما « ديمتريوس » ورفاقه ، يمثلون الأنبياء والوعاظ المتجولين ، بينما « ديوتريفس » ، يمثل الخدمة المحلية المستقرة ، والشيوخ المحليين ، الذين يرغبون فى مواصلة الخدمة ، فى الاجتماع المحلى ، دون أن يضايقهم هؤلاء المتجولون ، الذين كانوا يعتبرونهم طفيليين خطرين . و « غايس » ، يمثل الإنسان الطيب ، الذى لا يستطيع أن يستقر على رأى ، لترجيح إحدى وجهات النظر عن غيرها .

ولا نعرف ما انتهى إليه الوضع بالنسبة لهذه الحالة ، لكن الأمر انتهى باختفاء المعلمين المتجولين من المشهد . وكان الرسل كبشر ، قد انتقلوا إلى الرفيق الأعلى ، وانتقل التدبير والخدمة ، إلى الكنيسة ، التى أصبحت مقاليدها فى يدها ، بعد ما استتب لها الأمر . وحتى الآن ، ما يزال المعلمون الجائلون ، مشكلة قائمة بغير حل .

وهاتان الرسالتان القصيرتان ، تتميزان بسحر طاغ ، وجاذبية آسرة ، لأنهما تقدمان لنا ، صورة للنظام الذى كانت ، تسير عليه الكنيسة ، فى تلك الفترة الإنتقالية من تاريخها ، تلك الفترة التى حدث فيها الصدام ، بين الخدام المحليين ، والخدام الجائلين .

ومن ذا الذى يعرف ؟ إن « ديوتريفس » ، لم يكن يمثل تلك الصورة الشوهاء ، التى ارتسمت له فى أذهاننا ، كما أنه لم يكن مخطئاً على طول الخط

رسالة يوحنا الثانية

ٱلشَّيْخُ إِلَى كِيرِيَّةَ ٱلْمُخْتَارَةِ وَإِلَى أَوْلاَدِهَا ٱلَّذِينَ أَنَا أُحِبُّهُمْ بِالْحَقِّ وَلَسْتُ أَنَا فَقَطْ بَلْ أَيْضاً جَمِيعُ ٱلَّذِينَ قَدْ عَرَفُوا ٱلْحَقَّ مِنْ أَجْلِ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِي يَثْبُتُ فِينَا وَسَيَكُونُ مَعَنَا إِلَى ٱلْأَبَدِ . تَكُونُ مَعَكُمْ نِعْمَةٌ وَرَحْمَةٌ وَسَلاَمٌ مِنَ اللهِ ٱلْآبِ وَمِنَ ٱلرَّبِّ يَسُوعَ ٱلْمَسِيحِ ٱبْنِ ٱلْآبِ بِٱلْحَقِّ وَٱلْمَحَبَّةِ .

(رسالة يوحنا الثانية ١ – ٣)

كاتب هذه الرسالة ، يدعو نفسه « الشيخ » ، وكلمة شيخ تحتمل ثلاث معان :

١ – يمكن أن يكون معناها ببساطة ، إنسانا تقدمت به السن ، ولما حصله من خبرة خلال سنى عمره الطويل ، إستوجب التقدير والاحترام ، وربما تضمنت هذه الفقرة شيئاً من هذا المعنى . فالرسالة من خادم شيخ ، من خدام المسيح وكنيسته ، وهذا الخادم شبعان أياما ، وله كرامته .

٢ – الشيوخ فى العهد الجديد ، موظفون فى الكنائس ، وهم المتقدمون ، عن باقى العاملين فى هذه الكنائس . وقد رسم « بولس » شيوخاً فى خلال الرحلات التبشيرية التى قام بها (أعمال الرسل ١٤ : ٢١ – ٢٥) . لكن كلمة

شيخ المستخدمة هنا ، لها معنى آخر مختلف ، لأن أولئك الشيوخ كما أسلفنا ، خدام محليون ، ولا سلطان لهم فى غير الكنائس التى يخدمون فيها . أماشيخنا هذا (يوحنا) ، فله سلطان معترف به فى دائرة أوسع ، وهاهو يعلن أن من حقه ، أن ينصح ، ويحذر ، ويلوم ، أناساً فى إجتماعات أخرى ، فى أماكن أخرى ، رغم كونه ليس عضواً فيها .

٣ — بكل تأكيد ، هذه الرسالة كتبت فى أفسس ، فى مقاطعة آسيا الصغرى ، وفى الكنيسة فى آسيا ، كلمة « شيخ » ، كان لها مدلول خاص ، ولم تكن تستخدم بهذا المفهوم الخاص ، فى غير هذا الإقليم . وكان الشيوخ أناسا تتلمذوا على رسل المسيح . « وپاپياس » ، « وايرينايوس » ، اللذان عاشا ، وعملا ، وكتبا ، فى آسيا الصغرى ، يخبراننا أنهما أخذا عن هؤلاء الرجال ، كل ماسجلاه من أخبار وحقائق ومعلومات . أى أن هؤلاء الشيوخ ، كانوا همزة الوصل ، بين الجيل الثانى من المسيحيين ، وبين أتباع المسيح الذين تبعوه فى أيام جسده ، وهذا هو السبب ، فيما كان لهم من سلطان .

ولاشك فى أن كلمة « شيخ » ، مستخدمة هنا بهذا المفهوم . فكاتب الرسالة ، يعتبر حلقة من الحلقات الأخيرة ، التى تتصل مباشرة بيسوع المسيح ، وكان هذا هو الأساس الذى استند إليه « يوحنا » ، فى إثبات أحقيته فى النصح والتوجيه .

وفى مقدمة هذه الرسالة ، أشرنا إلى أن عبارة « السيدة المختارة » ، تمثل مشكلة ، وهناك رأيان حول هذا الموضوع :

١ — هناك فريق يقول ، إن هذه الرسالة ، رسالة شخصية مكتوبة إلى فرد علم ، وهذه العبارة فى الأصل اليونانى (إلكت كيرية) ، وهى صيغة

المذكر من الصفة ، وهى صيغة مألوفة ، للقب من ألقاب الإحترام والتبجيل ، وفى هذه الحالة ، تكون الرسالة موجهة إلى : « عزيزتى المختارة » . فضلا عن هذا ، يمكن أن تكون « كيرية » إسما ، وفى هذه الحالة تكون « إلكت » صفة ، وهكذا يمكن أن تكون الرسالة موجهة إلى سيدة تدعى « كيرية المختارة » . وإذا كانت هذه الرسالة موجهة إلى شخص بعينه ، بأى شكل من الأشكال ، فإنه لايبدو أن أيا من الكلمتين إسم صحيح . وفى الترجمة المعروفة بالـ (A. V.) نجد الرسالة موجهة إلى « السيدة المختارة » ، وقد كثر الجدل حول من تكون هذه السيدة المختارة .

(ا) بعضهم قال ، إن السيدة المختارة ، ليست سوى السيدة « مريم العذراء » ، التى كانت أما ليوحنا ، والتى كان « يوحنا » ، إبنا لها (بشارة يوحنا ١٩ : ٢٦ و ٢٧) . وأى رسالة شخصية يكتبها « يوحنا » ، لابد وأن تكون موجهة إليها .

(ب) « كيريوس » فى اليونانية معناها « سيد » ، « وكيرية » كإسم صحيح معناها « سيدة » ، وفى اللاتينية « دومينا » تفيد نفس المعنى ، وكذلك كلمة « مرثا » فى الآرامية . وكل واحدة من هذه الكلمات معناها « سيدة » ، وقد أدى هذا بالبعض إلى القول بأن رسالة يوحنا الثانية ، ليست موجهة لأحد ، سوى « مرثا » سيدة بيت عنيا .

٢ ــ لكن الأصح ، هو الرأى القائل ، بأن الرسالة موجهة إلى كنيسة ، كل أعضائها على مايبدو ، يحبون أن يعرفوا الحق (عدد ١) . وعدد (٤) يقول إن بعضنا منهم يسلك فى الحق ، وفى الأعداد (٤ و ٨ و ١٠ و ١٢) ، كلمة

« أنت » ، واردة بصيغة الجمع ، وهذا يؤيد صحة الرأى القائل ، بأن الرسالة ليست موجهة إلى شخص معين ، وإنما إلى كنيسة .

وختاما نشير إلى أن « بطرس » يستخدم نفس العبارة : « السيدةالمختارة » ، بصيغة المؤنث . عندما يبلغ الذين كتب إليهم رسالته ، تحيات «التى فى بابل المختارة » (رسالة بطرس الأولى ٥ : ١٣) .

وهكذا يبدو أن هذه الصعوبة مقصودة . فكاتب الرسالة ، هو الذى قصد أن يعنونها بهذ ا العنوان ، لأنه كان يكتبها ، فى عصر ، كان من الممكن أن تواجه فيه الكنيسة الإضطهاد فى أية لحظة ، ولو أنها وقعت فى يد أحد غير صاحبها ، فإنها حتما ستسبب له الكثير من المتاعب ، لهذا قصد كاتبها ، أن تبقى هوية المرسل إليه ، وشخصيته ، مجهولة للذين هم من خارج الكنيسة ، ولا ريب فى أن الكنيسة وأعضاءها ، كانوا يعرفون تماماً ، شخصية المرسل إليه . فالذى من خارج الكنيسة ، يعتبر هذه الرسالة ،رسالة شخصيه من صديق إلى صديقه ، وربما كان العنوان فى حقيقته ، محاولةذكية للتمويه ، وتضليل أى عدو ، قد تقع الرسالة فى يده ،وإذا كان الأمر كذلك، تكون الصعوبة التى تواجهنا ، هى تحديد الكنيسة أو الشخص ، الموجهة إليه هذه الرسالة ، وهذه الصعوبة لا تزيد عن أن تكون ، دليلا على ذكاء«يوحنا» ومهارته .

المحبة والحق

إنه لمن الشائق والممتع ، أن نرى كيف ترتبط المحبة والحق معاً ، فى هذه الفقرة ، إرتباطاً لاتنفصم عراه . فكاتب الرسالة « الشيخ » ، يحب السيدة المختارة ، وأنه بسبب الحق ، يحب الكنيسة ويكتب لها . وفى المسيحية

شيئان : نتعلمهما عن المحبة ، هذان الشيئان هما : أنه فى الحق المسيحى وحده. يمكننا أن نحب كما ينبغى .

١ ــ الحق المسيحى . يرينا كيف ينبغى أن نحب . وعلينا دائماً أن نتذكر : أن « أجاپى » فى اليونانية ، هى الكلمة التى تعبر عن المحبة المسيحية . فهذه المحبة ليست إشفاقا بأى حال من الأحوال ، سواء فى حالة المد أو الجزر . كما أنها ليست نوعاً من التسامح ، الناجم عن أى إنفعال عاطفى . فالمحبة ليست شيئاً نناله أو نمارسه ، لكنها ود لايخيب . إنه موقفنا من الآخرين ، ذلك الموقف الذى لايتأثر بما يفعلونه هم معنا ، ولايحس بأى سخط أو مرارة من نحوهم ؛ بل دائماً يطلب لهم أسمى الأمور .

هناك محبة تطلب أن تمتلك ، كما توجد محبة تسبب الضعف والوهن ، وتلهى الإنسان عن المعركة ، كما توجد محبة تعصب عينيه . فلا يرى الأخطار أو السقطات ، أو الطرق التى تؤدى إلى الدمار والخراب .

أما المحبة المسيحية ، فعلى الدوام ، تبحث للآخرين عن أسمى أنواع الخير ، وتتقبل برحابة صدر ، كل المصاعب والمتاعب والمشاكل ، وكل مايتطلبه هذا البحث من جهد ومشقة . وإنه لمن الأهمية بمكان ، أن يكتب « يوحنا » ، ويحذر فى المحبة .

٢ ــ الحق المسيحى يخبرنا عن سبب الإلتزام المسيحى بالمحبة . ففى رسالة يوحنا الأولى ، يوضح الكاتب هذا الإلتزام . فقد تحدث عن التضحية والألم والمعاناة ، وعن محبة الله القوية ، التى لاتصدق ، فيقول : « أيها الأحباء ، إن كان الله قد أحبنا بهذه الصورة ، فنحن أيضاً ، علينا أن نحب بعضنا بعضاً بنفس الصورة » (رسالة يوحنا الأولى ٤ : ١١) . فالمسيحى يجب أن يحب ،

لأن الله قد أحبه ، ولا يمكن أن يقبل المسيحى محبة الله ، ولا يظهر حبه نحو الآخرين الذين أحبهم الله . محبة الله للإنسان ، تضعه تحت التزام لا مهرب منه ، بأن يحب غيره . فلأن الله يحبنا ، علينا أن نحب الآخرين ، محبة مضحية سخية ، كتلك المحبة التى أظهرها الله نحونا .

وقبل الإنتقال إلى فقرة أخرى ، علينا أن نلاحظ هذا . « يوحنا » يبدأ هذه الرسالة بقوله : « تكون معكم نعمة ورحمة وسلام » ؛ وهذه تحية غير مألوفة : فنى رسائل العهد الجديد الأخرى ، نجد التحية عبارة عن أمنية ، أو صلاة ، أو طلبة ، فبولس إعتاد أن يكتب : « لتكن لكم النعمة والسلام » ، كما يقول « بطرس » : « لتكثر لكم النعمة والسلام » (رسالة بطرس الأولى ١ : ٢) ، كما يقول « يهوذا » فى رسالته : « لتكثر لكم الرحمة والسلام » . (رسالة يهوذا ٢) ، وفى كل من هذه الحالات ، نجد التحية لاتخرج عن أن تكون أمنية أو طلبة أوصلاة . أما التحية فى رسالة يوحنا الثانية هذه ، فإنها مختلفة ، لأنها إعلان أو بيان : « تكون معكم نعمة ورحمة وسلام » ، وهذا يعبر عن اليقين الذى كان عند « يوحنا » ، من جهة هبات نعمة الله فى « المسيح يسوع » ، ولهذا فهو لا يقدم طلبة لكى يقبل أصدقاؤه هذه العطايا ، فضلا عن أنه يؤكد أن أصدقاءه سوف ينالونها ، وهنا نجد الإيمان الذى لا يرتاب البتة ، فى مواعيد الله ، فى « المسيح يسوع » .

الأزمة والعلاج

فَرِحْتُ جِدًّا لأَنِّى وَجَدْتُ مِنْ أَوْلاَدِكِ بَعْضًا سَالِكِينَ فِى الْحَقِّ كَمَا أَخَذْنَا وَصِيَّةً مِنَ الْآبِ . وَالْآنَ أَطْلُبُ مِنْكِ

يَا كِيرِيَّةُ لاَ كَأَنِّى أَكْتُبُ إِلَيْكِ وَصِيَّةً جَدِيدَةً بَلِ ٱلَّتِى كَانَتْ عِنْدَنَا مِنَ ٱلْبَدْءِ أَنْ يُحِبَّ بَعْضُنَا بَعْضاً . وَهٰذِهِ هِىَ ٱلْمَحَبَّةُ أَنْ نَسْلُكَ بِحَسَبِ وَصَايَاه . هٰذِهِ هِىَ ٱلْوَصِيَّةُ كَمَا سَمِعْتُمْ مِنَ ٱلْبَدْءِ أَنْ تَسْلُكُوا فِيهَا .

(رسالة يوحنا الثانية ٤ – ٦)

كانت فى الكنيسة التى كتب إليها « يوحنا » هذه الرسالة ، أمور أثلجت صدره ، كما كانت فيها ، أمور أخرى أحزنته . أما الذى أثلج صدره ، فهو أن بعضا من أعضاء هذه الكنيسة ، يسلكون فى الحق ، وهذا يعنى ضمناً ، أن البعض الآخر ، لا يسلك فى الحق ، أو بمعنى آخر ، كان فى تلك الكنيسة انقسام ، إذ كان فيها أناس يسلكون طريقاً آخر مغايرا لطريق الحق ، وكان هذا هو الذى أحزن قلب « يوحنا » . وكان لدى « يوحنا » علاج واحد لكل المشاكل ، هذا العلاج هو المحبة ، وهو علاج ليس جديداً ، كما أنه لايقدم لهم وصية جديدة ، لكنه كان يقدم لهم كلمات « يسوع » : « وصية جديدة أنا أعطيكم أن تحبوا بعضكم بعضا كما أحببتكم أنا . تحبون أنتم بعضكم بعضا » ، « بهذا يعرف الجميع أنكم تلاميذى إن كان لكم حب بعضا لبعض » (بشارة يوحنا ١٣ : ٣٤ و ٣٥) . المحبة هى العلاج الوحيد ، لإعادة كل العلاقات المقطوعة ، فاللوم ، والتجريح والنقد ، لاتؤدى إلا إلى إثارة العداوة والشحناء . وبالجدل ، والمناقشة ، قد تتسع الفجوة ، بينما هذه المحبة ، هى الشىء الوحيد ، الذى يسد الفجوة ، ويعيد المياه إلى مجاريها بين المتخاصمين .

ويحتمل أن « يوحنا » رأى ، أن أولئك الذين سلكوا الطريق الخاطىء ، قد يقولون : « إننا فعلا نحب الله » ، وهنا نجد « يوحنا » ، قد اتجه بفكره على الفور ، إلى قول آخر نطق به « يسوع » : « إن كنتم تحبوننى فاحفظوا وصاياى » (بشارة يوحنا ١٤ : ١٥) . وكانت وصية « يسوع » العملية هى ، أن كل واحد منا ، يجب أن يحب الآخر ، وأنه لهذا السبب ، كل من لا يحفظ هذه الوصية ، يكون كاذبا فى إدعائه بأنه يحب الله ، لأن محبة الإخوة ، هى الدليل الوحيد ، على أننا نحب الله بالحق . ويقول « يوحنا » ، إن هذه هى الوصية التى سمعناها منذ البدء ، والتى علينا أن نسلك فيها . وكلما تقدمنا ، لن نجد لهذا أى جانب آخر ، كما أننا لن نرى أى انفعال عاطفى ، فى موقف « يوحنا » ، من أولئك الذين كانوا يصدون الآخرين عن الحق ، وإنه لمن الأهمية بمكان ، أن نلاحظ أن المحبة ، هى العلاج الوحيد الناجع ، لكل مشاكل الكنيسة :

الخطر الداهم

لِأَنَّهُ قَدْ دَخَلَ إِلَى ٱلْعَالَمِ مُضِلُّونَ كَثِيرُونَ لاَ يَعْتَرِفُونَ بِيَسُوعَ ٱلْمَسِيحِ آتِياً فِى ٱلْجَسَدِ . هٰذَا هُوَ ٱلْمُضِلُّ وَالضِّدُّ لِلْمَسِيحِ . اُنْظُرُوا إِلَى أَنْفُسِكُمْ لِئَلاَّ نُضَيِّعَ مَا عَمِلْنَاه بَلْ نَنَالُ أَجْراً تَامًّا . كُلُّ مَنْ تَعدَّى وَلَمْ يَثْبُتْ فِى تَعْلِيمِ ٱلْمَسِيحِ فَلَيْسَ لَهُ ٱللهُ . وَمَنْ يَثْبُتْ فِى تَعْلِيمِ ٱلْمَسِيحِ فَهٰذَا لَهُ ٱلآب وَٱلِابْنُ جَمِيعاً .

(رسالة يوحنا الثانية ٧ — ٩)

من قبل ، وفى رسالة يوحنا الأولى ، كان « يوحنا » يشير إلى الهراطقة الذين أنكروا حقيقية التجسد . ففى (رسالة يوحنا الأولى ٤ : ٢) ، فى النص اليونانى ، نجد أن « يسوع » قد جاء فى الجسد ، وإسم الفاعل هنا يرد فى الزمن الماضى ، وفيه نجد تنبيرا على واقعة التجسد ، التى تمت فى الماضى ، لكن هنا ، نلاحظ بعض التغيير ، لأن إسم الفاعل فى هذه الفقرة (رسالة يوحنا الثانية ٧ — ٩) ، يأتى فى المضارع ، والترجمة الحرفية له تفيد أن « يسوع » سيأتى ، أو أنه آت فى الجسد ، وهذا قد يفيد أحد المعنيين التاليين :

١ — قد يعنى أن « يسوع » يأتى فى الجسد بصفة دائمة ، وأن فى التجسد نوعا من الإستمرار ، وأن هذا التجسد ليس حدثاً قد وقع وانتهى أمره ، بانقضاء الفترة التى عاشها « يسوع » ، فى أرض فلسطين ، لكنه حقيقة دائمة ، وأن هذا التجسد فى حقيقته ، لا يقتصر على زمن معين . وهذه فى الحقيقة فكرة رائعة ، إذ نرى الله فى يسوع المسيح ، يتدخل بصورة دائمة ومستمرة فى الوضع البشرى ، والحياة البشرية .

٢ — قد يكون هذا إشارة إلى مجىء المسيح الثانى ، كما أنه قد يعنى ، أن المسيح سوف يأتى ثانية فى الجسد ، كما أنها قد تفيد ، أن الكنيسة الأولى ، كانت تعتقد أن المسيح لابد وأن يأتى ثانية ، فى جسد ممجد كما جاء من قبل فى جسد التواضع . وهذه أيضاً فكرة رائعة وعظيمة ، لكن « تشارلس هـ . دد » على حق فى قوله ، إن كاتبا يونانياً متأخرا كيوحنا ، لم يكن يعرف اليونانية كما يعرفها الآن أحد الأدباء الكلاسيكيين ، ولهذا علينا ألا نركز كل هذا التركيز ، على أزمنة الأفعال ، وأن علينا أن نفهم ، أن « يوحنا » كان يقصد عين ماهو مقصود فى رسالة يوحنا الأولى (٤ : ٢) ، وأن هؤلاء

المضلين ، ينكرون حقيقية التجسد ، ولهذا فهم ينكرون إمكانية دخول الله دخولا كاملا ، إلى الحياة البشرية .

وإنه لمن الأهمية بمكان ، أن نلاحظ كيف تمسك كبار رجال الفكر المسيحى بحقيقية التجسد . ففى القرن الثانى كان « إغناطيوس » دائماً ، ينبر بشدة على أن يسوع ولد حقاً ، وأنه صار إنساناً حقاً، وتألم حقاً ، ومات حقاً، وكأنما الكلمات « حقاً » ، كانت تكتب فى كل مرة بأحرف ماثلة ، وبالحبر الأحمر ، وموضوعا تحتها خط . ودكتور « فنسنت تيلور » ، فى كتابه عن « شخص المسيح » ، يبسط لنا عرضين كبيرين للتجسد ، كما قال « مارتن لوثر » عن المسيح : « إنه أكل وشرب ونام واستيقظ ، واضطرب وحزن وابتهج ، وبكى وضحك: عرف الجوع ، واختبر العطش ، وسالت قطرات العرق من جبينه ، كما أنه تعب وصلى ، لدرجة أنه لم يكن يختلف عن البشر فى شىء ، سوى فى أنه كان إلها وبلاخطية . « وإميل برونر » يورد تلك الفقرة ، ثم يواصل القول : « إن ابن الله الذى نقدر أن نؤمن به ، مثلنا بالتمام ، لدرجة أننا لانستطيع أن نميزه عن أى إنسان عادى » .

ولو أن الله لم يتمكن من الدخول إلى الحياة البشرية ، إلا فى صورة شبح لاجسم له ، فإن الجسد عندئذ سيكون مرذولا إلى الأبد ، كما أنه لن تكون هناك صلة حقيقية ، بين الله والإنسان ، وأنه بالتالى لن يكون هناك خلاص حقيقى ، لأن المسيح صار مثلنا ، لكى نصبح نحن مثله .

وفى عددى (٨ و ٩) ، نسمع بين أقوال « يوحنا » وكلماته ، إدعاءات أولئك المعلمين الكذبة . إنهم يدعون أنهم يعملون على تطوير المسيحية ، ويشرحونها بتعبيرات وطرق أفضل ، وأنهم قد توصلوا إلى إكتشاف معانيها الحقيقية ، بينما يصر « يوحنا » ، على أن أولئك يعملون

على تخريب المسيحية ، ويدمرون الأساس الذى ترتكز عليه ، والذى وضع وتأسس عليه ، كل شيء فى المسيحية .

وعدد (٩) من الأعداد الهامة الممتعة ، وقد ترجمنا العبارة الأولى من هذا العدد إلى : « كل من يبتعد كثيراً » ، والكلمة اليونانية هى « بروجون » ، والفعل منها يعنى الذى يواصل السير فى هذا الإتجاه . فالمعلمون الكذبة اعتبروا أنفسهم تقدميين ، وأنهم هم المفكرون العصريون ، أصحاب العقول المتفتحة ، والأفكار الخلاقة .

ولقد كان « يوحنا » نفسه ، واحداً من أعظم المفكرين المجددين والمبتكرين فى العهد الجديد ، لكنه مع هذا ، يصر على أنه إذا كان أى واحد ينمو فى النعمة ، ويتطور فى التفكير ، فإن عليه أن يثبت فى تعليم المسيح ، وإلا ، فإنه يفقد صلته بالله ، وهنا إذن تكمن الحقيقة العظمى . إن « يوحنا » لا يتهم أصحاب الفكر المتطور ، كما أنه لا يقول ، إن العقيدة المسيحية يجب أن تكون شيئاً متحجراً وجامداً ، لا يقبل أى تطور ، لكنه يقول ، إن « يسوع المسيح » ، يجب أن يكون محك الإختبار ، أو حجر الإمتحان ، وكل فكر يبتعد عن المسيح ، لا يمكن أن يكون فكراً صحيحاً . وكأنما « يوحنا » يقول لهؤلاء : « فكروا بقدر ما يروق لكم ، لكن عندما تخطر لكم فكرة ما ، إجعلوا « يسوع » حجر الإمتحان ، الذى تختبرون عليه كل الأفكار ، ثم طابقوا بين أفكاركم ، وبين صورة « يسوع » ، كما هى مرسومة فى العهد الجديد » .

فالمسيحية ليست تأملا فلسفيا غامضا وغير محدد ، لكنها مرتبطة إرتباطاً وثيقاً ومؤبداً ، بشخصية « يسوع المسيح » التاريخية ،

إِنْ كَانَ أَحَدٌ يَأْتِيكُمْ وَلاَ يَجِيءُ بِهٰذَا التَّعْلِيمِ فَلاَ تَقْبَلُوه فِى ٱلْبَيْتِ وَلاَ تَقُولُوا لَهُ سَلاَمٌ . لِأَنَّ مَنْ يسَلِّم عَلَيْهِ يَشْتَرِكُ فِى أَعْمَالِهِ ٱلشِّرِّيرَةِ .

إِذْ كَانَ لِى كَثِيرٌ لِأَكْتُبَ إِلَيْكُمْ لَمْ أُرِدْ أَنْ يَكُونَ بِوَرَقٍ وَحِبْرٍ لِأَنِّى أَرْجو أَنْ آتِيَ إِلَيْكُمْ وَأَتَكَلَّم فَماً لِفَم لِكَىْ يَكُونَ فَرَحُنَا كَامِلاً . يسَلِّم عَلَيْكِ أَوْلَاد أُخْتِكِ ٱلْمُخْتَارَةِ . آمِينَ .

(رسالة يوحنا الثانية ١٠ – ١٣)

هنا يبدو لنا بغاية الوضوح ، الخطر الذى رآه « يوحنا »، فى أولئك المعلمين الكذبة ، فأمر بعدم إستضافتهم ، وأوصى بإغلاق الأبواب فى وجوههم ، لأن عدم قبولهم ، هو أكثر الطرق فاعلية ، فى إيقاف خدمتهم . بل إن « يوحنا » يذهب شوطا أبعد ، فيطالب المؤمنين بألا يسلموا على أولئك المعلمين الكذبة المضلين ، لأن تبادل التحية والسلام معهم ، يعنى التسامح والتعاطف معهم إلى حد ما ، بينما يجب أن يعرف العالم حقيقة موقف الكنيسة من أولئك المنحرفين ، وأنها لا تتعامل ، ولاتتسامح ، مع أولئك الذين يهدمون الإيمان ، بتعاليمهم المنحرفة .

وقد يبدو بحسب الظاهر ، أن هناك تعارضاً بين مايطلبه « يوحنا » فى

هذه الفقرة ، وبين متطلبات السلوك المسيحى ، لكن « تشارلس هـ . دد» ، يقدم لنا أفكاراً تتسم بالحكمة فى هذا الصدد فيقول ، إنه لاغرابة فى هذا التصرف على الإطلاق ، لأنه عندما تقابل « بوليكارب » مع « مارسيون » الهرطوقى ، سأله هذا الأخير قائلا : « ألا تعرفنى ؟ » ، فأجابه « بوليكارب» : « أنا أعرف أنك أنت بكر الشيطان » .

«وكاتب هذه الرسالة هو « يوحنا » عينه ، الذى ولى هاربا من المغسل العام ، حالما عرف أن « كيرنثوس » الهرطوقى موجود بداخله،ووقت خروجه بعجلة قال لرفاقه : هيا بنا نسرع بالهرب ، لئلا ينهار المبنى فوق رؤوسنا ، بسبب وجود « كيرنثوس » عدو الحق هنا » .

لقد كان هناك خطر داهم ، يهدد استمرار بقاء الإيمان ، ولهذالم تجرؤ الكنيسة حتى على مجرد مهادنة هذا الشر المفسد لإيمانها .

بعد ذلك يشير « تشارلس ،هـ . دد » ، إلى أن ذلك كان تنظيما طارئاً ، وترتيباً إستثنائياً ، دعت إليه الضرورة الملحة ، التى خلقتها الظروف التى كانت تمر بالكنيسة آنذاك ، وكما يقولون : « الظروف الطارئة والإستثنائية ، تدعو إلى وضع قوانين جائرة » . وعلينا أن ندرك جيداً ، أنه كانت هناك ضرورة ملحة ، هى التى دعت إلى مواجهة الموقف بهذه الطريقة ، التى وجد « يوحنا » ورعيته ، ذواتهم مضطرين لاتباعها ، مع أصحاب الفكر المنحرف هؤلاء . ثم بعد ذلك نشير إلى ماقاله تشارلس هـ . دد » ، من أن التسامح لايكفى فى مثل هذا الموقف ، إن المشكلة هى ، أن نجد سبيلا ، للعيش مع أولئك الذين يختلفون عنا فى العقيدة ، وبالأخص فى الأمور الجوهريةوالأساسية ، بدون أن نكسر وصية المحبة ، وأيضاً بدون أن نتخلى عن التمسك بالحق . هذه هى الحالة التى يجب أن تشق المحبة لها طريقاً فيها ، لأن أبسط السبل

للتغلب على أعدائنا ، كما قال « ابراهام لنكولن » ، هى أن نتخذهم أصدقاءلنا ولئن كان من غير الممكن ، أن نتسامح مع هؤلاء المعلمين المنحرفين ، غير أننا لا نستطيع أن نتحلل من الإلتزام الملقى على عاتقنا ، بإرجاعهم إلى جادة الصوا ب .

وهكذا يصل بنا « يوحنا » إلى خاتمة . إنه لن يكتب أكثر مما كتب ، لأنه يرجو أن يأتى ، لكى يرى أصدقاءه ، ويتحدث معهم وجهاً لوجه . وفى العهد القديم وفى كل من العبرية واليونانية ، لا يقول النص « وجهاً لوجه » ، وإنما « فما لفم » ، فى العهد القديم ، قال الله عن « موسى » : « فما إلى فم أتكلم معه » (انظر سفر العدد ١٢ : ٨) . وقد كان « يوحنا » رجلا حكيما ، عرف أن الرسائل غالباً ماتزيد المواقف سوءا ، وأن حديثا شخصياً من القلب إلى القلب ، لبضع دقائق ، قد يكون له من الفاعلية والتأثير ، ماتعجز عنه آلاف الرسائل ، وكم من مرة فى مواقف شخصية وكنسية ، كانت الرسائل سبباً فى توسيع شقة الخلاف ، لأنها كثيراً مايساء فهمها ، أو تأويلها ، مهما كان الجهد الذى يبذل فى صياغتها وتنميقها ، بينما يفلح حديث قصير ، فى إصلاح الأمور ، وتصحيح الأوضاع .

إن « كرومويل » لم يفهم « جون نوكس » ، ولهذا لم يكن يميل إليه ، لكن بعد أن التقى به ، وتحدث معه لوقت وجيز ، قال له : « لو أننا إجتمعنا معاً ساعة واحدة ، فإننا سوف نصبح أصدقاء ، وأكثر التصاقاً مما نحن الآن » .

فمجالس الكنائس ، والمسيحيون بوجه عام ، يفعلون حسنا ، إنهم حاولوا

حل مشاكلهم ، عن طريق الحوار ، والحديث المباشر ، طالما كان ذلك ممكناً ، بدلا من تبادل المكاتبات .

وهكذا تنتهى الرسالة بتحيات من كنيسة « يوحنا » ، إلى أصدقائه الذين كتب إليهم رسالته ، تحيات كما لو كانت من أبناء أخت إلى أبناء أختها ، لأن المسيحيين جميعاً ، أعضاء لأسرة واحدة فى الإيمان .

رسالة يوحنا الثالثة

فرح المعلم

ٱلشَّيْخُ إِلَى غَايُسَ ٱلْحَبِيبِ ٱلَّذِى أَنَا أُحِبُّهُ بِالْحَقِّ .

أَيُّهَا ٱلْحَبِيبُ فِى كُلِّ شَيْءٍ أَرُومُ أَنْ تَكُونَ نَاجِحاً وَصَحِيحاً كَمَا أَنَّ نَفْسَكَ نَاجِحَةٌ . لِأَنِّى فَرِحْتُ جِدًّا إِذْ حَضَرَ إِخْوَةٌ وَشَهِدُوا بِالْحَقِّ ٱلَّذِى فِيكَ كَمَا أَنَّكَ تَسْلُكُ بِالْحَقِّ . لَيْسَ لِى فَرَحٌ أَعْظَمُ مِنْ هٰذَا أَنْ أَسْمَعَ عَنْ أَوْلَادِى أَنَّهُمْ يَسْلُكُونَ بِالْحَقِّ .

(رسالة يوحنا الثالثة ١ — ٤)

رسالة « يوحنا » الثالثة ، رسالة قصيرة ، ومن بين رسائل العهد الجديد ، تنفرد هذه الرسالة ، بعدم اختلافها فى شىء ، عن المثال الذى كان يتبعه كتاب الرسائل فى أيام الكنيسة الأولى . . وفيما يلى ، نص رسالة وجدت مكتوبة على إحدى البرديات ، وجهها قبطان لإحدى السفن ، يدعى « إيرينايوس » ، إلى أخيه المدعو « أبوليناريوس » :

« من إيرينايوس إلى أخيه أبوليناريوس . تحياتى ، أنا على الدوام أسأل الله أن يمتعك بالصحة ، وأرجو أن تكون مثلى على خير مايرام . وأرجو أن تعلم أن سفينتنا قد ألقت مراسيها فى السادس من شهر « أبيف » ، وانتهت

من تفريغ شحنتها فى الثامن عشر منه . وفى الخامس والعشرين من ذات الشهر وصلنا إلى روما ، حيث لقينا ترحيباً كبيراً بحسب ماأراد الله . وهانحن من يوم لآخر ننتظر السماح لنا بالرحيل ، وللآن لم يسمحوا بذلك لأى واحد من العاملين فى نقل القمح . أرجو إبلاغ وافر تحياتى لزوجتك ولسبرينوس . وجميع الذين يحبونك كل واحد باسمه . وإلى اللقاء » .

والصيغة التى كتب بها « إيرينايوس » رسالته ، هى نفس الصيغة التى كتب بها « يوحنا » رسالته الثالثة ، فهو يبدؤها بتحية ، تتلوها صلاة من أجل الصحة ، ثم بعد ذلك ، نجد مضمون الرسالة ، بما حوته من أخبار ومعلومات . ثم فى ختامها نجد التحيات ، التى يضمنها « يوحنا » تعليماته ، والتى يوجه فيها التحية لأشخاص بأسمائهم .

فالرسائل المسيحية لم تكن تختلف عن بقية الرسائل فى عالم العهد الجديد ، إنها كانت تشبه تماماً ماكان الناس يتبادلونه فيما بينهم من رسائل ، فى كل ربوع العالم فى تلك الأيام ، وكل ما كان يميزها ، هو صبغتها الدينية الكنسية .

و« يوحنا » ، يكتب هذه الرسالة ، إلى صديق له يدعى « غايس » ، وهو اسم من الأسماء التى كانت معروفة وشائعة فى عالم العهد الجديد ، الذى نجد فيه كثيرين ممن حملوا هذا الإسم . مثل « غايس المكدونى » ، الذى كان هو وصديقه « أرسترخس » مع « بولس » ، عندما حدث الشغب فى أفسس (أعمال الرسل ١٩ : ٢٩) و« غايس الدربى »[1] ، الذى كان نائباً عن كنيسته فى الجمع الذى تم لفقراء أورشليم (أعمال الرسل ٢٠ : ٤)،

---

(١) الذى من دربة .

ثم « غايس » الذى نزل فى ضيافته « بولس » فى كورنثوس ، والذى كان سخياً وكريماً جداً ، ومضيفاً للغرباء ، مما جعل « بولس » يدعوه « مضيف الكنيسة كلها » (رسالة روميه ١٦ : ٢٣) كما كان واحداً من القلائل الذين عمدهم « بولس » بنفسه (رسالة كورنثوس الأولى ١ : ١٤) ، ويقول التقليد إن « غايس » هذا أصبح أول أسقف فى تسالونيكى .

وكما سلفت الإشارة ، كان اسم « غايس » من الأسماء المألوفة والشائعة فى ذلك العالم القديم . وليس هناك مايدعو إلى القول بأن « غايس » الموجهة إليه الرسالة ، هو واحد من هؤلاء الثلاثة سالفى الذكر .

فالتقليد يقول إن « غايس » ، الذى كتب إليه « يوحنا » هذه الرسالة ، هو أسقف برغامس ، وكان « يوحنا » نفسه هو الذى رسمه أسقفاً هناك . ومن الرسالة نرى أن « غايس » هذا ، كان رجلا مضيافاً ، فاتحاً قلبه وبيته لكل رجال الله .

وفى العددين (١ و ٢) من هذه الرسالة القصيرة ، يستخدم « يوحنا » كلمة « الحبيب » ، أو « الذى أحبه بالحق » ، وهى نفس الترجمة الدقيقة والصحيحة للكلمة اليونانية « أجاپيتوس » .

ومما تجدر ملاحظته أن « يوحنا » فى هذه المجموعة من الرسائل ، يستخدم كلمة « أجابى » ، ليس أقل من عشر مرات . ومع أن هذه الرسائل من الرسائل الصارمة المتجهمة ، لأنها رسائل لوم وتعنيف وتحذير ، لكنها مع ذلك تحمل طابع المحبة . ولقد كانت النصيحة التى وجهها أحد الدارسين والوعاظ هى : « لاتتحدث بسوء عن الإجتماع الذى تنتمى إليه » . وهانحن نرى ، أن المحبة هى الطبع الغالب على « يوحنا » ، وعلى الجو المحيط به ،

حتّى عندما وجد نفسه مضطرا للوم والتقريع ، والتحذير من بعض التصرفات التى سببت له الضيق ، من جانب البعض .

وعدد (٢) يوضح لنا ، مدى عناية الراعى الورع برعيته ، وإهتمامه بها ، وكما أبدى « يوحنا » سروره ، بصحة « غايس » الروحية ، وجدناه أيضاً ، يرجو له أن يكون على مايرام جسدياً ، وفى هذا المقام ، كان « يوحنا » مثل « يسوع » الذى اهتم بأجساد الناس ، مثل اهتمامه بنفوسهم . وعلى الراعى الحقيقى أن يهتم بصحة رعيته الجسدية ، بنفس القدر الذى يبديه من الاهتمام بصحتهم الروحية .

وفى عدد (٤) ، يوضح لنا « يوحنا » ، أن أعظم فرح للمعلم ، هو أن يرى تلاميذه سالكين فى الحق . فليس الحق مجموعة من الأفكار ، تزدحم بها أدمغتنا وخيالاتنا ، لكنه المعرفة التى تملأ عقل الإنسان ، والمحبة التى تطبع كل حياته وتصرفاته . الحق هو الشيء الذى يجعل الإنسان يفكر ، ويتصرف ، بحسب فكر الله .

الكَرَم المسيحى

أَيُّهَا ٱلْحَبِيبُ أَنْتَ تَفْعَلُ بِٱلْأَمَانَةِ كُلَّ مَا تَصْنَعُهُ إِلَى ٱلْإِخْوَةِ وَإِلَى ٱلْغُرَبَاءِ ٱلَّذِينَ شَهِدُوا بِمَحَبَّتِكَ أَمَامَ ٱلْكَنِيسَةِ ٱلَّذِينَ تَفْعَلُ حَسَنًا إِذَا شَيَّعْتَهُمْ كَمَا يَحِقُّ لِلّٰهِ لِأَنَّهُمْ مِنْ أَجْلِ ٱسْمِهِ خَرَجُوا وَهُمْ لَا يَأْخُذُونَ شَيْئًا مِنَ ٱلْأُمَمِ . فَنَحْنُ

يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَقْبَلَ أَمْثَالَ هٰؤُلاءِ لِكَيْ نَكُونَ عَامِلِين مَعَهُمْ بِٱلْحَقِّ .

(رسالة يوحنا الثالثة ٥ — ٨)

وهنا نجد الهدف الرئيسى ، الذى يرمى إليه « يوحنا » ، من وراء كتابته لهذه الرسالة . فقد كان هناك فريق من المعلمين الجائلين ، فى طريقهم إلى تلك الكنيسة ، التى كان « غايس » واحداً من أعضائها . و« يوحنا » يحث « غايس » على قبول هؤلاء المعلمين واستقبالهم ، وتقديم كل عون لهم ، وتوديعهم عند خروجهم من هناك ، بمثل الحفاوة التى يستقبلهم بها .

وكان إكرام الضيف فى العالم القديم ، واجباً مقدساً ، لأنهم كانوا يعتبرون الغرباء ، تحت رعاية « زفس اكسنيوس » ، و« زفس » هو إله الغرباء واكسنيوس هى الكلمة اليونانية التى تعنى « الغرباء » . وفى ذلك الوقت ، لم تكن هناك فنادق تستوعب جميع الغرباء ، وعابرى السبيل المسافرين ، وكان اليونانيون يأنفون من أخذ مقابل ، نظير استضافتهم للغرباء ، الذين كانوا يؤوونهم ، كما كانوا يحتقرون كل من يدير فندقاً . كما أن الفنادق فى ذلك الزمان لم تكن مريحة للمسافرين ، لعدم الاهتمام بتنظيفها ، لهذا كانت زاخرة بالحشرات ، وقد شبه « بيلاطس » أصحاب الفنادق باللصوص ، الذين يعتبرون ضيوفهم رهائن لايطلقون سراحها ، إلا بعد دفع الفدية ؛

وكان فى العالم القديم ، نظام لتبادل الضيافة بين العائلات ، فى المناطق المختلفة ، وتناقل الخلف عن أسلافهم هذا النظام ، الذى أصبح تقليداً يتبعه

الجميع. وكان الضيف ، يحمل للأسرة المضيفة ، ما يثبت هويته أو شخصيته. وفى المدن الأكبر ، كانوا يعينون موظفاً خاصا يلجأ إليه أهل المدينة ، لكى يدبر لهم المأوى فى المناطق التى سيسافرون إليها .

وإذا كان العالم الوثنى ، قد قبل الإلتزام بإضافة الغرباء ، فأحرى بجماعة المسيحيين أن يكونوا أكثر التزاماً بها ، وهذا هو ما طالب به «بطرس» : « كونوا مضيفين بعضكم بعضا بلادمدمة » (رسالة بطرس الأولى ٤ : ١) ، وكاتب العبرانيين يقول : « لاتنسوا إضافة الغرباء » (عبرانيين ١٣ : ٢) ، وفى رسائله الرعوية ، يقول « بولس » ، إن إضافة الغرباء ، من الأعمال التى تعطى الأرملة الحق فى الإكتتاب كأرملة (تيموثاوس الأولى ٥ : ٦) ، كما يأمر أهل رومية بأن يعكفوا « على إضافة الغرباء » (رومية ١٢ : ١٣) .

ولقد كانت إضافة الغرباء ، هى الطابع المميز للقادة المسيحيين فى الكنيسة ، فالأسقف ينبغى أن يكون « مضيفاً للغرباء »(تيموثاوس الأولى ٣ : ٢) كما طولب « تيطس » بأن يكون « مضيفاً للغرباء » (تيطس ١ : ٨) .

وفى أيام « يوستين الشهيد» ، فى سنة ١٧٠ م . ، نجد أنه فى يوم الرب ، كان على العابدين أن يوزعوا على الفقراء حسب استطاعتهم ، كما كان قائد الإجتماع ، يزور الأيتام والأرامل ، وكل من له احتياج ، وأيضاً المقيدين ، والغرباء المقيمين بين الجماعة (انظر الدفاع الأول ليوستين الشهيد ١ : ٦٧) .

وفى عصر الكنيسة الأولى ، كان البيت المسيحى ، كما ينبغى أن يكون الآن ، مكان المحبة والترحيب ، والباب المفتوح ، ولم يكن هناك ما يمكن إعطاؤه للضيف ، أكثر من إعطائه حق الدخول إلى داخل أى بيت مسيحى . إن دائرة الحياة العائلية ، يجب أن تتسع ، لدرجة تسمح بقبول الغرباء والترحيب

بهم ، وإعطائهم مكاناً ، ولا يهم فى هذا المجال ، من أين جاء هذا الغريب ، ولا إلى أى جنس ، أو لون ينتمى .

المغامرون المسيحيون

تمضى بنا هذه الفقرة ، لتقدم لنا تفصيلا عن المعلمين الجائلين . لقد ترك هؤلاء بيوتهم ، وعائلاتهم ، مضحين براحتهم ، فى سبيل نشر كلمة الله وحملها إلى حيث يذهبون . وفى (عدد ٧) يقول « يوحنا » عنهم ، إنهم « من أجل اسمه خرجوا ولا يأخذون شيئاً من الأمم » ، ومن المحتمل أن عدد (٧) يشير إلى الذين خرجوا من بين الأمم ، دون أن يأخذوا منهم شيئاً ، والذين من أجل خاطر المسيحية ، تركوا بيوتهم ، وأعمالهم ، وأصدقاءهم ، ولم يكن لهم أى مورد للرزق .

وفى العالم القديم ، كانت صورة «السائح الروحى» ومنْدوده ، من الصور المألوفة . وعلى سبيل المثال ، توجد قصة عن شخص كان يدعو نفسه ، « عبد الإلهة السورية » . وأمثال هذا الشخص كانوا يتسولون ، ولم يكن الواحد منهم يرجع إلى موطنه ، قبل أن يجمع ما لا يقل عن سبعين كيساً مليئة بالنقود ، التى كان يقوم بجمعها لإلهته .

أما هؤلاء المعلمون المتجولون ، فلم يأخذوا شيئاً من الأمم ، حتى ولو كان الأمميون هم الذين يقدمون لهم تلقائياً من غير أن يطلبوا هم منهم شيئاً : و « يوحنا » يستودع هؤلاء المعلمين ، والمبشرين الجوالين ، لكرم « غايس » ، وحسن ضيافته ، ويقول له : « إن علينا أن نساعد هؤلاء ، ونعلن لهم ، أننا شركاء معهم فى الحق ، و « دكتور موفات » يورد هذا العدد فى ترجمته هكذا : « علينا أن نعول أمثال هؤلاء لنثبت أننا من أتباع الحق » .

وهنا نجد ذواتنا أمام فكر مسيحى عظيم ، فربما لا يستطيع واحد منا أن يتفرغ لخدمة الوعظ ، لظرف أو لآخر ، ربما لأن عمله يتطلب منه البقاء فى مكان لا يبرحه ، وهكذا لا يستطيع حمل رسالة الإنجيل للآخرين ، أو ربما تعوقه ارتباطاته العائلية ، وظروف حياته ، عن التفرغ للخدمة ، لكن مثل هذا الشخص ، يمكنه أن يساهم بماله ، وصلواته ، وتقدماته ، وما يقدمه من مساعدات لخدمة الإنجيل ، وهكذا يصبح شريكاً فى العمل بالحق .

فليس فقط من أوتى القدرة على الوعظ ، هو وحده الذى يكون فى الصفوف الأولى ، لكن كل واحد ، عن طريق إعالة هؤلاء الذين يقفون فى خط المواجهة ، حاملين للعالم بشارة الإنجيل ، يستطيع عن هذا الطريق ، أن يكون عاملا بالحق . فبتقديم ما يحتاجه هؤلاء المبشرون بكلمة الله ، العاملون على امتداد ملكوته ، نستطيع نحن أن نساهم فى هذه الخدمة ، ونشترك معهم فيها ، رغم أننا لم نبرح مقاعدنا ، أو مكاتبنا ، أو مصانعنا ، أو بيوتنا ، أو بلادنا .

وعندما نتذكر هذا ، لا شك أننا سندرك ، أنه ليس التزاماً أو واجباً نقوم به مضطرين ، لكنه تضحية حبية ، نقدمها عن رضا وطيب خاطر . فالكنيسة تحتاج إلى من يحمل الحق ، ويقوم بنشره ، كما تحتاج إلى الذين رغم بقائهم فى بيوتهم يعضدون هؤلاء ، ويعملون معهم بالحق .

تحريض المحبة

كَتَبْتُ إِلَى ٱلْكَنِيسَةِ وَلَكِنَّ دِيُوتْرِيفِسَ ٱلَّذِى يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ٱلْأَوَّلَ بَيْنَهُمْ لاَ يَقْبَلُنَا . مِنْ أَجْلِ ذٰلِكَ إِذَا جِئْتُ

فَسَأُذَكِّرُه بِأَعْمَالِهِ ٱلَّتِي يَعْمَلُهَا هَاذِراً عَلَيْنَا بِأَقْوَالٍ خَبِيثَة. وَإِذْ هُوَ غَيْرُ مُكْتَفٍ بِهٰذِهِ لاَ يَقْبَلُ ٱلْإِخْوَةَ وَيَمْنَعُ أَيْضاً ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَيَطْرُدُهُمْ مِنَ ٱلْكَنِيسَةِ . أَيُّهَا الْحَبِيبُ لاَ تَتَمَثَّلْ بِٱلشَّرِّ بَلْ بِالْخَيْرِ لِأَنَّ مَنْ يَصْنَعُ ٱلْخَيْرَ هُوَ مِنَ ٱللهِ وَمَنْ يَصْنَعُ ٱلشَّرَّ فَلَمْ يُبْصِرِ ٱللهَ .

دِيمِتْرِيُوسُ مَشْهُودٌ لَهُ مِنَ ٱلْجَمِيعِ وَمِنَ ٱلْحَقِّ نَفْسِهِ وَنَحْنُ أَيْضاً نَشْهَدُ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ شَهَادَتَنَا هِيَ صَادِقَةٌ وَكَانَ لِي كَثِيرٌ لِأَكْتُبَهُ لٰكِنَّنِي لَسْتُ أُرِيدُ أَنْ أَكْتُبَ إِلَيْكَ بِحِبْرٍ وَقَلَم .

وَلٰكِنَّنِي أَرْجُو أَنْ أَرَاكَ عَنْ قَرِيبٍ فَنَتَكَلَّمَ فَماً لِفَمٍ . سَلاَمٌ لَكَ . يُسَلِّمُ عَلَيْكَ ٱلْأَحِبَّاءُ . سَلِّمْ عَلَى ٱلْأَحِبَّاءِ بِأَسْمَائِهِمْ

(رسالة يوحنا الثالثة ٩ — ١٤)

هنا نجد السبب الذى حدا « بيوحنا » إلى تسطير هذه الرسالة ، كما نجد أمامنا كذلك ، اثنتين من الشخصيات التى كانت تقف على المسرح :

١ — « ديوتريفس » . وقد سبق ورأينا فى المقدمة ، كل الملابسات التى كانت تحيط بيوحنا ، و «غايس» ، و«ديوتريفس» هذا ، وفى الكنيسة

الأولى ، كانت الخدمة مزدوجة ، فقد كان هناك الرسل ثم الأنبياء ، و هؤلاء كان لهم سلطان على الكنيسة كلها ، وكان الأنبياء يتنقلون بين الاجتماعات ، يعظون ، ويعلمون بكلمة الله ، وإلهام روحه . ومن ناحية أخرى ، كان هناك الشيوخ ، وهؤلاء كانوا الخدام الدائمين الثابتين ، فى الاجتماعات المحلية ، وكانوا بمثابة العمود الفقرى لاجتماعاتهم ، ولم تكن هناك أية مشكلة بالنسبة للكنيسة فى أيامها الأولى ، لأن الاجتماعات الناشئة ، كانت فى حاجة إلى من يعلمها باستمرار ، إذ لم تكن قد بلغت مرحلة كافية من النضج ، كما أنها لم تكن قادرة على تسيير نفسها تسييراً ذاتياً .

لكن بمضى الوقت ، حدث الصدام بين الخدام المحليين ، وهؤلاء المعلمين المتجولين ، لأن الكنائس المحلية ، كانت قد نضجت شيئاً فشيئاً ، ولم تعد فى حاجة إلى تدخل هؤلاء المتجولين القدامى ، لأنها تستطيع أن تتولى أمر نفسها ، كما أنه قد أصبح لديها خدامها المحليون ، القادرون على التعليم والتدبير .

وما زالت الكنيسة حتى الآن ، تعانى من هذه المشكلة ، وإن كان على نطاق محدود . وما يزال خدام الإنجيل المتجولون موجودين ، وهؤلاء قد يأتون إلينا بتعليم آخر ، يختلف عما تعلمناه ، وعقيدة تختلف عن عقيدتنا . وفى الكنائس الأحدث عهداً ، لا زال السؤال قائماً : إلى متى سيظل المرسلون يتولون إدارة شئون الكنيسة ؟ ومتى يأتى الوقت ، الذى يتسلم فيه الوطنيون ، إدارة شئون كنيستهم ؟

وفى هذه الرسالة ، يمثل « ديوتريفس » الكنيسة المحلية ، ولا يقبل تدخلا حتى من « يوحنا » نفسه ، بما له من سلطان ، كما أنه لا يقبل ، أى واحد من هؤلاء الخدام الجائلين ، لأنه يرغب فى أن يرى أمور الكنيسة المحلية ،

فى أيدى أبنائها ، دون سواهم ، يتولون هم تدبير شئونها بانفسهم ، بغير تدخل من أحد ، أيا كان هذا الأحد . وكان « ديوتريفس » كذلك ، يرفض التعامل مع أى واحد ، ممن يلمس فيهم الإستعداد ، للإعتراف بسلطان «يوحنا » ، أو لقبول أحد من هؤلاء الوعاظ المتجولين . وليس فى مقدورنا أن نوضح تماماً ، وظيفة « ديوتريفس » فى الكنيسة ، لكنا نؤكد أنه لم يكن أسقفاً ، بما تعنيه الكلمة فى هذه الأيام . ربما كان شيخاً عنيداً ، صلب الرأى ، شديد المراس ، أو ربما كان واحداً من أعضاء الكنيسة المشاغبين ، وكانت له شخصية قوية طاغية ، تجرف أمامها كل رأى معارض . ولا شك أيضاً ، فى أنه كان شخصاً له مكانته هناك ، ويبدو أن ظروفاً معينة قد ساعدته ، على اتخاذ موقف معارض لديمتريوس .

٢ — « ديمتريوس » ، وهذا الإسم غير شائع ولا مألوف ، وقد بذلت عدة محاولات ، لاعتباره واحداً من اثنين ، من الشخصيات ، التى ورد ذكرها فى العهد الجديد . بعضهم قال إنه « ديمتريوس » ، الصائغ الذى قاد حركة الشغب فى أفسس ، ضد بولس الرسول ، والمشار إليه فى سفر أعمال الرسل (١٩ : ٢١ وما يليه) ، ومن المحتمل أنه أصبح مسيحياً فيما بعد ، وقد كان موقفه من « بولس » نقطة سوداء فى صحيفة سوابقه . كما قال البعض الآخر ، إنه « ديماس » لأن « ديماس » هو اختصار اسم « ديمتريوس » ، وهكذا يكون « ديمتريوس » ، هو « ديماس » الذى رافق « بولس » فى بعض سفراته ، وواحداً من شركائه فى الخدمة ، لكنه ترك « بولس» ، وتخلى عن رفقته ، لأنه أحب العالم الحاضر (رسالة كولوسى ٤ : ١٤ ، رسالة فليمون ٢٤ ، رسالة تيموثاوس الثانية ٤ : ١٠) . وربما كان « ديماس » ، قد عاد ثانية إلى الإيمان ، لكن رجوعه لم يشفع له ، فلم ينس له « ديوتريفس » ذلك

الماضى الملوث ، بتركه لبولس ، هذا الترك الذى بقى سبة وعاراً ، يلازمه على مر السنين .

وبينما الحال هكذا ، يأتى « يوحنا » ، الذى تمرد عليه « ديوتريفس » ، ولم يعترف بسلطانه ، هذا السلطان الذى اعترف به «غايس» كإنسان عطوف ، لكن لضعف شخصيته ، لم يقو على الوقوف فى وجه « ديوتريفس » ، الذى كان « يوحنا » يطلب فرصة سانحة ، لكى يذكره بأعماله ، وأقواله الخبيثة ، ولو أن « يوحنا » لم يؤيد « غايس » ويسانده ، ولو أنه تركه وشأنه ، إذن لتغلب عليه « ديوتريفس » .

يتبقى بعد ذلك موقفنا نحن ، فقد نتعاطف مع « ديوتريفس » فى موقفه ، ونقول إنه الموقف الذى كان لا بد أن يقفه ، إن عاجلا أو آجلا . لكن مع كل ما تميز به « ديوتريفس » من قوة الشخصية ، إلا أنه كانت عليه غلطة واحدة ، إنه كان محتاجاً إلى التحلى بقدر من المحبة . وكما قال «تشارلز ه. دد» ، إنه لا يوجد اختبار دينى ، أيا كان هذا الاختبار ، لا يقدر أن يعبر عن ذاته بالمحبة ، ولهذا السبب ، رأى « يوحنا » ، أن « ديوتريفس » ، لم يكن مسيحياً حقيقياً ، رغم كل ما كان له من قوة الشخصية ، وصلاحيات القيادة .

وعلى القائد المسيحى ، أن يتذكر على الدوام ، أنه يجب أن يتحلى باللطف إلى جانب الشدة ، وأنه لا يجب أن يسعى لتحقيق أى مغنم شخصى ، وأن روح المحبة ينبغى أن تسير جنباً إلى جنب ، مع روح القيادة .

وقد كان « ديوتريفس » ، مثل كثيرين من قادة الكنيسة على كافة المستويات ، سواء فى الكنيسة المحلية أو العامة ، ربما كان على حق فى موقفه ، لكنه اتبع أسلوباً خاطئاً (لإحقاق هذا الحق) ، لأن قوة الحجة والمنطق والتفكير ، بالغة ما بلغت ، لا يمكن أن تحل محل المحبة .

ونحن لا نعرف شيئاً عن كل هذا ، لكن ها هو «يوحنا» أخيراً ، يصل إلى المحبة ، وها هو على وشك الحضور ، لكى يتحدث مع الجماعة فما إلى فم ، ولا شك فى أنه سيكون لحضوره أثره ، الذى لا يعدله تأثير أية رسالة .

وها هو يختم رسالته . بتحيات وبركات . يرسلها للحاضرين . وعلينا أن نتأكد ، من أن «سلام لكم» ، التى أثبتها كاتب الرسالة الشيخ فى رسالته ، هذه العبارة قد ملأت بالسلام ، قلب الكنيسة المضطربة ، التى كتب إليها رسالته .

رسالة يهوذا

الرسالة الصعبة والمهملة :

لا نجاوز حدود الصواب ، إن قلنا ، إن الغالبية العظمى ، ممن يقرأون هذه الرسالة (رسالة يهوذا) ، فى هذه الأيام ، لا يحصلون منها على قدر كبير من الفائدة ، بل إنهم غالباً ، ماتستولى عليهم الحيرة عند قراءتها. على أن عددين من أعداد هذه الرسالة ، معروفان تماماً للجميع ، وهما العددان اللذان تتكون منهما التسبحة الواردة فى خاتمتها .

وفيما خلا هذين العددين (عدد ٢٤ و ٢٥) ، لا يعرف الكثيرون شيئاً يذكر عن هذه الرسالة ، بل إنهم نادراً ما يقرأونها . وترجع صعوبة رسالة يهوذا ، إلى أنها كتبت بلغة وفكر العصر الذى كتبت فيه . وخلفيتها الفكرية ، كانت موقفاً يواجهه « يهوذا » ويقاومه ، بتصويرات وإشارات ، تعتبر غريبة تماماً بالنسبة لنا . ولا شك فى أنه كان لها وقعها وتأثيرها ، فى نفس كل من كان يقرؤها أو يسمعها لأول مرة ، إذ كان يبدو وكأنه أصيب بضربةمطرقة(شاكوش)فى رأسه،أو كمن يسمع بوقاً،يدعوه للنهوض للدفاع عن الإيمان ، و «دكتور موفات» يدعو رسالة يهوذا،صليباً ملتهباً لإيقاظ الكنيسة ، « ج . ب . ماير» ، وهو من كبار المفسرين الذين قدموا شرحاً لرسالة يهوذا يقول ، إن القارئ العصرى ، قد يرى أن رسالة يهوذا غريبة من أولها لآخرها ، وأن غرابتها أكثر من فائدتها ، وهذه الغرابة من أهم الأسباب التى تدفعنا إلى دراستها ، لأننا عندما نصل إلى فهم لفكر « يهوذا » ، والموقف الذى كتب رسالته لمعالجته ، عندئذ تكون الرسالة مشوقة لنا ، وتحقق لنا متعة ما بعدها متعة ، لأنها تزيح الستار عن لمحة من تاريخ الكنيسة الأولى ،

وطريقة تفكيرها . وما أكثر ما حدث فى الكنيسة فى تاريخها الطويل ، وخاصة فى أوقات الإنتعاش . ورسالة يهوذا من أوثق أسفار العهد الجديد ارتباطاً بهذه النهضة الكنسية . فلنبدأ بوضع مادة الرسالة أمامنا ، ولا ننتظر لحظة واحدة ، إلى أن نصل إلى الشرح والتفسير الذى سيلى فيما بعد .

مواجهة الخطر :

لقد قصد « يهوذا » أن يكتب بحثاً عن الإيمان المشترك لجميع المسيحيين ، لكنه اضطر إلى إرجاء هذا البحث ، بسبب ظهور جماعة ، كان سلوكها ، وأسلوب تفكيرها ، يمثلان خطراً ، يهدد الكنيسة المسيحية (عدد ٣) ، إذ رأى أن الحاجة ماسة إلى تنبيه المسيحيين ، لدرء الخطر الداهم عنهم ، أكثر من حاجتهم ، إلى شرح لحقائق الإيمان .

فقد دخل الكنيسة خلسة ، قوم كان شغلهم الشاغل ، هو تحويل نعمة ربنا يسوع المسيح إلى الدعارة ، وهؤلاء كانوا ينكرون السيد الوحيد الله وربنا يسوع المسيح (عدد ٤) ، كما أنهم كانوا هراطقة منحرفين فى تعليمهم وسلوكهم .

التحذيرات :

وقد حذر «يهوذا» هؤلاء، وذكرهم بما أصاب الإسرائيليين فى القديم ، إذ أخرجهم الله من أرض مصر سالمين ، لكنهم مع هذا ، لم يدخلوا أرض الموعد ، بسبب عدم إيمانهم (عدد ٥) . وقد هلك كل الجيل الذى خرج من أرض مصر ، ومع أنهم كانوا قد قد بلغوا تخوم أرض الموعد ، لم يدخلوها لعدم إيمانهم (سفر العدد ١٣ : ٢٦ — ص ١٤ : ٢٩) .

قد يختبر إنسان نعمة الله ، ويتمتع بها ، لكنه مع ذلك ، قد يفقد خلاصه

الأبدى ، بعودته إلى حياة العصيان وعدم الإيمان . والملائكة كانوا ملائكة ، بكل ما لهم من مجد السماء ، لكنهم جاءوا إلى الأرض ، وبالخطية والشهوة ، أفسدوا حياة البشر (تكوين ٦ : ٢) ، وها هم أولئك الملائكة الآن ، فى قيود أبدية تحت الظلام ، فى انتظار الدينونة (عدد ٦) ، وكل من يتمرد على الله ، لا بد وأن يدان . إن سدوم وعمورة ، والمدن التى حولها ، التى زنت على طريق مثلهما ، ومضت وراء جسد آخر ، جعلت عبرة ، مكابدة عقاب نار أبدية (عدد ٧) .

الحياة الشريرة :

هؤلاء الرجال ، كانوا محتلمين ، يطلبون أحلاماً شريرة ، وينجسون أجسادهم ، ويفترون على الملائكة (ذوى الأمجاد) (عدد ٨) . مع أن أحداً لا يستطيع أن يفترى على الملائكة ، حتى « ميخائيل » رئيسهم نفسه ، لا يجرؤ على التكلم بشر ، ولا عن الملائكة الأشرار ، الذين سقطوا ، ولم يحفظوا رئاستهم . وعندما صرح الرب لرئيس الملائكة الجليل « ميخائيل » ، أن يقوم بدفن جسد « موسى » ، حاول الشيطان تعطيله عن القيام بهذه المهمة ، كما حاول أن يعلن ، أن من حقه هو ، أن يأخذ جسد « موسى » ، ورغم كل هذا ، لم ينطق « ميخائيل » بكلمة شريرة واحدة ضد الشيطان ، حتى فى مثل هذا الظرف ، وكان كل ما قاله ببساطة : « لينتهرك الرب » (عدد ٩) . فالملائكة لهم اعتبارهم ، أخياراً كانوا أم أشراراً . لكن هؤلاء الرجال الأشرار ، يفترون على كل شىء ، حتى على ما لا يفقهون . ومع إدراكهم لما فيهم من غرائز بشرية ، يجب كبح جماحها ، ترك هؤلاء القوم ، الحبل على الغارب لهذه الغرائز ، وتركوها تتحكم فيهم ، وتتسلط عليهم ، حتى أصبحوا كالحيوانات البكم .

لقد سلك هؤلاء طريق « قايين » ، الذى كان أول سفاح فى التاريخ ، كما شابهوا « بلعام » ، الذى من أجل الحصول على أجرة إثم ، قاد الشعب لكى يخطئ ، ويزنى عن الله ، كذلك فعلوا ما فعله « قورح » ، الذى تمرد على سلطان «موسى» ، ورفع راية العصيان ، فابتلعته الأرض بسبب عصيانه.

هؤلاء يشبهون الصخور المختفية ، التى قد ترتطم بها السفن ، وكما تقع الطيور على أشكالها ، هكذا كان هؤلاء يتقابلون مع أمثالهم ، ويدمرون الشركة المسيحية ، بخداعهم للبسطاء ، بتقديم المواعيد الكاذبة لهم ، تماماً كما تفعل السحب مع الأرض التى تعانى من الجفاف : فتعدها بالماء ، لكن تمضى إلى حال سبيلها ، مخلفة وراءها الأرض عطشى كما كانت . إنهم أشجار بلا ثمر ، وكأمواج البحر المزبدة ، التى لا تحمل إلى الشاطئ غير الحطام ومخلفات السفن ، فهم لا يفرزون سوى أعمالهم الشريرة المخزية . بل إنهم كالنجوم التائهة المتمردة ، التى خرجت عن مدارها ، والمحفوظ لها قتام الظلام (عدد١٣).

ومنذ عهد بعيد ، وصف « أخنوخ » هؤلاء الرجال ، وتنبأ عن سقوطهم ودمارهم ، ودينونتهم (عدد ١٥) . إنهم مدمدمون ، متشكون ، خارجون متمردون ، على كل نظام وقانون . تماماً كما تمرد بنو إسرائيل على « موسى » فى البرية . إنهم لا يكتفون بنصيبهم الذى قسمه الله لهم ، وشهوتهم متسلطة عليهم ، وكلامهم كله غطرسة وكبرياء ، أفواههم تنطق بعظائم ، يحابون بالوجوه من أجل المنفعة (عدد ١٦) .

كلمات للمؤمنين :

بعد تأنيب أولئك الأشرار ، بتلك الكلمات القاسية ، واللاذعة ، يعود « يهوذا » ويتحدث إلى المؤمنين قائلا ، إنه كان عليهم أن يتوقعوا ظهور

مثل هؤلاء الرجال ، لأن رسل المسيح سبق وأنبأوا بظهورهم فى الزمان الأخير (عدد ١٨ ، ١٩) ، وأن على المسيحى أن يبنى حياته على إيمانه الأقدس ، ويصلى فى الروح القدس ، ويحفظ نفسه فى محبة الله ، منتظراً رحمة ربنا يسوع المسيح (عدد ٢٠ و ٢١) .

أما منحرفو الفكر والسلوك ، فإن بعض الذين ما زالت حياتهم بين بين : ولم يجرفهم بعد تيار الشر إلى بعيد ، بعض هؤلاء تتداركهم الرحمة بالخلاص . وآخرون منهم ، يجب اختطافهم من النار ، كما تخطف الأغصان من جوف اللهيب . وفى كل ما يقوم به المسيحى فى سبيل إنقاذ هؤلاء ، عليه أن يتحلى بذلك الخوف المقدس ، الذى يدفعه إلى الإشفاق على الخاطئ ، فيعامله بالمحبة ، فى نفس الوقت ، الذى يكره فيه الخطية . كما أن عليه أن يتجنب التدنس بأدناس أولئك ، الذين يعمل على إنقاذهم من براثن الخطية . (عدد ٢٢ و ٢٣) .

وفى كل هذا ، يجب أن تكون مع المسيحى ، قوة ذلك الإله ، الذى يستطيع أن يحفظه من السقوط ، ويوقفه أمام مجده ، بلا عيب فى الابتهاج (عدد ٢٤ و ٢٥) .

الهراطقة :

من هم هؤلاء الهراطقة الذين يتحدث عنهم يهوذا ؟ ما هى أفكارهم ، وكيف كان سلوكهم ؟ لم يحدثنا « يهوذا » بشىء عن هذه الأمور ، وكما يقول «د. موفات» ، لم يكن « يهوذا» لاهوتياً ، بل واحداً من معلمى الكنيسة المخلصين الشرفاء . لقد أشار إلى أولئك الهراطقة الذين هاجمهم ، دون أن يصفهم لنا ، لأنه لم يكن يرغب فى الدخول معهم فى مناقشة أو جدل . لكنه

كتب عنهم ، كشخص يعرف تماماً ، متى يكون السخط المحيط ، أكثر فاعلية من كل جدل ونقاش . والأدلة الحاسمة التى نرغب فى الحصول عليها ، يجب أن نأخذها من الرسالة ذاتها . ومن سياق الرسالة ، يمكننا أن نستخلص ثلاثة أمور ، عن أولئك المراطقة :

١ — كانوا إباحيين ، وهؤلاء نجدهم فى كل عصر من عصور الكنيسة . إنهم أولئك الذين يسيئون استخدام النعمة ، ويقولون إنهم أحرار لأنهم تحت النعمة ، ولا شأن لهم بوصايا الناموس ، التى قد يخضع لها غيرهم ، أما هم فلا . ويستطيع الإباحى أن يفعل ما يحلو له ، لأنه لا حدود للنعمة التى تستطيع أن تغفر كل خطية ، بل إنه كلما ازدادت الخطية ، تكثر النعمة أيضاً ، هكذا يقولون . فالجسد لم يعد مهماً بالنسبة لهم ، أما المهم ، فهو قلب الإنسان فى الداخل ، والمسيح يملك كل شىء ، ولذا فكل شىء هو له ، وبهذه الطريقة ، كان هؤلاء المراطقة « يحولون نعمة ربنا يسوع المسيح إلى دعارة » (عدد ٤) ، وأصبحوا يرتكبون خطايا غير طبيعية ، لا يليق ذكرها لكنهم كانوا يفعلونها دون أدنى شعور ، ولا حتى بذرة واحدة من الخجل ، تماماً مثلما كان يفعل أهل سدوم قديماً (عدد ٧) . لقد كان هؤلاء ينجسون الجسد ، ويظنون أنه ليس فيما يعملون خطأ ما . كما كانوا يتركون شهواتهم تتحكم فيهم ، وتحكم تصرفاتهم ، وفى انغماسهم فى ارتكاب تلك الخطايا الحسية ، كانوا كالصخور فى ولائم الكنيسة الحبية (عدد ١٢) . وكانوا يقولون إنه ما داموا هم تحت النعمة ، فقد تحرروا تماماً من الناموس ، ومن كل التزام أدبى أو أخلاقى ، كما قالوا إنهم فقد أصبحوا روحانيين ، لدرجة أن الخطية ، لم يعد لها وجود فى نظرهم . وقالوا كذلك إنهم يحبون الله من كل قلوبهم ، أما أجسادهم فيستطيعون أن يفعلوا بها ما يشاءون .

أمثلة حديثة لتلك الهرطقة القديمة :

من حقائق التاريخ المؤسفة ، أن الكنيسة قد رزئت بهؤلاء الإباحيين ، فى كل عصر من عصورها ، لم تخل منهم فى أى عصر ، ولا شك فى أن هذه الإباحية ، كانت تنمو وتزدهر ، فى العصور التى يتركز فيها التنبير ، على النعمة الإلهية . فقد ظهرت فى القرن السابع عشر ممثلة فى جماعة الرانتريين ، الذين إلى جانب كونهم إباحيين ، كانوا يؤمنون بوحدة الكون ، أى يقولون بأن الله موجود فى كل شيء فى الكون ، وحرفياً كانوا يقولون ، إن كل شيء للمسيح ، والمسيح هو غاية الناموس ، كما كانوا يتحدثون عن المسيح الذى فيهم ،ولم يكونوا يهتمون بالكنيسة أو بخدمتها، كما أنهم لم يكونوا يعطون أى اعتبار للكتاب المقدس . .

وواحد منهم يدعى « بتملى » ، كتب يقول : « إنه ليس من الصواب فى شيء ، أن ترجع إلى الكتاب المقدس ، لكى ترى ما قاله وكتبه أشخاص آخرون ، تكلموا وكتبوا بإلهام من الله ، لأن هذه الأقوال لا تساوى شيئاً ، إذا ما قورنت بما يتكلم به الله فى داخلى ، فأنا أتبع التعاليم والإعلانات ، التى بها يرشدنى الله فى الباطن » .

وعندما وبخهم « جورج فوكس » ، بسبب تصرفاتهم المشينة ، قالوا له : « نحن الله»، وهذا القول قد يكون له وقع مقبول ، لكنه كما قال « يوحنا وسلى » ، غالباً ما كان يؤدى إلى ما أسماه « إنجيل الجسد » .

وأعمال السرقة والحلف والزنا والسكر ، كانوا ينادون بأنها ليست خطية ، إلا إذا كان فاعلها يعتبرها كذلك . وعندما ألقى « فوكس » فى سجن « تشارنج كروس » ، جاء بعضهم لزيارته ، ولكى يغيظوه ، كانوا يسكرون

أمامه ، ويدخنون التبغ ، ويقسمون بأغلظ الإيمان ، وعندما وجه إليهم اللوم على ما يفعلون ، كانوا يجيبونه بالقول ، إن الكتاب المقدس يذكر ، أن الآباء « إبراهيم » ، و « يعقوب » ، و « يوسف » ، و « موسى » ، والكهنة ، والملاك ، جميعاً كانوا يحلفون . لكن «فوكس» أجابهم ، إن الله الكائن قبل أن يكون«إبراهيم»هو الذى أوصى قائلا : « لا تحلفوا البتة» . كما قال « رتشارد باكستر » عن هؤلاء : « إنهم ليبرتينيين ، يدعون إلى الإباحية والإنحلال الخلقى ، الذى أدى بهم إلى ارتكاب كل رذيلة فى الحياة . وكانوا ينادون بأن الله لا يهمه فى كثير أو قليل ، ما يصدر من أعمال عن الإنسان الخارجى ، وأن كل ما يهم الله ، هو القلب الداخلى ، وما يصدر عنه من أعمال ، وأن كل شىء طاهر للطاهرين ، حتى ما نهى الله الناس عنه ، وعلى هذا الأساس . ولأن الله يسمح بهذا كما يقولون ، كانوا ينطقون بتجاديف ، ويرددون كلمات الكفر البشعة ، التى قضت عليهم قضاء مبرماً . . »

ولا شك فى أن كثيرين من بين هؤلاء الإباحيين ، كانوا من الشواذ ، ومجانين ، أو مختلين إلى حد ما ، كما أنه لا شك أيضاً ، فى أن بعضهم كانوا غيورين ، قد غرر بهم ، وأضلهم ، بعض أفراد من هذه الفئة المنحرفة ، فأساءوا فهم ما تعنيه النعمة ، والتحرر من الناموس .

وفيما بعد ، واجه « يوحنا وسلى » هؤلاء الإباحيين ، وقال إنهم كانوا ينادون بإنجيل الجسد والدم ، وفى جننج هول ، قال إن الإباحيين قد أجهدوا ذواتهم ، واجتهدوا كثيراً فى خدمة الشيطان . وفى برمنجهام ، قال عنهم : « إنهم الإباحيون ، المجرمون ، النجسون ، الأردياء ، الشهوانيون ، الذين أفسدوا الحياة الروحية للكنيسة . كما حدثنا عن شخص يدعى « روجر بول » انضم إلى عضوية الاجتماع فى دبلن ، وفى بادئ الأمر ، كان يلوح أن هذا

الشخص يتمتع بالكثير من الثقافة الروحية ، فرحب به أعضاء الاجتماع ، وقبلوه لما كان لديه من صلاحيات الخدمة ، لكى يصبح مبشراً بانجيل المسيح. لكن بعد ذلك ، ظهر هذا الشخص على حقيقته ، منافقاً ، وواقعاً فى أشر الموبقات ، والتى كان من بينها ، اقتناعه بأن المؤمن ، يستطيع دون أى لوم، أن يمارس الاتصال الجنسى ، مع أى من يشاء من النساء. كما أن هذا الشخص لم يكن يمارس فريضة العشاء الربانى ، لأنه تحت النعمة ، على حد قوله ، على الإنسان ألا يمس أو يذوق أو يجس ، كما أن على الإنسان كذلك ، ألا يعظ ، أو يشترك فى أى ممارسة كنسية ، لأن حمل الله العزيز ، هو الواعظ الوحيد.

ولكى يظهر « وسلى » هؤلاء الإباحيين على حقيقتهم ، نشر فى يومياته ، حواراً دار بينه وبين واحد منهم فى برمنجهام ، ننشر نصه فيما يلى :

وسلى : « أتؤمن بأنك لست ملتزماً بشىء نحو ناموس الله ؟ »

« نعم أومن بهذا : أنا لست ملتزماً بشىء نحو الناموس ، فأنا أحيا بالإيمان » .

وكشخص يعيش فى الإيمان ، هل ترى ان من حقك أن تفعل أى شىء ؟

نعم كل ما يحلو لى أستطيع أن أعمله ، طالما أن المسيح لى .

أتستطيع إذن أن تأخذ أى شىء تريده ، فى أى مكان ؟ وهل تستطيع الدخول إلى أى متجر ، وتأخذ ما تشاء دون علم صاحب المتجر ؟

نعم . بوسعى أن أفعل هذا إن أردته ، لأن هذا من حقى ، بشرط ألا أعثر أحداً .

هل بوسعك أن تعاشر أى امرأة فى العالم ، معاشرة الأزواج ؟

— نعم . كل من تقبل هذا أستطيع أن أعاشرها معاشرة الأزواج .

— ألا ترى أن هذا خطية ؟

— إنه خطية لمن يعتبره كذلك ، لكنه ليس خطية بالنسبة لأولئك الذين تحررت قلوبهم .

وقد تقابل « وسلى » كثيراً ، مع أفراد من هذا الفريق ، كما تقابل « جورج فوكس » مع كثيرين منهم ، كما قاوم « يوحنا بنيان » ، هؤلاء الإباحيين ، الذين كانوا يقولون إنهم أحرار ، يفعلون ما يشاءون ، ولا قيد عليهم فى شىء من أعمال الجسد . وكان هؤلاء ينظرون شذراً ، إلى المسيحيين الذين كانوا يسلكون بالتدقيق . وقد قال « بنيان » ، إن هؤلاء الإباحيين ، قد يتهموننى بأننى ناموسى ، وغير متفتح ، كما أنهم قد يتظاهرون بأنهم وحدهم قد بلغوا حد الكمال ، الذى معه يمكنهم أن يفعلوا كل ما يروق لهم فعله ، بغير أن يكون هذا خطية . وقد عرف « بنيان » واحداً منهم ، أسلم نفسه لكل فعل فاضح شرير ، وخصوصاً خطية النجاسة ، وكان يضحك ساخراً من كل نصح أو تحذير ، أو تحريض على الإستقامة والإعتدال ، وعندما حاولت لومه على شره يقول « بنيان » ، كان هذا الإباحى يضحك أكثر فأكثر .

إنكار الله ويسوع المسيح :

٢ — لا شك فى أن المراطقة ، الذين ينتقدهم « يهوذا » ويهاجمهم فى رسالته ، كانوا إباحيين نجسين ، وكان هناك مأخذان آخران يؤاخذهم عليهما ، لكن هذين المأخذين ليس لهما معنى واضح . إنه يتهمهم بأنهم ينكرون الله السيد الوحيد وربنا يسوع المسيح (عدد ٤) ، وفى أوثق المخطوطات اليونانية ،

لا توجد كلمة « الله » ، وعلى ذلك يكون النص عند ترجمته هو : « وينكرون السيد والمعلم الوحيد « يسوع المسيح » . وفى البركة الختامية . نجد « الإله الوحيد » ، وكلمة « الحكيم » ، غير موجودة فى هذه المخطوطات . وعبارة « الإله الوحيد » ، نجدها كذلك فى رسالة رومية (ص ١٦ : ١٧) ، وفى رسالة تيموثاوس الأولى (ص ٦ : ١٥) . والتركيز على كلمة « الوحيد » هنا واضح جداً وله أهميته .

فلئن كان « يهوذا » يتحدث هنا عن معلمنا وربنا الوحيد ، وعن الإله الوحيد ، لا شك فى أنه كان هناك بالطبع أناس ، يثيرون بعض الشكوك حول كون المسيح واحداً مع الله الآب ، وطبيعى أن هؤلاء كانوا يؤمنون بمعلم آخر وآلهة آخرين . فهل يلقى هذا بعض الضوء ، على الأفكار التى وجدت وتفشت فى الكنيسة الأولى ، وإذا كان الأمر كذلك ، ألا يكون هذا دليلا كافياً ، لرفض كل برهان آخر ، يتعارض مع الأدلة التى تقدمها لنا الرسالة ذاتها ؟

وكما رأينا كثيراً فى العهد الجديد ، ها نحن نجد أنفسنا ، أمام ذلك النوع من التفكير ، الذى عرف فيما بعد باسم الغنوسية . فالفكرة الأساسية فى الغنوسية ، هى ثنائية الكون ، أى أن الكون منذ الأزل ، يسوده مبدآن ، هما الروح والمادة ، والروح كاملة وهى الخير المطلق ، بينما المادة ناقصة وشر ، ومن هذه المادة الشريرة خلق العالم ، والله روح ، وهو لهذا لا يستطيع أن يلمس المادة أو يجسها ، كما أنه لا شأن له بها . ولهذا رأى الغنوسيون ، أنه لا يمكن أن يكون هناك أى صلة أو ارتباط ، بين الله وبين المادة ، وطالما أن الأمر كذلك ، كيف إذن تم الخلق ؟ يقول الغنوسيون ، إنه من ذات الله انبعثت أيونات ، هذه الأيونات انفصلت بالتتابع فى سلسلة طويلة أو سلم

كبير ، وابتعدت عن الله ابتعاداً كبيراً ، وواحد من هذه الأيونات ، هو الذى كان يستطيع أن يلمس المادة ، وهذا الأيون ، أو الإله الثانوى ، والبعيد جداً عن الله الروح ، هو الذى خلق العالم . ولم يقف الفكر الغنوسى عند هذا الحد ، بل قال الغنوسيون ، إنه كلما ازدادت الأيونات الأخرى ابتعاداً عن الإله الحقيقى ، قلت معرفتها ، إلى أن تصبح فى النهاية جاهلة لكل شىء عن الله . أكثر من هذا ، أصبحت هناك عداوة بين هذه الأيونات وبين الله ، إلى أن نصل أخيراً إلى الحلقة الأخيرة فى سلسلة الأيونات ، أو آخر درجة فى سلمها ، وهذا هو الأيون الخالق ، الذى لم يكن يعرف شيئاً عن الله بالكلية ، كما أنه يقف منه موقف العداء الشديد .

وهكذا يرى الغنوسيون ، أن العالم الذى خلق بمعرفة « أيون » أو إله ثانوى ، هذا العالم عدو للإله الحقيقى ، الإله الذى جاء « يسوع المسيح » لكى يعلنه للبشر . كما قالوا ، إن الإله الثانوى ، الذى لايعرف الإله الحقيقى ، والذى يناصبه العداء ، هو إله العهد القديم . لقد اعتبروا إله العهد القديم ، إلها لايعرف شيئاً عن إله العهد الجديد ، بل وأكثر من هذا ، هو يناصبه العداء ، ويختلف عنه اختلافا كلياً . وهكذا نادوا بأن الإله الخالق ، إله آخر ، غير إله العهد الجديد ، إله الإعلان والفداء .

من ناحية أخرى ، تؤمن المسيحية بإله واحد ، هو الإله الخالق ، إله العناية ، وهو عينه الإله الذى صنع الفداء ، وقد أنكر الغنوسيون وحدانية الله ، وقدموا لنا إلهين متنافرين ، يكره أحدهما الآخر ، ويناصبه العداء . ثم قال الغنوسيون ، إنه بما أن العالم مخلوق أساساً من المادة ، والمادة بطبيعتها شريرة ، ولأن الإله الذى قام بعملية الخلق ، إله جاهل ، فإن هذا هو السبب ، فى وجود الخطية ، والألم ، والحزن ، وكل صور النقص الموجودة فى العالم .

هذا الخط الفكرى الغنوسى ، أدى إلى نتائج غاية فى الغرابة ، فمادام إله العهد القديم ، يجهل إله العهد الجديد ، الذى هو الإله الحقيقى ، ويعاديه ، فبالضرورة يكون الأشخاص الذين آذاهم ، وعاقبهم ، وكدرهم ، ذلك الإله الجاهل ، هؤلاء الناس ، لابد أن يكونوا فى حقيقتهم أناسا طيبين .وإنه لواضح أن الإله الذى يكره الإله الحقيقى ، ويقف منه موقفاً معادياً ، لابد بالتالى أن يكره كل الناس الطيبين الذين يتبعون الإله الحقيقى ويخدمونه . وبهذا المنطق ، قلب الغنوسيون قصة العهد القديم رأساً على عقب ، إذاعتبروا أبطال العهد القديم أناساً أشرار ، كما اعتبروا أشرار العهد القديم ، أبطالا مغاوير .

وكان هناك فريق من هؤلاء الغنوسيين ، يدعون « الأوفيتيين » ، لأنهم كانوا يعبدون « حية عدن » ، وبعضهم اعتبر « قايين » . « وقورح »، « وبلعام » ، من أعظم أبطال العهد القديم ، وهؤلاءهم الهراطقة ، الذين كان يهوذا يهاجمهم ، إنهم الغنوسيون الذين أنكروا وحدانية الله، واعتبروا الإله الخالق ، إلها آخر ، غير الإله الذى صنع الفداء ، واعتبروا إله العهد القديم ، إلها جاهلا ، وشريراً ، وعدوا للإله الحقيقى ، ولهذا السبب قلبوا الأوضاع ، فاعتبروا أشرار العهد القديم خداما للإله الحقيقى ، لأن إلهالعهد القديم صب عليهم جام غضبه ، بينما اعتبروا قديسى العهد القديم ، جهلة أشراراً ، لأنهم كانوا يخدمون إلها جاهلا ، معادياً لله .

ولم يكتف هؤلاء الهراطقة ، بإنكارهم لوحدانية الله ، بل تمادوا فى غيهم ، وأنكروا ربنا ومعلمنا الوحيد ، « يسوع المسيح » ، أو بمعنى آخر ، أنكروا وحدانية « يسوع المسيح » . والآن : كيف يتفق هذا الفكر ، مع مانعرفه من الأفكار الغنوسية ؟ قد رأينا أن الغنوسيين آمنوا بوجود أيونات

أزلية ، منبعثة من الذات الإلهية ، وهذه الأيونات ، تكون سلسلة ، أول حلقة منها تتصل بذات الله ، وهناك على الطرف الآخر من السلسلة ، نجد الحلقة الأخيرة المتصلة بالعالم ، كما رأيناهم يعتبرون « يسوع المسيح » ، واحداً من هذه الأيونات ، مجرد « أيون » ، فى سلسلة متتابعة الحلقات ، من الأيونات ، الكائنة بين الإنسان وبين الله . قد يكون هو أعلى هذه الحلقات ، كما أنه قد يكون أقربها إلى الله .

وربما كان هذا حقاً ، لكن بمضى الوقت ، قد يتخطاه أحد هذه الأيونات ، ويأتى للبشر ، بإعلان إلهى أعظم . فالغنوسيون لم يكونوا يعتبرون « يسوع المسيح » ، السيد والرب الوحيد ، ولم يكن فى نظرهم ، أكثر من مجرد حلقة ، فى سلسلة متعددة الحلقات ، بين الله والإنسان ، حتى إن كان هو أسمى هذه الحلقات ، وأقربها جميعا إلى الله .

هناك أيضاً مأخذ آخر ، على أولئك الهراطقة ، الذين يشير إليهم « يهوذا » ، وهذا المأخذ ، متفق تماماً ، مع مالدينا من معلومات عن الغنوسيين . ففى عدد (١٩) ، يصف « يهوذا » هؤلاء الهراطقة ، بأنهم « معتزلون بأنفسهم » ، والكلمة اليونانية التى يستخدمها « يهوذا » ، كلمة نادرة الإستعمال هى « آپوديور يزين » ، وهى تحوى الأصل « هورس » ، ومعناها محدود ، وفى أضبط المخطوطات لانجد كلمة « بأنفسهم » ، وهكذا لاتكون الترجمة « المعتزلون » ، وإنما كما أوردها « د . موفات » فى ترجمته للعهد الجديد ، « الذين يميزون أنفسهم عن الآخرين » ، فهؤلاء الهراطقة ، أظهروا نوعاً من الطبقية بين أعضاء الكنيسة .

والآن ترى ماهى الميزات التى تفرد بها هؤلاء الهراطقة ، والتى تفصلهم عن الآخرين ؟ كما سبق ورأينا ، يوجد بين الإنسان وبين الله ، عدد

لاحصر له من الأيونات ، والكائنات الروحية ، فإذا ماشاء الإنسان أن يتصل بالله ، عليه أن يرتقى سلما طويلا ، يعبر عن طريقه ، هذا الفاصل الممتد ، بين الله وبين الإنسان .

وقال الغنوسيون : إنه من الممكن ، أن يتم الاتصال بين الإنسان وبين الله ، عن طريق عدة تدريبات وممارسات خاصة ومعقدة ، يؤديها هذا الإنسان ، بعناية فائقة وحرص شديد .

ومطلوب من الإنسان أن يواصل الدراسة والتدريب ، ويداوم عليهما ، حتى يصل إلى المعرفة العميقة ، هذه المعرفة التى لايستطيع أن يصل إليها ، غير قلة من الناس . ولهذا السبب ، قسم الغنوسيون الناس إلى فريقين : فريق الـ . . « پنيما تيكوى » ، وفريق الـ . . « پسكيكوى » فالكلمة اليونانية « پنيما » تعنى روح الإنسان ، التى تتجه بالشخص إلى الله ، وعلى هذا ففريق الروحانيين ، هم أولئك الناس الشرفاء الحكماء ، الذين يتمتعون بشفافية روحية ، وبقدر كبير من الذكاء ، وهم القادرون على ارتقاء السلم الطويل ، والوصول إلى الله . وهؤلاء الروحانيون ، قال عنهم الغنوسيون ، إنهم روحيون ، ومطلعون ، لدرجة تمكنهم من أن يكونوا على نفس المستوى ، الذى كان عليه « يسوع » . ويقول « ايرينايوس » ، إن بعضاً من الغنوسيين ، كانوا يؤمنون بأن الروحى الحقيقى ، يمكنه أن يتفوق على « يسوع » ، ويكون أفضل منه ، فيتحد اتحادا مباشراً بالله .

ومن ناحية أخرى ، كان هناك أولئك الذين يكتفون بالحياة العادية الطبيعية ، التى تشاطرهم فيها كل الكائنات الحية ، التى تشترك معهم فى احتوائها على عنصر الحياة الطبيعية ، كالنباتات والحيوانات وما إليها . وهؤلاء الناس العاديون ، لم ترتق أرواحهم ، وليست لديهم القدرة على بذل أى

بجهود ذهني ، للحصول على الحكمة العقلية ، التي تعينهم على إرتقاء السلم الطويل لمؤدى إلى الله .

وهكذا ، اعتبر الغنوسيون الناس مجموعتين ، الصفوة المختارة ، وهؤلاء هم قلائل ، القادرون على السير في درب المعرفة الطويل ، بحثاً عن الله ، وطلباً له ، ما المجموعة الثانية ، فتضم الناس العاديين ، الذين يفتقرون إلى مايؤهلهم ، وصول إلى المعرفة ، التي بدونها ، لن يصل أحد إلى الله . والروحيون ، كما يقول الغنوسيون ، قلة ضئيلة مختارة ، أما بقية الناس ، فهم أشخاص ماديون ، غير روحيين .

وواضح أن هذا النوع من الاعتقاد ، يؤدى بالطبع ، إلى قيام طبقة رستقراطية في داخل الكنيسة ، وهذا هو عين ماحدث فعلا ، كما أنه أدى ، لى نوع من الانتفاخ الروحى ، وهكذا ظهر في الكنيسة ، أشر وأردأ أنواع لكبرياء .

من هذا نرى أن الهراطقة ، الذين يتصدى لهم « يهوذا » ، كانوا أناساً ، نكروا وحدانية الله ، ونادوا بوجود إلهين ، الإله الخالق ، وهو إله جاهل ، إله حقيقى روحى . كما أنهم أنكروا وحدانية « المسيح يسوع » ، ولم يروا يه ، سوى حلقة واحدة ، ضمن مجموعة من الحلقات ، الكائنة بين الله الإنسان ، كما نادوا كذلك بوجود طبقات في داخل الكنيسة ، وحصروا لأخوة والشركة المسيحية ، في نطاق الأقلية الضئيلة العارفة ، في الدائرة التي تحيط بهم وحدهم ، كفئة متميزة في داخل الكنيسة .

نكار الملائكة :

٣ ــ سلفت الإشارة ، إلى أن هؤلاء الهراطقة ، قد أنكروا الملائكة افتروا عليهم ، إنهم كانوا « يتهاونون بالسيادة ، ويفترون على ذوى الأمجاد »

عدد (٨) . والسيادة والسلطان ، كلمتان يهوديتان ، يعبر بهما اليهود ، عن رتب موجودة بين طغمات الملائكة ، بحسب الفكر اليهودى . وفى عدد (٩) ، نجد إشارة إلى رفع جسد « موسى » ، حيث نجد القول ، إن « ميخائيل » رئيس الملائكة ، قد أوكل إليه أمر القيام بدفن جسد « موسى » ، لكن الشيطان قاومه ، وحاول منعه من القيام بهذه المهمة ، محاجا إياه حول الجسد . ولم يتخذ رئيس الملائكة ، أى إجراء ضد الشيطان ، سوى قوله له : « لينتهرك الرب». وإذا كان « ميخائيل » فى هذا الموقف ، رغم كونه رئيساً للملائكة ، لم يتفوه بكلمة شريرة ضد الشيطان ، فبالتالى ، لايحق للبشر ، أن ينطقوا بكلمة واحدة شريرة ، فى حق الملائكة .

وكانت لليهود عقيدة مفصلة بشأن الملائكة ، فكل أمة لها ملاكها الحارس ، وكل إنسان ، وكل طفل ، له ملاكه ، وكل قوة من قوات الطبيعة أيضاً لها ملاكها ، ملاك للبحر ، وآخر للنار ، وملاك آخر للريح . وكل شيء آخر له ملاكه . أى أن الطبيعة بكل قواتها ، خاضعة لسلطان الملائكة ، بل إنهم ذهبوا إلى حد القول ، بأن كل ورقة من أوراق النباتات ، لها ملاكها .

وواضح من رسالة « يهوذا » ، أن الهراطقة ، هاجموا الملائكة ، وقالوا إنهم خدام للإله الخالق الشرير ، الجاهل ، المعادى للإله الحقيقى . كما قالوا ، إن المسيحى لاشأن له بالملائكة . ولا يمكننا الجزم بما كان وراء هذا القول ، لكننا نستطيع أن نؤكد ، أن احتقار الملائكة ، كان غلطة أخرى ، تضاف إلى القائمة السوداء ، التى تتضمن الأخطاء العديدة ، التى كانت تزخر بها أفكار الغنوسيين . وقد كان هذا أمرا رديئاً فى نظر «يهوذا» .

يهوذا والعهد الجديد :

علينا الآن أن نتقدم . لمعرفة شيء ، عن تاريخ كتابة الرسالة ، وشخصية كاتبها . عند القيام بجمع أسفار العهد الجديد ، لم تقبل رسالة يهوذا . كأحد أسفاره القانونية . إلا بعد جهد جهيد ، وإلى عهد قريب ، كانت هذه الرسالة فى عداد الأسفار . التى يدور حولها لغط كثير ، ولم تحظ بالقبول الكامل ، كجزء من العهد الجديد ، إلا فى عصر متأخر ، وها نحن نورد فيما يلى آراء الآباء والدارسين ، من بين أعضاء الكنيسة الأولى ، حول هذه الرسالة :

رسالة يهوذا . محسوبة ضمن أسفار العهد الجديد ، التى يضمها القانون الموراتورى ، الذى يرجع تاريخه إلى سنة ١٧٠ م . ، والذى كان يحوى قائمةشبه رسمية ، بالأسفار القانونية ،التى قبلتها كنيسة رومية فى ذلك الوقت . والغريب أن هذا القانون فى صيغته العبرية ، لا يتضمن الرسالة إلى العبرانيين ، ولارسالة بطرس الأولى ، لكن بعد ذلك ، شك بعضهم فى قانونية رسالة يهوذا .

وفى القرن الثالث ، وحوالى منتصفه ، عرف « أوريجانوس » رسالة يهوذا ، واستخدمها ، لكن بحذر شديد جداً ، ومع هذا ، كان هناك شك كبير عند كثيرين ، من جهة قانونيتها .

وفى منتصف القرن الرابع ، قام واحد من أعظم الدارسين فى ذلك الوقت ، هو « يوسابيوس » ، هذا قام باجراء دراسة تحليلية مفصلة ، حول مركز الأسفار المختلفة ، التى كانت تستخدمها الكنيسة آنذاك . وقد وضع رسالة يهوذا ، بين الأسفار التى لم يستقر الرأى بشأنها بعد ، والتى تعتبر غير قانونية ، رغم أن كثيرين يقبلونها .

و«ايرونيموس» الشهير بجيروم ، الذى ترجم الفوجاتا ، كان يشك فى قانونية رسالة يهوذا ، ويوضح لنا الأسباب التى دعته إلى التردد فى قبولها ، وأغرب شىء حول هذه الرسالة ، هو أنها تشير إلى أسفار غير موجودة ضمن أسفار العهد القديم ، كما أنها تشير إلى بعض الأسفار غير القانونية (الأبوكريفا) ، التى كتبت فيما بين العهدين . وعلى سبيل المثال يشير عدد(٩) إلى المحاجة التى تمت بين الشيطان ، وبين رئيس الملائكة « ميخائيل » ، حول جسد « موسى » ، وهذه القصة مأخوذة عن كتاب « رفع جسد موسى » ، وهو واحد من كتب الأبوكريفا اليهودية . وفى عدد (١٤) يحذو يهوذا حذو غيره من كتاب العهد الجديد ، فيقتبس جزءاً من نبوة مأخوذة عن « سفر أخنوخ » ، لإثبات صحة كلامه ، الأمر الذى يشير إلى أنه كان يعتبرها نبوة حقيقية .

ويقول لنا «ايرونيموس» ، إن « يهوذا » قد اعتاد على الاقتباس من الأسفار غير القانونية ، ولعل هذا هو السبب الذى دعا البعض إلى الإشتباه فى أمره ، وفى أمر رسالته .

ولم يبدأ الدفاع عن «يهوذا» إلا بعد منتصف القرن الثالث ، وقد بدأ هذا الدفاع فى الإسكندرية . والذى بدأه هو « ديمتريوس » . وفى عددى (١٧ و ١٨) يشير « يهوذا » إلى كلام قاله الرسل ، مع أن هذا الكلام ليس له مثيل بين تلك الأقوال .

تاريخ كتابة الرسالة :

هناك إشارات محدودة ، إلى أن رسالة يهوذا من الأسفار المتأخرة ، ففيها نجد الإشارة إلى الإيمان المسلم إلى القديسين (عدد ٣) ، وهذا يعنى أنها

كتبت بعد أن تسلم القديسون الإيمان . بفترة من الزمان . أى أنها كتبت فى عصر ، إزدهر فيه الإيمان القويم . وفى عددى (١٧و١٨) يحث « يهوذا » المؤمنين على تذكر ماقاله لهم رسل ربنا يسوع المسيح ؛ الأمر الذى يوحى . بأنه فى وقت كتابة الرسالة ، لم يكن أحد من أولئك الرسل . على قيد الحياة . ولهذا السبب . كانت الكنيسة ترجع ، إلى تذكرما نادوا به . وعلموه فى أيامهم .

والجو الذى كتبت فيه الرسالة ، يشير إلى أنها كتبت فى عصر متأخر . لكن لايفوتنا أن نذكر ، أننا نجد فى رسالة بطرس الثانية ، شيئاً مما ورد فى رسالة يهوذا . وأى واحد ، لايفوته أن يلحظ الإرتباط الوثيق ، بين رسالة يهوذا . والأصحاح الثانى من رسالة بطرس الثانية . ومن المؤكد ، أن واحداً من الإثنين ، كانت لديه رسالة رفيقه ، ونقل عنها . كما أنه من الأرجح ، أن رسالة يهوذا ، كانت فى حوزة « بطرس الرسول » . وعلى هذا الأساس ، يمكن القول ، إن رسالة يهوذا ، لم تظهر فى عصر متأخر جداً ، حتى إذا لم تكن من الرسائل المبكرة .

واضح أن « يهوذا » يرجع بالذاكرة إلى الوراء ، إلى أيام الرسل . لكنه واضح أيضاً ، أنه لم يكن باقياً على قيد الحياة منهم سوى « يوحنا» ، لأنهم فى عام ٧٠ م . . كانوا قد رقدوا أجمعين . وباعتبار أن رسالة يهوذا ، تشير إلى أيام الرسل ، على أنها فترة بعيدة ، وأن رسالة بطرس الثانية ، تنقل مما جاء فى رسالة يهوذا ، يمكن القول ، إن أنسب تاريخ نحدده لكتابة رسالة يهوذا ، هو بين عامى ٨٠ ، ٩٠ م .

كاتب الرسالة :

يجدر بنا أن نتساءل الآن ، من هو يهوذا هذا ؟ من هو كاتب هذه الرسالة ؟ إنه يدعو نفسه خادم يسوع المسيح . وفى العهد الجديد ، خمسة أشخاص ، كل منهم يحمل اسم « يهوذا » :

١ – « يهوذا الدمشقى » ، الذى كان « شاول » يصلى فى بيته ، بعد اهتدائه على طريق دمشق (أعمال الرسل ٩ : ١١) .

٢ – « يهوذا برسابا » ، أحد المبرزين فى مجالس الكنيسة ، وهو الذى حمل مع « سيلا » ، قرار مجمع أورشليم ، عندما فتحت الكنيسة ، أبوابها للأمم (أعمال الرسل ١٥ : ٢٢ و٢٧ و٣٢) ، ويهوذا هذا ، كان نبياً .

٣ – « يهوذا الإسخريوطى » .

وليس بين هؤلاء الثلاثة ، من يعتبر مهماً لدرجة تدعونا لأن ننسب إليه كتابة هذه الرسالة .

٤ – يوجد يهوذا آخر ، وهو واحد من الرسل ، يقول عنه « يوحنا » ، « يهوذا » ليس الإسخريوطى ، وفى قائمة الرسل ، التى أوردها « لوقا » فى بشارته ، نجد « يهوذا أخو يعقوب » (بشارة لوقا ٦ : ١٦ ، أعمال الرسل ١ : ١٣) . وهذا هو الشخص المرشح لأن يكون كاتباً للرسالة. «ترتليانوس» يدعو كاتب هذه الرسالة « يهوذا الرسول » ، لكن فى النص اليونانى ، هذا الرجل يدعى « يهوذا الذى ليعقوب » . وأيضاً كلمة « أخو » فى المواضع المشار إليها آنفا ، مكتوبة بأحرف مائلة ، إشارة إلى عدم وجودها فى النص اليونانى ، ولكن المترجمين هم الذين وضعوها ، ثم شاع استخدامها بعد

ذلك ، وهذا يعنى ، أن « يهوذا » الذى ورد اسمه فى قائمة الرسل الإثنى عشر ، هو ابن يعقوب ، وليس أخاه ، وهذا هو الرأى ، الذى يقول به ، كل مترجمى الكتاب المقدس فى أيامنا .

٥ – بعد ذلك . يتبقى لدينا شخص آخر ، يدعى « يهوذا » فى العهد الجديد ، ذلكم هو « يهوذا أخو الرب » ، الذى كان أيضاً واحداً من إخوة « يسوع » (بشارة متى ١٣ : ٥٥ ، بشارة مرقس ٦ : ٣) . ولو أنَّ كاتب رسالة يهوذا ، كان واحداً ممن أشرنا إليهم ، من الأشخاص المذكورين فى العهد الجديد ، والذين حمل كل منهم إسم « يهوذا » . يكون كاتبها هو هذا الشخص : الذى يستحق أن يدعى بحق « أخو يعقوب » ، الذى كان واحداً من إخوة « يسوع » .

بعد ذلك نأتى إلى سؤال : هل يمكن أن نعتبر « يهوذا أخو الرب » ، كاتباً لهذه الرسالة ؟ وإذا كان الأمر كذلك ، وجب أن تكون لهذه الرسالة أهمية خاصة .

والآن ، دعونا نتقدم ، لندرس الاعتراضات القائلة ، إن كاتب هذه الرسالة ، ليس هو « يهوذا أخو يسوع » .

١ – يقولون ، لوكان كاتبها هو « يهوذا أخو يسوع » ، فلماذا لم يقل ذلك ؟ ولماذا يقول عن نفسه ، إنه هو أخو « يعقوب » . الرد على هذا الإعتراض هو ، أن « يهوذا » كان متواضعاً ، لدرجة أنه لم يشأ أن يشير إلى نفسه بهذا اللقب العظيم . وحتى إن كان بالفعل أخا يسوع ، إلا أنه فى تواضعه ، فضل أن يدعو نفسه « خادم يسوع المسيح » ، لأنه فى هذه الحالة ، لم يكن يسوع أخاه فقط ، وإنما كان ربه وسيده أيضاً . فضلا عن هذا ،

من المحتمل أن يكون « يهوذا أخو يعقوب » ، قد قضى كل أيام حياته فى فلسطين ، لم يبرحها . وعلى هذا تكون كنيسة أورشليم ، هى الكنيسة الوحيدة التى عرفها ، وبغير شك كان « يعقوب » هو رأس هذه الكنيسة . وإذا كان يكتب إلى كنائس فى فلسطين ، كان عليه أن ينبر على صلته بيعقوب . وعند هذه النقطة ، كان يبدو غريباً ومدهشاً ، أن يشير « يهوذا» إلى نفسه ، على أنه أخو « يسوع المسيح » وليس خادمه .

٢ — يعترض البعض ، بأن « يهوذا » يدعو نفسه خادم الله ، كما يدعو نفسه رسولا أيضاً ، وأنبياء العهد القديم فقط ، هم الذين كانوا يحملون لقب « خدام الله » . وفى القديم ، كان الله يعلن لعبيده الأنبياء ، كل ما كان مزمعا أن يفعله قبل حدوثه (عاموس ٣ : ٧) ، واللقب الذى كان يحمله أنبياء العهد القديم ، أصبح لقباً للرسل فى العهد الجديد . فبولس يتحدث عن نفسه كخادم ليسوع المسيح (رسالة رومية ١ : ١ ، رسالة فيلبى ١ : ١) ، كما أنه يشير إلى نفسه بهذا اللقب أيضاً ، فى الرسائل الرعوية (رسالة تيطس ١ : ١) ، « ويعقوب الرسول » أطلق على نفسه هذا اللقب عينه (يعقوب ١ : ١) . وهناك ردان على هذا الاعتراض ، أولهما هو أن لقب خادم « يسوع المسيح » لم يقتصر استخدامه على الرسل وحدهم ، لأن « بولس » لقب به « تيموتاوس » (رسالة فيلبى ١ : ١) . وحتى إذا كان بمضمونه الأشمل ، يقتصر على جماعة الرسل ، إلا أننا نجد أنه بعد الصعود ، كان إخوة « يسوع » مع جماعة التلاميذ (أعمال الرسل ١ : ١٤) ، ولاشك فى أن « يهوذا » كان بينهم ، كما كان «يعقوب» كذلك . ونحن نعلم أن إخوة « يسوع » ، كانوا على الدوام ، شركاء فى الخدمة التبشيرية التى تقوم بها الكنيسة (رسالة كورنثوس الأولى ٩ : ٥) ، ودليل كهذا يمكن أن يقنعنا ،

بأن « يهوذا » أخا « يسوع » كان ضمن الدائرة الرسولية ، وعلى هذا كان من حقه أن يحمل لقب « خادم الله » .

٣ - يقال إن « يهوذا » الذى فى فلسطين ، الذى كان أخا « يسوع » ، لم يكن يقدر على الكتابة باليونانية ، لأنه لم يكن يعرف ، غير اللغة الآرامية ، لكن هذا اعتراض ساقط من أساسه . لأنه من المؤكد أن « يهوذا » كان يجيد اليونانية ، لأنها كانت لغة الثقافة فى العالم القديم ، ولهذا كان جميع الناس يجيدون اليونانية ، بالإضافة إلى لغاتهم الأصلية . واليونانية التى كان يعرفها « يهوذا » ، كانت لغة خشنه وقوية . وربما كان قد كتبها بنفسه ، أو عن طريق مساعد أو مترجم ، كما فعل « بطرس » حين استعان بسلوانس ، فى كتابة رسالته الأولى .

٤ - قد يقول البعض ، إن رسالة يهوذا تهاجم الهرطقة الغنوسية ، وهذه الهرطقة كانت مذهبا من المذاهب الفكرية اليونانية ، أكثر من كونها فكرة يهودية . فما هو الدافع الذى يدفع يهوذا الفلسطينى ، إلى الكتابة إلى أناس يونانيين ؟ والحقيقة هى أن هذه الفلسفة الغنوسية ، مضادة تماما للفكر اليهودى المستقيم ، لأن الناموس الإلهى ، هو المحور الرئيسى ، والمحرك ، والدافع ، لكل تصرف يهودى ، والإيمان بوحدانية الله ، هو الفكر الرئيسى فى العقيدة اليهودية . كما أن اعتقادهم من جهة الملائكة ، كان يختلف اختلافا بينا ، عن الأفكار المشار إليها فى رسالة « يهوذا » . وليس من الصعب علينا أن نقرر ، أن بعض اليهود ، بعد اعتناقهم المسيحية ، اندفعوا فى التطرف إلى الجانب الآخر المضاد ، لأن هذا هو شأن الإنسان . ولا شك فى أن بعض اليهود ، الذين ظلوا طوال حياتهم ، عبيداً للناموس ، هؤلاء عندما اكتشفوا النعمة ، تطرفوا فى تمسكهم بها ، واتباعها ، لدرجة أوصلتهم إلى حد

الإستباحة ، وكان هذا رد فعل طبيعياً ، للتحرر من الناموس ، الذى ظل هؤلاء الناس ، مستعبدين له ولوصاياه ، ردحا طويلا من الزمان .

وليس هناك مبرر للقول ، باستحالة وصول جماعة من اليهود ، إلى حد إنكار وحدانية الله ، والتعدى على الملائكة ، كرد فعل عنيف ، لطول تمسكهم بعقائد أخرى ، وهكذا يمكننا القول ، إن الهراطقة الذين يهاجمهم « يهوذا » فى رسالته ، كانوا بالفعل ، جماعة يهودية ، دخلت المسيحية ، لا لأنهم آمنوا بعقائدها ، وإنما لأنهم ، كانوا قد ارتدوا عن اليهودية . ولم تكن المسيحية فى نظرهم ، طريقاً جديداً للحياة ، وإنما رد فعل مضاد لإيمانهم الشخصى .

٥ ــ أخيراً ، يبقى الإعتراض القائل ، إن هذه الرسالة لوعرفت ، على أن كاتبها هو « يهوذا » أخو « يسوع » ، لما تطلب الأمر كل ذلك الوقت ، الذى احتاجت إليه ، للإعتراف بقانونيتها ، ووضعها بين أسفار العهد الجديد ، المعترف بها ، لأن رسالة يكتبها واحد من إخوة « يسوع » ، لابد وأنها كانت توضع فوراً ، بين الأسفار القانونية . لكن الحقيقة هى ، أنه قبل انتهاء القرن الأول الميلادى ، كان معظم أعضاء الكنيسة من الأمم ، وهؤلاء كانوا يعتبرون اليهود أعداء ومقاومين ، ولاشك أيضاً ، فى أنه فى أيام حياة « يسوع » على الأرض ، كان إخوته فى الحقيقة أعداء له ، وربما كان هذا هو السبب ، فى الإعتراض على ضم رسالة « يهوذا » ، إلى أسفار العهد الجديد ، لأنها رسالة يهودية .

« يهوذا » أخو « يسوع » :

إن لم يكن كاتب هذه الرسالة هو « يهوذا أخو يسوع » ، فأى واحد

إذن ، ممن حملوا نفس هذا الإسم ، يكون كاتبها ؟ هناك اثنان فقط ، يحتمل أن يكون أحدهما هو كاتب هذه الرسالة :

١ — لاشك فى أن كاتب الرسالة ، شخص يدعى « يهوذا » ، لانعرف عنه شيئاً غير اسمه ، لكن هذه النظرية ، تواجه صعوبة مزدوجة :

أولا — يحتمل أن يكون كاتبها هو « يهوذا أخو يعقوب » ، كما أنه

ثانياً — من الصعب إيضاح الطريقة ، التى بها وصلت هذه الرسالة ، إلى ما وصلت إليه ، من تقدير واعتبار ، وما صار لها من سلطان ، إن كان يهوذا كاتبها ، كما يقولون ، شخصا غير معروف .

٢ — يقال إن هذه الرسالة تحمل إسماً مستعاراً ، وأن كاتبها مجهول ، نسبها إلى « يهوذا » ، وكانت هذه عادة متبعة فى العالم القديم ، خصوصاً فى فترة ما بين العهدين ، حيث نجد العديد من الكتابات والمقالات ، التى نسبها كاتبوها إلى « موسى » ، «وأخنوخ » ، « وباروخ » ، « وإشعياء » ، « وسليمان » ، وكثيرين غيرهم ، وفى ذلك الوقت ، لم يكن هناك مأخذ على هذا التصرف .

لكن لنا على رسالة « يهوذا » ملاحظتان :

(ا) كل تلك الكتابات ، وجدناها منسوبة إلى أشخاص من ذوى الأسماء اللامعة ، الذين يعرفهم الخاص والعام ، فى كل مكان ، من أمثال الأنبياء ، والملوك ، والأبطال العظام ، أسماء يعرفها الجميع ، ولايمكن أن يخطىء أحد فى معرفة أصحابها . لكن « يهوذا » أخا الرب ، كان شخصاً لايعرفه أحد البتة ، كما لم يكن هناك من عرف ، أو يعرف ، شيئاً عنه ، فلم يكن ذا شأن

بين أصحاب الأسماء الرنانة فى الكنيسة الأولى ، ولم يكن لاسمه أى معنى على الإطلاق .

وهناك قصة تقول ، إنه فى أيام « ذوميتيان » ، لم تكن المسيحية قد انتشرت ، وجاءت الأنباء إلى السلطات الرومانية ، بأنه يوجد أشخاص أحياء، ممن يتصل نسبهم بيسوع ، ومن بين هؤلاء كان أحفاد « يهوذا » ، وقداعتقد الرومان ، أنه من الممكن أن يلتف الناس حول البقية الباقية من أقارب « يسوع » ، وأن هؤلاء قد يقودونهم فى تمرد مسيحى ضد السلطات . فصدرت الأوامر ، بأن يسلم هؤلاء ذواتهم للسلطات ، وعندما فعلوا ، رأى الحكام أنهم من الكادحين البسطاء ، الذين لا يشكلون أى خطر ، فسمحوا لهم بالعودة إلى ديارهم ، وممارسة شئون حياتهم العادية .

وواضح أن « يهوذا » هذا ، هو يهوذا المجهول ، وعليه ، فليس ثمة ما يدعو ، لأن يكتب واحد رسالة أو كتاباً ، ثم ينسبه إلى شخص مجهول .

ولاشك فى أنه أشير إلى شخصية كاتب الرسالة ، بكل وضوح وتميز . ولو أنه كان هو أخا الرب ، لما تردد فى إيضاح ذلك ، بطريقة لاتترك مجالا لأى لبس .

والحقيقة المؤكدة ، هى أننا لانعرف بوضوح شخصية كاتب الرسالة ، وهذا يناقض القول ، بأن شخصاً آخر هو الذى كتبها ، ثم نسبها زوراً إلى « يهوذا » .

وعندما نقرأ هذه الرسالة ، يتضح لنا ، أنها رسالة يهودية ، ففيها إشارات ، لايستطيع أن يقدمها ، إلا شخص يهودى يفهمها جيداً . كما أن غير اليهودى ، لايفهم مطلقاً هذه الإشارات . وهى رسالة بسيطة وفظة ، كما

أنها زاهية وذات أسلوب تصويرى ، والواضح أنها ليست من يد لاهوتى عميق ، وإنما سطرها قلم مفكر بسيط ، وهى أنسب ما يكون ليهوذا أخى ربنا ، خاصة وأنها تحمل اسمه ، ولم يكن هناك مايدعو إلى ذلك ، لو لم يكن هو كاتبها الأصلى .

وأعتقد أننا لانكون مخطئين عندما نقول ، إن كاتب هذه الرسالة الصغيرة ، هو « يهوذا » أخو يسوع .

رسالة يهوذا

ما معنى أن تكون مسيحياً ؟

يَهُوذَا عَبْدُ يَسُوعَ ٱلْمَسِيحِ وَأَخُو يَعْقُوبَ إِلَى ٱلْمَدْعُوِّينَ ٱلْمُقَدَّسِينَ فِي ٱللهِ ٱلْآبِ وَٱلْمَحْفُوظِينَ لِيَسُوعَ ٱلْمَسِيحِ لِتَكْثُرْ لَكُمُ ٱلرَّحْمَةُ وَالسَّلاَمُ وَٱلْمَحَبَّةُ .

(رسالة يهوذا ١ و ٢)

لاشيء يكشف حقيقة الإنسان ومعدنه ، أكثر من حديثه هو عن نفسه ، كما أنه لايوجد ، ما يوضح ما فى داخل هذا الإنسان ، قدر ماتفعل الألقاب التى يحب أن يعرف بها بين الناس .

« ويهوذا » يقدم نفسه ، على أنه عبد « يسوع المسيح » ، وأخو «يعقوب» ، وهذا يوضح لنا أمرين عن « يهوذا »

١ — كان يكتفى بأن يكون له المركز الثانى ، ولم يكن معروفا مثلما كان « يعقوب » ، وكان يكفيه أن يعرفه الناس على أنه أخوه . وهو فى هذا شبيه تماماً لاندراوس ، الذى نقرأ عنه أنه « أندراوس أخو سمعان بطرس » (بشارة يوحنا ٦ : ٨) ، وكان أندراوس مكتفياً بهذا الوصف ، أخو « بطرس » ، الذى طبقت شهرته الآفاق وكل من « يهوذا » ، « وأندراوس » ،

قبل المركز الثانى بكل رضاً وعن طيب خاطر ، دون أن يخالج أى واحد منهما ، أى شعور بالغيرة تجاه أخيه ، الذى كتب عليه أن يعيش فى ظله ، وكانت هذه نعمة كبرى وهبها الله لهما .

٢ ـ كان أعظم شرف ، تهفو إليه نفس « يهوذا » ، هو أن يحمل لقب « عبد يسوع المسيح » . أى أن « يسوع » كان السيد ، « ويهوذا » عبد لهذا السيد ، وكان الهدف الأوحد ليهوذا ، هو وضع نفسه ، رهن إشارة سيده ، يحقق إرادته ، وإنه لأعظم مجد يمكن أن يبلغه المسيحى ، أن يكون نافعاً فى خدمة « يسوع المسيح » .

وفى هذه المقدمة ، التى قدم بها رسالته ، يستخدم «يهوذا» ثلاث كلمات ، يصف بها المسيحى :

١ ـ « المسيحيون مدعوو الله » . والكلمة اليونانية المترجمة يدعو هى « كاليين » ، وهى تستخدم فى مجالات ثلاث :

(ا) للتعبير عن دعوة الإنسان ، للقيام بأعباء منصب ، أو أداء واجب ، أو حمل مسئولية . كما تستخدم للإشارة إلى تكليف إنسان ما ، بالقيام بخدمة عامة لمدينته ، أو مجتمعه ، أو دولته . والمسيحى مدعو إلى عمل ، إلى واجب ، إلى مسئولية ، يتحملها فى خدمة المسيح .

(ب) هذه الكلمة تستخدم أيضاً ، للإشارة إلى دعوة إنسان إلى وليمة ، أو احتفال ، أى أنها تعبر عن الدعوة إلى حفل بهيج ، ومناسبة سعيدة ، وسارة . والمسيحى مدعو إلى الفرح والإبتهاج ، لكى يحل ضيفا فى وليمة الله .

(ﺣ) كما أنها تستخدم كذلك ، للتعبير عن إعلان الإنسان ، لحضور جلسة قضائية فى إحدى المحاكم ، لكى يقدم حساباً عن نفسه . والمسيحى فى خاتمة المطاف ، سوف يدعى للوقوف أمام كرسى المسيح .

وهكذا ، نرى المسيحى مدعوا لحمل مسئولية من أجل المسيح ، كما نراه مدعوا لكى يفرح فى المسيح ، ثم مدعوا لكى يعطى حساباً عن نفسه أمام المسيح .

٢ — المسيحيون محبوبون فى الله . وهذه هى الحقيقة العظمى ، التى تجسم طبيعة دعوتهم . فهم أناس مدعوون لكى يحبوا ويحبوا . إن الله يدعو الناس إلى عمل ، وإلى واجب ، لكن هذا العمل ، وهذا الواجب ، ليسا عبثاً عليهم بحال من الأحوال ، بل هما شرف يحظون به . كما يدعو الله الناس إلى خدمته ، وهذه الخدمة ليست خدمة المذلة والقهر والهوان ، لكنها خدمة الأخوة والصحبة . وفى النهاية يدعو الله الناس إلى المحاسبة ، وهذه المحاسبة ، ليست محاسبة العدل فقط ، لكنها محاسبة المحبة .

٣ — المسيحيون محفوظون فى المسيح . فالمسيحى ليس متروكا لكى يواجه الحياة بمفرده ، لأن « يسوع » دائماً يسير برفقته ، ويضمن سلامته ، طول الطريق . فالمسيحى ليس مدعوا فقط ، لكنه محفوظ .

إن المسيحى شخص مدعو من الله ، محبوب فى الله ، محفوظ فى المسيح .

دعوة الله

قبل الإنتقال إلى الفقرة التالية ، لهذه الفقرة الإفتتاحية ، دعونا نتوسع قليلا ، فى التفكير فى أمر هذه الدعوة الإلهية ، فى محاولة لاكتشاف بعض ماتتضمنه من المعانى :

١ — « بولس يتحدث عن دعوته ، لكى يكون رسولا (رسالة رومية ١ : ١ ، رسالة كورنثوس الأولى ١ : ١) . والكلمة اليونانية المترجمة رسولا ، هى « أپوستولوس » ، وهى مشتقة من الفعل « أپوستيللين » ، ومعناه « يرسل إلى الخارج » . فالرسول هو الشخص الذى يرسل إلى العالم ، لكى يكون سفيراً للمسيح . أو بمعنى آخر ، المسيحى ، شخص قد حظى بشرف تمثيله للمسيح ، يتكلم باسمه ، ويعمل فى خدمته ، وقد ينجح فى تقديم المسيح فى حياته للآخرين ، كما قد يفشل فى هذا .

٢ — يتحدث « بولس » أيضاً عن الدعوة لكى نكون قديسين (رومية ١ : ٧ ، كورنثوس الأولى ١ : ٢) وكلمة « قديس » فى اليونانية هى « هاجيوس » ، التى يمكن ترجمتها « مقدس » كذلك . والفكرة الرئيسية فى هذه الكلمة هى الإختلاف ، فالسبت مقدس لاختلافه عن بقية الأيام ، والله قدوس لأنه ليس كالبشر . فدعوة الإنسان لكى يكون قديساً ، معناها أنه مدعو لكى يكون مختلفاً عن الآخرين اختلافاً كلياً ، فى كل فكر ، فى كل كلمة ، فى كل حركة ، يختلف عن كل إنسان آخر ، وهذا الإختلاف ينبع من ضميره الداخلى ، ومثاله فى هذا كله ، هو شخص « المسيح يسوع » ، الذى يحس بأنه يحيا على الدوام فى حضرته .

فللعالم مبادئه وقيمه ، التى تختلف عن مبادىء الحياة المسيحية ، التى

تختلف عن هذا العالم ، فى إتخاذها المسيح مثلا أوحد ، وإعتبارها أن الولاء للمسيح ، هو القيمة المثلى والوحيدة ، التى ينبغى التمسك بها فى هذا العالم .

٣ — المسيحى مدعو بحسب قصد الله (رومية ٨ : ٢٨) . فدعوة الله ، مقدمة لكل إنسان ، مع أن البعض لن يقبلوها ، وهذا يعنى ، أن لله قصداً فى حياة كل إنسان . وقد قيل إن القدر هو الشيء الذى قدر علينا أن نفعله مرغمين ، كما قيل إن كل إنسان مسير ، لأن له مكاناً فى قصد الله ، والمسيحى هو الشخص ، الذى يسعى لتحقيق قصد الله ، ومشيئته فى حياته .

وما أكثر ما قاله « بولس» عن دعوة الله ، وهانحن بإيجاز ، نسرد تلك الأقوال :

ودعوة الله تضع أمام الإنسان رجاء عظيما (أفسس ١ : ٨ ، ٤ : ٤) ، وهذه الدعوة يجب أن يكون لها تأثير موحد ، لأن الناس يجب أن يجمعهم إقتناعهم ، بأن لهم دوراً يؤدونه ، فى مقاصد الله ودعوته (أفسس ٤ : ٤) ، ودعوة الله دعوة عليا (فيلبى ٣ : ١٤) . كما أنها دعوة تضع أقدام الإنسان على درب النجوم ، وهى دعوة سماوية (عبرانيين ٣ : ١) ، هى كذلك تجعل الإنسان يحصر كل تفكيره فى الأمور الأبدية التى لا ترى ، وهى تأتى إلى الإنسان من ذلك العالم البعيد ، عالم الخلود .

وهذه الدعوة أيضاً ، تجعل الإنسان يضع كل قلبه على ذلك العالم الأبدى ، وهى دعوة مقدسة ، دعوة للإنسان لكيلا يشاكل هذا الدهر كما سلفت الإشارة . إنها دعوة للإنسان لكى يكرس نفسه لله .

وهذه الدعوة ، تستطيع أن تغطى كل أعمال الإنسان ، وواجباته

العادية اليومية . فعمله اليومى جزء من دعوته التى دعى إليها (كورنثوس الأولى ٧ : ٢٠) . وهى دعوة ، من عند الله ؛ ولا يمكن أن يغير الله فكره (رومية ١١ : ٢٩) . وهى كذلك دعوة لاتعرف تمييزاً أو طبقية ، مما نراه متفشياً فى هذا العالم الذى يحيط بنا . إنها تتخطى كل أنواع التمييز والفواصل العالمية (كورنثوس الأولى ١ : ٢٦)

ومع أنها دعوة إلى الله ، لكنها لاتترك الإنسان عاطلا ، بغير عمل يؤديه ، فالمسيحى يجب أن يكون على مستوى هذه الدعوة ؛ ومستحقا لها (أفسس ٤ : ١ ، تسالونيكى الثانية ١ : ١١) . والحياة بجملتها ، ينبغى أن تكون جهداً دائماً متصلا ، لتأكيد هذه الدعوة وتثبيتها (بطرس الثانية ١ : ١٠) .

إن دعوة الله هى امتياز ، وتحدى . وإلهام الحياة المسيحية .

دفاع عن الإيمان

أَيُّهَا ٱلْأَحِبَّاءُ إِذْ كُنْتُ أَصْنَعُ كُلَّ ٱلْجَهْدِ لِأَكْتُبَ إِلَيْكُمْ عَنِ ٱلْخَلَاصِ ٱلْمُشْتَرَكِ ٱضْطُرِرْتُ أَنْ أَكْتُبَ إِلَيْكُمْ وَاعِظًا أَنْ تَجْتَهِدُوا لِأَجْلِ ٱلْإِيمَانِ ٱلْمُسَلَّمِ مَرَّةً لِلْقِدِّيسِينَ .

(رسالة يهوذا ٣)

هنا نجد المناسبة التى كتبت فيها هذه الرسالة ، فقد أراد « يهوذا » أن يكتب شرحا لأصول الإيمان المسيحى ، ذلك الإيمان المشترك بين جميع المسيحيين ، لكن بلغته أنباء أولئك الرجال الأشرار المضلين ، الذين كانوا قد انتشروا بين جماعات المؤمنين ، وراحوا يعلمون تعاليم فاسدة ، وعندئذ

اقتنع بأن عليه أن يكتب هذه الرسالة ، ويرجىء كتابة شرح أصول الإيمان، الذى كان قد فكر فى كتابته .

وقد أدرك « يهوذا » ، أن من واجبه أن يسهر على ملاحظة رعية الله ، ويهب مدافعاً عن عقيدتهم وإيمانهم ، الذى أصبح معرضاً للخطر ، فهب مدافعاً عن تلك العقيدة ، ضد كل شائبة وانحراف ، حتى يبقى إيمانهم قويما مستقيماً ، وفى سبيل هذا ، أرجأ العمل الذى كان عازماً على القيام به . وفى بعض الأوقات ، تكون كتابة نبذة صغيرة لخدمة الجيل الحاضر ، أفضل كثيراً من وضع شرح لأصول الإيمان ، لخدمة الأجيال القادمة . ويبدو أن الفرصة لم تسمح ليهوذا فيما بعد ، بكتابة ذلك الشرح الذى كان قد عزم على كتابته ، لكنه فى الحقيقة ، قدم للمسيح خدمة أعظم وأفضل ، بكتابته لهذه الرسالة المركزة ، والوافية فى الوقت عينه ، خدمة أفضل مما لو كان قد فعل ، لو أنه ترك لنا فقط ، شرحا مطولا لحقائق الإيمان .

وفى هذه الفقرة عدة حقائق ، عن ذلك الإيمان ، الذى كان يتمسك به « يهوذا » :

١ ــ الإيمان شىء يسلم لنا . فحقائق الإيمان المسيحى ، ليست من اكتشافنا أو تصنيفنا ، لكنها شىء تقليدى ، بكل ما فى هذه الكلمة من معنى . فهى عقيدة تسلمناها خلفاً عن سلف ، وترجع أخيراً إلى المسيح نفسه ، الذى سلمها لرسله ، وهؤلاء بدورهم ، سلموها للكنيسة بأجيالها المتعاقبة ، فى سلسلة متصلة الحلقات .

يضاف إلى هذا ، أن التقليد المسيحى ، لم يكتب إلا فى عصر متأخر . أما الأجيال الأولى ، فقد تناقلته شفاها جيلا بعد جيل ، إلى أن تم تدوينه .

وسلسلة التقليد المسيحى ، سلسلة حية ، تتكون حلقاتها من مجموعات الرجال والنساء الذين اختبروا قوة هذه الحقائق ، وفاعليتها .

٢ ــ الإيمان المسيحى سلم لنا مرة واحدة . أى أنه يمكن القول ، إن الإيمان المسيحى ثابت لا يتغير ، وهذا لا يعنى أنه إيمان جامد أو متحجر ، قد تجمد فى قالب واحد ، أو أنه ليس فى استطاعة أى جيل أن يعيد اكتشافه من جديد ، أو يعيد التعبير عنه فى صياغة جديدة تناسب العصر ، أو يتكرر إختباره لهذا الإيمان .

وإنما هذا يعنى ، أن هناك أساساً راسخاً ، يدور حوله هذا الإيمان ، وأن مجىء « يسوع » إلى العالم ، هو المركز الدائم والثابت . لهذا الإيمان ، وأنه بعد ما جاء إلى العالم ، مات من أجل البشر .

٣ ــ الإيمان المسيحى مسلم للقديسين . الذين أؤتمنوا عليه ، وهذا يعنى . أن الإيمان المسيحى ، ليس وقفاً ، أو حكراً ، على شخص بعينه . بل هو ملك مشاع للكنيسة بأسرها . فحقائق الإيمان أو العقيدة ، ليست ملكاً خاصا لأى شخص ، لكنها ملك لكل جماعة المؤمنين ، فى كل الكنيسة المسيحية . كما أن هذا الإيمان ، ليس من تفسير خاص ، وإنما يأتى إلينا ، عن طريق الكنيسة . ويتم حفظه وتفسيره فى داخلها .

٤ ــ الإيمان المسيحى . شىء يجب أن ندافع عنه ، ومن واجب كل مسيحى ، أن يكون حامياً للإيمان . ولئن كان التقليد المسيحى ، قد انتقل إلينا من خلال الأجيال المتعاقبة ، فهذا يعنى ،أننا نحن بدورنا ، علينا أن نصونه ، ثم نسلمه للأجيال القادمة ، كما هو ، سليما . بغير تبديل أو تعديل ، وإن كان من الصعب فى بعض الأوقات ، تنفيذ هذا الأمر .

والكلمة التى يستخدمها « يهوذا » للتعبير عن الدفاع عن الإيمان ، هى « إيباجو نزستاى » ، وهى تحتوى على أصل الكلمة الإنكليزية (Agony) ، ومعناها الألم والحزن .

فالدفاع عن الإيمان ، قد يكون أمراً شاقاً ومكلفا ، لكن حفظه والدفاع عنه ، واجب تلتزم به كل أجيال الكنيسة المسيحية ، وعلينا دائماً ، أن نسلم بدورنا ، لمن يأتى من بعدنا ، هذا الإيمان الذى سبق لنا أن تسلمناه .

الخطر الداخلى

لِأَنَّهُ دَخَلَ خُلْسَةً أُنَاسٌ قَدْ كُتِبُوا مُنْذُ ٱلْقَدِيمِ لِهٰذِهِ ٱلدَّيْنُونَةِ فُجَّارٌ يُحَوِّلُونَ نِعْمَةَ إِلٰهِنَا إِلَى ٱلدَّعَارَةِ وَيُنْكِرُونَ ٱلسَّيِّدَ ٱلْوَحِيدَ ٱللهَ وَرَبَّنَا يَسُوعَ ٱلْمَسِيحَ .

(رسالة يهوذا ٤)

وهذا الخطر هو الذى بسببه ، أرجأ «يهوذا» كتابة شرح حقائق الإيمان، الذى كان قد عزم على كتابته . ثم بعد ذلك ، أمسك بالقلم ، وسطر هذه الرسالة النارية .

فالخطر جاء من وسط الكنيسة ، من داخلها . لم يكن هناك أى خطر أو اضطهاد خارجى ، لكنه كان خطراً موجوداً فى قلب الكنيسة فى الداخل ، إذ كان بعض الأشخاص ، قد تسللوا خلسة ، ودخلوا إلى داخل الكنيسة . والكلمة اليونانية التى يستخدمها « يهوذا » هى كلمة « پاريسدوين » ، وهى كلمة قوية التعبير ، تستخدم للإشارة إلى كلمات الملق والنفاق ، التى

يرددها بنشاط وإلحاح شخص معترض ، للتأثير تدريجياً ، على فكر أحد القضاة أو المحلفين ، كما تستخدم للإشارة إلى شخص من الخارجين على القانون ، وهذا الشخص كان منفياً خارج الحدود ، لكنه عاد متسللا إلى الوطن . وهذه الكلمة تستخدم كذلك ، للتعبير عن التغيير التدريجي والبطيء ، الذي يحدث في دستور الأمة وتقاليدها ، والذي يؤدي في النهاية إلى تحطيم القوانين المتوارثة . وهي أيضاً تستخدم للتعبير عن أي شيء رديء ، يتفشى تدريجياً ، في أي دولة أو مجتمع .

ومن المؤكد ، أن أناساً فجارا ، كانوا قد دخلوا الكنيسة خلسة ، وهؤلاء كانوا أشخاصاً لادين لهم ، نجسين في حياتهم ، أفكارهم دنسة ، وكانت الدينونة في انتظارهم .

ويشير « يهوذا » إلى أمرين ، كان أولئك القوم يفعلونهما :

١ ـ كانوا يحولون نعمة ربنا إلى دعارة ، والكلمة اليونانية المترجمة « دعارة » ، والتي استخدمها « يهوذا » ، كلمة رهيبة وقاسية ، « أسلجيا » . والصفة التي تشتق منها هي « أسلجس » .

ومعظم الناس حين يخطئون ، يخطئون سرا وفي الخفاء ، لأن في داخلهم بقية من ضمير ، تؤنبهم عندما يفعلون الشر ، هذا التأنيب ، مضافاً إليه إحترامهم للرأي العام المحيط بهم ، يدفعانهم إلى ستر خطاياهم ، وحجبها عن عيون الناس ، لكن « الداعر » ، الـ « أسلجس » ، شخص فاقد للشرف والكرامة والإحساس ، لايأبه بشيء ، ولا يعتريه أي شعور بالخجل ، حين يرى الناس خطيته ، أو يكتشفون حقيقته ، وهؤلاء لايفعلون هذا عن غرور

أو كبرياء ، وإنما نتيجة لأنهم قد فقدوا الحس والشعور ، ولم تبق عندهم منهما بقية .

ولاشك فى أن هؤلاء ، كانوا من معتنقى الغنوسية ، ذلك المذهب الفكرى القائل ، بأن الروح فقط هى الخير ، والمادة كلها شر ، وما دام الأمر كذلك ، لا يهم مايفعله الإنسان بجسده ، طالما أن هذا الجسد شرير ؛ ولهذا يستطيع الإنسان بغير تحفظ ، أن يتمم كل شهوات الجسد . .

فضلا عن هذا ، كان هؤلاء يقولون ، إنه كلما كثرت الخطية ، إزدادت النعمة جداً ، هذه النعمة التى تستطيع أن تغطى كل خطايا الإنسان ، وهكذا يستطيع أن يفعل مايشاء من الخطايا ، ثم يلجأ بعد ذلك إلى النعمة ، التى تغفر له كل خطاياه ، وكلما توغل الإنسان فى الشر ، إزدادت جرعة النعمة التى تقدم له ، ومادام الأمر هكذا ، لاداعى للقلق من جهة الخطية ، فالنعمة كفيلة بعلاج الأمر ، وبهذه الطريقة حول هؤلاء الناس نعمة الله ، إلى تبرير لارتكابهم الشر .

٢ — كما أن هؤلاء أنكروا السيد الوحيد الله وربنا « يسوع المسيح » . وهناك أكثر من طريقة لإنكار « يسوع المسيح » :

(ا) يمكن للإنسان أن ينكره فى زمن الإضطهاد ، ويضحى به إيثاراً للسلامة ، وطلباً للنجاة .

(ب) يمكن إنكاره فى سبيل التمتع بحياة هادئة مستريحة ، عندما يرى الإنسان أن اعترافه بأنه مسيحى ، سيجلب عليه كثيراً من المتاعب والضيقات ، وما أكثر ما يجرب الإنسان ، بنسيان أنه مسيحى ، فى سبيل التمتع بالهدوء وراحة البال .

(ح) يستطيع الإنسان أن ينكر المسيح بحياته وسلوكه ، فقد يعترف بإيمانه بالمسيح - بلسانه وشفتيه ، بينما حياته وأعماله ، تكذبانه في هذا الإدعاء .

(د) تمكن أن ينكره الإنسان . بنشر تعاليم مضلة عنه . وطالما أن هؤلاء الرجال غنوسيون . فإن لديهم فكرتين خاطئتين عن شخص « يسوع » : الأولى هي أنه بما أن المادة شر . والجسد شر . لهذا السبب ، لم يكن ليسوع جسد حقيقي ، وأنه لم يكن سوى مظهر أوشبح تراءى للناس . والكلمة اليونانية « دوكين » . تعني « يظهر » أو « يتراءى » . وكان هؤلاء الرجال يدعون الدوكيتيين ، وكانوا ينكرون بشرية « يسوع المسيح » . وحقيقة تجسده . والفكرة الثانية هي أن هؤلاء الناس ، كانوا ينكرون وحدانية « يسوع المسيح » . بإيمانهم بوجود كائنات عديدة . كائنة بين المادة الشريرة ، التي يتكون منها هذا العالم ، وبين الروح الكامل الذي هو الله . كما آمنوا بأن « يسوع » واحد من هذه الكائنات العديدة ، الموجودة في الطريق المؤدي إلى الله .

ولا غرابة إن كان « يهوذا » قد انزعج . فقد رأى أمامه موقفاً خطيراً ، إذ كان هؤلاء الرجال قد تسللوا خلسة إلى الكنيسة . وجعلوا نعمة الله مبرراً لارتكاب الشرور والموبقات . وحولوا هذه النعمة إلى الدعارة ، وهي أحط دركات الشر . كما أنكروا بشرية المسيح . ووحدانيته .

الأمثلة المرعبة

فَأُرِيدُ أَنْ أُذَكِّرَكُمْ وَلَوْ عَلِمْتُمْ هٰذَا مَرَّةً أَنَّ ٱلرَّبَّ

بَعْدَ مَا خَلَّصَ ٱلشَّعْبَ مِنَ أَرْضِ مِصْرٍ أَهْلَكَ أَيْضاً ٱلَّذِينَ لَمْ يُؤْمِنُوا . وَٱلْمَلاَئِكَةُ ٱلَّذِينَ لَمْ يَحْفَظُوا رِيَاسَتَهُمْ بَلْ تَرَكُوا مَسْكَنَهُمْ حَفِظَهُمْ إِلَى دَيْنُونَةِ ٱلْيَوْمِ ٱلْعَظِيمِ بِقُيُودٍ أَبَدِيَّةٍ تَحْتَ ٱلظَّلاَمِ . كَمَا أَنَّ سَدُومَ وَعَمُورَةَ وَٱلْمُدُنَ ٱلَّتِي حَوْلَهُمَا إِذْ زَنَتْ عَلَى طَرِيقٍ مِثْلِهِمَا وَمَضَتْ وَرَاءَ جَسَدٍ آخَرَ جُعِلَتْ عِبْرَةً مُكَابِدَةً عِقَابَ نَارٍ أَبَدِيَّةٍ .

(رسالة يهوذا ٥ – ٧)

١ – مصير اسرائيل

لقد قدم « يهوذا » تحذيراً لهؤلاء الأشرار ، الذين كانوا يقلبون إيمان الكنيسة وحياتها ، وقال إنه لا يفعل شيئاً . غير تذكيرهم بأمور كانوا يعرفونها جيداً ، ويتحذرون منها ،ولا نجاوز حدود الصواب إن قلنا ، إن الوعظ المسيحى فى حد ذاته ، لايعدو أن يكون تقديم حق قديم سبقت للكنيسة معرفته ، فالوعظ المسيحى . ليس تقديماً لحق جديد ، لكنه شحذ للذاكرة لاستعادة ماسبق لها نسيانه ، من الأقوال التى ألقيت من قبل على مسامعها . إنه تذكير للكنيسة ، وللإنسان ، بحقيقة أمره ، ومن يكون .

ولفهم المثلين الأولين ، اللذين استخلصهما « يهوذا » من التاريخ . علينا أن نفهم أن أولئك القوم الأشرار ، الذين كانوا يفسدون الكنيسة ، لم يكونوا يعتبرون ذواتهم أعداء للكنيسة أو للمسيحيين . بل كانوا يعتبرون أنفسهم

مفكرين عصريين ؛ من مستوى أرفع من مستوى المسيحيين العاديين . إنهم كانوا يعتبرون أنفسهم كذلك ، الطبقة الأرستقراطية المستنيرة فى الكنيسة .

وقد اختار « يهوذا » أمثلته ، لكى يوضح أنه حتى إذا حصل الإنسان على أسمى الإمتيازات ، فإنه معرض للسقوط والخراب ، ويثبت أن أولئك الذين نالوا أعظم المواهب والإمتيازات الإلهية ، لايمكنهم أن يعتبروا ذواتهم ، قد بلغوا شاطىء الأمان والسلامة ؛ بل عليهم أن يسهروا على ذواتهم ، لكيلا يقعوا فى أى خطأ .

وقد اختار « يهوذا » المثل الأول الذى ساقه . من تاريخ إسرائيل ، وأخذه من القصة المذكورة فى سفر العدد (ص ١٣ و ١٤) . وهذه هى القصة : لقد أخرج الله الشعب من أرض العبودية ، ولا يمكن أن يكون هناك ما هو أعظم من هذا الأمر ، ثم تولى الله قيادتهم إلى أن بلغوا مشارف أرض الموعد ، وهذه عناية لا تعدلها عناية . وعند حدود أرض الموعد ، عندقادش برنيع ، أرسل الشعب جواسيسه لكى يتجسسوا الأرض ، قبل قيامهم بآخر غزوة لامتلاكها ، والإستيطان فيها ، ثم بعد ذلك عاد الجواسيس كلهم خائفين ، فيما عدا « كالب » و « يشوع » ، اللذين قالا ، إنهم قادرون على امتلاك الأرض ، فى الوقت الذى قال فيه الآخرون ، إن هناك مخاطر وصعاباً تحول بينهم وبين دخول الأرض . وعندما سمع الناس هذه الأقوال ، لم يلتفتوا إلى ماقاله « كالب » و « يشوع » ، وهم فى هذا كانوا غير طائعين لله ، وغير مؤمنين به .

لهذا السبب قال الله ، إنه لن يدخل واحد من أولئك أرض الموعد ، غير « كالب » ، و « يشوع » ، وجيل الشباب الذين كانوا قد ولدوا فى

البرية . وهكذا ظل الشعب فى البرية أربعين عاماً ، حتى مات كل أولئك العصاة المتمردين (سفر العدد ص ١٤ : ٣٢ و ٣٣ ، ص ٣٢ : ١٠ — ١٣) .

وهذا هو المثل المرعب ، مثل أولئك الذين أخرجهم الرب من أرض العبودية ، واعتنى بهم ورعاهم ، حتى أوصلهم إلى تخوم أرض الموعد ، لكن بعد كل هذا ، وبسبب عصيانهم ، وعدم إيمانهم ، سقطوا فى البرية .

وهذه هى فى الحقيقة الصورة التى كان متشبعاً بها ، ذهن كل من « بولس » ، وكاتب الرسالة إلى العبرانيين ، (أنظر كورنثوس الأولى ١٠ : ٥ — ١١ ، رسالة العبرانيين ٣ : ١٨ — ص ٤ : ٢) ، حيث نجد الدليل على أنه من الممكن أن يهلك الإنسان ، إن سقط قبل نهاية الشوط ، فى العصيان ، وعدم الإيمان ، حتى ولو كان من قبل ، قد تمتع بالكثير من المواهب والامتيازات .

ودكتور « جونستون جفرى » . . تحدث عن إنسان عظيم ، رفض حتى النهاية أن يكتب قصة حياته . طوال مدة بقائه على قيد الحياة ، وكان الرجل ، يعلل تصرفه هذا بقوله : « إنى رأيت كثيرين كانوا متقدمين ، لكنهم سقطوا وهم على وشك النهاية » . ومن التحذيرات التى قدمها « يوحنا وسلى » ، قوله : « لا يتكلن أحد على ما كان فى ماضى حياته من نعم ومن بركات ، معتبرا أنه قد أصبح فى مأمن » . و« يوحنا بنيان » يخبرنا ، أنه رأى فى حلمه طريقاً للجحيم . يبدأ من عند أبواب السماء .

وهكذا يفعل « يهوذا » ، إذ يحذر أولئك القوم ، بأنه أياً كانت امتيازاتهم ، وأياً كان سموهم ، فإن عليهم أن ينتبهوا ، لئلا يدركهم الخراب والدمار ، ونحن نفعل حسنا ، إن أصغينا جميعاً إلى هذا التحذير .

الأمثلة المرعبة

٢ ــ مصير الملائكة

أما المثل الثانى الذى يقدمه « يهوذا » ، فهو مثل الملائكة الساقطين ولدى « يهوذا » عقيدة مفصلة . بشأن الملائكة ، وطغماتهم ، ودرجاتهم . فالملائكة هم خدام الله ، وكان اليهود يتميزون باعتقادهم بأن كل أمة لها ملاك حاكم . وفى الترجمة السبعينية ، سفر التثنية (ص ٣٢ : ٨) ، نقرأ : « حين قسم العلى للأمم . حين فرق بنى آدم . نصب تخوما لشعوب حسب عدد بنى إسرائيل » ، وهذا يعنى أن كل أمة ، لها ملاك حارس .

وقد آمن اليهود بسقوط الملائكة ، وقد ذكر الكثير عنهم فى سفر أخنوخ ، وهو كتاب يعبر عن الفكر اليهودى . وبالنسبة لسقوط الملائكة ، يوجد فى التقليد اليهودى ، خطان متباينان :

١ ــ الأول يرى . أن الملائكة قد سقطوا ، بسبب كبريائهم . إنهم عصوا الله ، وتمردوا عليه ، وهذا التقليد يدور حول « لوسيفر » ، ملاك النور ، وبالأخص كوكب الصبح . ويكتب « إشعياء » : « كيف سقطت من السماء يازهرة نبت الصبح كيف قطعت إلى الأرض ياقاهر الأمم » (إشعياء ١٤ : ١٢) .

وعندما رجع السبعون تلميذا إلى « يسوع » ، وأخبروه بنجاح إرساليتهم ، حذرهم معلمهم من الكبرياء ، التى قد تترتب على هذا النجاح ، ثم قال لهم : « رأيت الشيطان ساقطاً مثل البرق من السماء » (بشارة لوقا ١٠ : ١٨) . وكانت الفكرة فى هذا ، هى أن حرباً أهلية قامت فى السماء ، وأن الملائكة

الذين تمردوا على الله طردوا من السماء ، وأن « لوسيفر » هو الذى كان قد قاد هذا التمرد .

٢ – المجرى الثانى للتقليد اليهودى ، يرجع إلى ماورد فى سفر التكوين (ص ٦ : ١ – ٤) حيث يقولون ، إن الملائكة قد جذبهم جمال نساء الأرض ، فتركوا السماء ، وتزوجوا منهن ، وهكذا سقطوا .

فى الحالة الأولى ، كانت الكبرياء هى السبب فى سقوط الملائكة ، وفى الحالة الثانية ، نجدهم قد سقطوا ، بسبب وقوعهم فى المحظور ، وفعل الأمور التى كانت محرمة عليهم .

ويمسك « يهوذا » فى يده بهذا الخيط ، ويقول ، إن الملائكة قد فقدوا وظائفهم ، ورتبتهم ، أو بمعنى آخر ، إنهم سقطوا ، لأنهم فعلوا ماليس لهم ، وطمعوا فى مركز غير مركزهم . كما يقول أيضاً ، إن الملائكة تركوا مسكنهم الصحيح ، أى أنهم تركوا السماويات ، لكى يأتوا ويسكنوا هذه الأرض ، ويعيشوا مع بنات الناس .

وهذا كله ، قد يبدو متناقضا وغريباً فى نظرنا ، كما أننا قد نقول ، إنه ضرب من الخيال ، ونوع من القصص والتقاليد ، وأن هذا العالم (عالم الملائكة) لم يعد له الآن وجود .

لكن التحذير الذى يقدمه « يهوذا » ، واضح غاية الوضوح . فالملائكة سقطوا لسببين : الكبرياء ، والشهوة . ورغم كونهم ملائكة ، يقطنون السماء ، ورغم أنهم كانوا قريبين من عرش الله ، رغم هذا كله ، قد أخطأوا ، وبسبب خطيتهم ، أصبحوا محفوظين ليوم الدين .

والجميع الذين قرأوا رسالة « يهوذا » ، وسمعوها للمرة الأولى ، كان الخط الفكرى الذى تدور حوله . واضحاً جد الوضوح . فسفر أخنوخ ، كان زاخراً بالكثير مما قيل عن سقوط الملائكة ، ومصيرهم ، وحفظهم للدينونة .

وهكذا كان « يهوذا » فى رسالته ، يخاطب الجماعة بأسلوب يعرفونه معرفة تامة ، ويقدم لهم قصصا عن أحداث يلمون بها إلماماً كاملا . كما أنه كان ينبئهم ، بأنه إذا كان التشامخ والشهوة ، قد تسببا فى إسقاط الملائكة ، رغم كل ما كان لهم من امتيازات ومزايا ، فكم بالأولى تفعل بهم كبرياؤهم وشهواتهم .

إن الرجال الأشرار فى داخل الكنيسة ، كانوا متكبرين جداً ، لدرجة أنهم رفضوا تعليم الكنيسة ، ظنا منهم ، بأنهم قد وصلوا إلى معرفة ، تفوق كثيراً بمالا يقاس ، ذلك التعليم . كما كان أولئك يحيون حياة شهوانية ، وقد حولوا نعمة الله إلى دعارة ، والشهوة التى حطمت حياة الملائكة ودمرتها ، لابد وأن تدمر حياة هؤلاء الفجار .

وأيا كانت الخلفية التاريخية لهذه الرسالة ، فإن التحذيرات التى أطلقها « يهوذا » ، تحذيرات حقيقية ، ولازالت قائمة . تلك الكبرياء التى يتوهم صاحبها ، أنه يفوق الله فى المعرفة ، والرغبة فى المحرمات ، وهذان هما طريق الدمار والخراب ، فى هذا العالم ، وفى العالم الآتى .

٣ – الأمثلة المرعبة

سدوم وعمورة

المثل الثالث الذى اختاره « يهوذا » ، هو خراب سدوم وعمورة ، اللتين اشتهر أهلهما ، بخطاياهم الشنيعة ، فدمر الله مدنهم بالنار . « وسير جورج آدم سميث » ، فى كتابه عن جغرافية وتاريخ الأرض المقدسة ، قال ، إنه لاتوجد فى التاريخ ، حادثة لها من التأثير القوى ، على الشعب اليهودى ، مثل حادثه إحراق سدوم وعمورة ، التى كثيرا ما أشير إليها فى الكتاب المقدس ، كأقوى مثال على شر الإنسان ، ودينونةالله . وحتى « يسوع » نفسه ، إستخدم هذه الحادثة لنفس الغرض (أنظر تثنية ٩ : ٢٣ و ٣٢ : ٣٢ ، عاموس ٤ : ١١ ، إشعياء ١ : ٩ و ٣ : ٩ و ١٣ : ١٩ ، إرمياء ٢٣ : ١٤ و ٤٩ : ١٨ و ٥٠ : ٤٠ ، صفنيا ٢ : ٩ ، المراثى ٤ : ٦ ، حزقيال ١٦ : ٤٦ و ٤٩ و ٥٣ و ٥٥ ، بشارة متى ١٠ : ١٥ و ١١ : ٢٤ ، بشارة لوقا ١٠ : ١٢ و ١٧ : ٢٩ ، رسالة رومية ٩ : ٢٩ ، رسالة بطرس الثانية ٢ : ٦ ، رؤيا يوحنا ١١ : ٨) ، وهكذا نرى لهيب سدوم وعمورة ، متوهجاً على مدى التاريخ ، الذى يشير إليه الكتاب المقدس .

والفصل الختامى فى قصة شر سدوم وعمورة ، موجودة فى سفرالتكوين (ص ١٩ : ١ — ١١) ، وفى الفقرة التالية مباشرة ، نجد وصفاً للدمار الشامل الذى حل بهما (تكوين ١٩ : ١٢ — ٢٨) .

وقصة شر سدوم وعمورة واحدة من أبشع القصص فى التاريخ ، وقد دعاها « رايل » « حادثة كريهة » . والبشاعة الحقيقية فى خطية أهل سدوم

وعمورة ، هى أنهم طلبوا أن يعرفوا الضيفين اللذين كانا قد دخلا عند « لوط » . وفى العبرية . الفعل « يعرف » . يشير إلى الإتصال الجنسى ، على سبيل المثال . قيل إن « آدم » عرف امرأته فحبلت وولدت « قايين » (تكوين ٤ : ١) . أى أن أهل سدوم كانوا مصابين بالشذوذ الجنسى . كان لهم ولع شديد بمضاجعة الذكور . ولهذا أرادوا أن يفعلوا هذه الخطية ، مع الملاكين اللذين كانا فى ضيافة « لوط » . ولهذا السبب . دمر الله مدينتيهما تدميراً . ومحاهما من على وجه الأرض . وكانت المدن المجاورة هى صوغر ، أدمة . وصبوئيم (تثنية ٢٩ : ٢٣ . هوشع ١١ : ٨) . وهذا الخراب الشامل . قد حدث فى الصحراء المخيفة . فى منطقة البحر الميت . المنطقة التى دعاها « سير جورج آدم سميث » بحق . « الوادى الرهيب » . هذه القطعة من المناطق الجهنمية . والتى صعدت إلى سطح الأرض . هذا الجحيم الذى سطع فى قلب وهج الشمس . هذه هى المنطقة . التى يقال إن تلك المدن كانت فيها . كما قيل إنه تحت سطح الأرض فى تلك المنطقة . لازالت تتأجج نيران الخراب ، لوجود مناطق بترولية فى جوف الأرض .

ويفسر « سير جورج آدم سميث » ماحدث بقوله : « فى هذه الأرض الغنية بالبترول ، حدث انفجار ملتهب مروع ، مثلما حدث فى شمال أمريكا . حيث تتمتع التربة بنفس الخصائص الجيولوجية ، وفى مثل هذا النوع من التربة . يوجد البترول مختلطاً بالغاز . وتحت ضغطهما الذاتى ، أو بفعل الزلازل . تحدث مثل هذه الإنفجارات ، فينتشر الغاز بكميات هائلة ، تملأ الجو المحيط بالبترول ، فتتصاعد كميات كبيرة من البترول ، ثم ترتد إلى الأرض ، على هيئة مطر يقطرلهباً ، وهذه الحرائق لا يمكن إطفاؤها ، تظل مشتعلة ، حتى إذا كانت تسقط فوق سطح الماء ، لأنها تطفو فوقه . وبمثل هذا المطر الملتهب ، إحترقت سدوم وعمورة . وهذا الوادى الرهيب ،

يبعد مسيرة يوم عن أورشليم . وفى أى عصر ، لم ينس الناس ماحدث لسدوم وعمورة ، والدينونة التى أوقعها الله عليهما بسبب شرور أهلهما .

ويهوذا يذكر هؤلاء الرجال الأشرار ، الذين كانوا فى أيامه ، بما صار إليه الأقدمون ، الذين كسروا وصايا الله . ومن المعقول أن أولئك القوم الذين يهاجمهم « يهوذا » . كانوا مثل أهل سدوم ، مصابين بالشذوذ الجنسى ، وأنهم كانوا يتخذون نعمة الله ، ستاراً لتغطية خطاياهم .

ويصر « يهوذا » ، على أن أولئك الرجال الأشرار ، يجب أن يتذكروا ، أن الخطية لابد وأن تعقبها الدينونة ، فهما توأمان لايفترقان . وأن عليهم أن يتعلموا من عبر التاريخ ، فيتوبوا عن شرورهم الآن . وفى هذا الزمان ، قبل أن يفاجئهم غضب الديان .

إحتقار الملائكة

وَلٰكِنْ كَذَلِكَ هؤُلاءِ أَيْضاً ٱلْمحْتَلِمُونَ يُنَجِّسُونَ ٱلْجَسَدَ وَيَتَهَاوَنُونَ بِٱلسِّيَادَةِ وَيَفْتَرُونَ عَلَى ذَوِى ٱلْأَمْجَادِ . وَأَمَّا مِيخَائِيلُ رَئِيس ٱلْمَلَائِكَةِ فَلَمَّا خَاصَمَ إِبْلِيسَ مُحَاجّاً عَنْ جَسَدِ مُوسَى لَمْ يَجْسُرْ أَنْ يُورِد حُكْمَ ٱفْتِرَاءٍ بلْ قَالَ لِيَنْتَهِرْكَ ٱلرَّبُّ .

(رسالة يهوذا ٨ و ٩)

ويبدأ « يهوذا » هذه الفقرة ، بمقارنة يعقدها بين هؤلاء القوم الأشرار ،

وبين الأنبياء الكذبة الذين ورد ذكرهم فى الكتاب المقدس . وفى سفر التثنية (ص ١٣ : ١ — ٥) . نقرأ ما يجب فعله مع الأنبياء ، أو الحالمين ، الذين يفسدون الأمم . ويضلون الشعوب . إن أى واحد من أمثال هؤلاء الأنبياء . يجب أن يقتل بلاشفقة .

والحالم . لقب من الألقاب التى كان يحملها الأنبياء ، وأولئك الذين يهاجمهم « يهوذا » . كانوا أنبياء كاذبين ، وكانت لهم أحلام كاذبة ، والواجب يقضى بمعاملتهم معاملة شديدة وصارمة . كتلك المعاملة المذكورة فى سفر التثنية . والتى سلفت الإشارة إليها . وأحلامهم وتعاليمهم الكاذبة ، كانت تتمثل فى شيئين :

١ — جعلتهم ينجسون الجسد . وقد رأينا من قبل ، الإتجاه المزدوج لتعليم هؤلاء الرجال بشأن الجسد ، الإتجاه الأول هو أن الجسد فى عرفهم شر محض . وهو لهذا لا أهمية له . والأمور الروحية وحدها هى التى تهم . أما شهوات الجسد . فمن الممكن أن يطلق لها العنان . بغير قيد ولاشرط . وبدون أى ضابط .

والإتجاه الثانى يقول . إن نعمة الله تغفر كل خطية ، وما الخطية إلا وسيلة . تتيح الفرصة للنعمة لكى تعمل عملها . وهذه النعمة كافية لتغطية أبشع الخطايا وأشنعها . وطالما أن هذا هو شأن النعمة . فإن الخطية ليست بذات أهمية .

وهذه الأخطاء ، التى وقع فيها هؤلاء المفكرون المضلون . واضحة جد الوضوح . أما غلطتهم الثانية : فإنها غير واضحة بالدرجة الكافية .

٢ — كانوا يحتقرون الملائكة . إن القوات السماوية ، والرتب الملائكية :

أسماء لدرجات بين طغمات الملائكة ، وقد قدم « يهوذا » إشارة ، إلى ما أصاب أهل سدوم وعمورة ، الذين كان من بين خطاياهم وشرورهم ، رغبتهم فى الإساءة إلى الملاكين ، اللذين كانا فى ضيافة « لوط » ، (تكوين ١٩ : ١ — ١١) .

والرجال الذين يشن عليهم « يهوذا » هجومه ، كانوا يتكلمون بسوء عن الملائكة ، ولتصوير مدى ما فى هذا التصرف من شر ، وضع « يهوذا » أمامهم ، حادثة لم تشر إليها أسفار الكتاب المقدس القانونية ، لكنه اقتبسها من أحد كتب الأبوكريفا ، هى حادثة صعود جسد « موسى » . والغريب أن « يهوذا » كان يقتبس كثيراً من كتب الأبوكريفا . وليس من الأسفار القانونية ، وهذه الإقتباسات قد تبدو غريبة فى نظرنا ، لكن فى تلك الأيام ، كانت كتب الأبوكريفا من الكتب المحبوبة والذائعة ، ولاشك فى أنه كان لتلك الإقتباسات التى اقتبسها « يهوذا » ، تأثيرها الفعال ، فى نفوس قرائها .

والقصة فى « صعود جسد موسى » تمضى هكذا : « فى سفر التثنية (ص ٣٤ : ١ — ٦) نقرأ القصة الغريبة لحادثة موت « موسى » ، ثم يستطرد كاتب قصة « صعود جسد موسى » فيقول : « ثم كلف رئيس الملائكة « ميخائيل » بدفن جسده ، فاحتج عليه الشيطان ، وادعى أنه هو صاحب الحق فى جسد « موسى » ، مستنداً فى هذا إلى أمرين ، الأول هو أن جسد « موسى » مادى ، والمادة شر ، ولهذا السبب ، فإنه صاحب الحق فيه ، لأن له سلطانا على كل ماهو مادى وشرير . أما الأمر الثانى الذى استند إليه الشيطان فى ادعائه ، فهو أن « موسى » كان قد قتل المصرى ، الذى رآه يضرب أخاه العبرانى (خروج ٢ : ١١ و ١٢) .وطالما أن « موسى » قاتل ، فإن جسده يكون من حق الشيطان وحده . وما يريد « يهوذا » أن يبرزه

هنا : هو أن « ميخائيل » وهو رئيس الملائكة ، الذى كلفه الله بالقيام بدفن جسد « موسى » . عندما تصدى له الشيطان . لكى يمنعه من القيام بهذا العمل . مدعياً أن هذا ليس من حقه . رغم هذا كله . لم يتكلم « ميخائيل » بسوء ضد الشيطان : ولم يتهمه بشيء . وكان كل ماعمله ، هو أنه قال له : « « لينتهرك الرب » .

فيهوذا يقول : إنه إن كان رئيس الملائكة الأخيار ، قد رفض أن يتكلم بسوء ضد الشيطان ، الذى هو أشر الملائكة الأشرار . وتحت كل تلك الظروف ، فانه لايحق لأى إنسان ، كائنا من كان ، أن يتكلم بشر على الملائكة .

ولسنا نعرف ماكان يقوله أولئك القوم عن الملائكة . ربما كانوا ينكرون وجودهم ، أو ربما قالوا إنهم أشرار ، ويخدمون الإله الخالق الشرير . لكن هذه الفقرة . رغم كونها لاتهمنا كثيراً ، فهى دون شك . مجادلة قيمة . كانت لها فاعليتها ، فى نفوس أولئك الذين كتب إليهم « يهوذا » رسالته .

إنجيل الجسد

وَلٰكِنْ هٰؤُلاَءِ يَفْتَرُونَ عَلَى مَا لاَ يَعْلَمُونَ. وَأَمَّامَايَفْهَمُونَهُ بِالطَّبِيعَةِ كَالْحَيَوَانَاتِ غَيْرِ النَّاطِقَةِ فَفِي ذٰلِكَ يَفْسُدُونَ .

(رسالة يهوذا ١٠)

هنا أمران ، يقدمهما لنا « يهوذا » عن جماعة الأشرار ، الذين كان يهاجمهم :

١ – إنهم ينقدون كل مالا يفهمون ، أى شىء لاتدركه أفهامهم ؛ كانوا ينقدونه ، وما لم يختبروه ، لايعترفون به . ولم يكن فى حياتهم مكان، لأى قيمة ، أو أمر روحى . لهذا كانوا ينظرون باستخفاف وازدراء ، للأمور الروحية . ومع أن « بولس » ، فى رسالته الأولى إلى كورنثوس ، يقول : « قارنين الروحيات بالروحيات » . فإن هؤلاء الرجال ، لم يكونوا يجرون أية مقارنة . ولهذا السبب ، كانوا عميانا من جهة الأمور الروحية ، ويحتقرونها .

٢ – عندما لا يفهمون شيئاً ، من جهة بعض الأمور الروحية ، كانوا يسمحون لعدم فهمهم لها ، بالتسبب فى دمارهم . وكل ماكانوا يفهمونه ، هو مطالب الجسد وشهواته ، التى كانوا يشتركون فيها مع العجماوات ، وكان قانونهم ، هو أن يتركوا الحبل على الغارب ، لغرائزهم وشهواتهم ، فكانوا فى حياتهم وتصرفاتهم ، أشبه بالسوائم ، فى ممارسة غرائزهم البهيمية . كل طرقهم كانت جسدية ، وقيمهم أيضاً كانت جسدية ، أى أن إنجيلهم الذى كانوا يعيشون بموجبه ، هو «إنجيل الجسد » ، ويهوذا يصفهم بأنهم قد فقدوا كل إحساس ، أو اهتمام بالأمور الروحية ، وأن الغرائز البهيمية ، قد أصبحت وحدها ، هى كل الحقائق والمثل فى نظرهم .

والأمر المرعب فى هذا ، هو أن الحالة الأولى نتيجة للثانية . إن المأساة المفجعة فى حياة الإنسان ، هى أنه لايولد مجردا من الشعور أو الإحساس بالأمور الروحية ، لكنه قد يفقد هذا الإحساس تدريجيا ، حتى يصل إلى حالة ، لا يعتبر معها ، أن هناك شيئاً إسمه الأمور الروحية .

وأى إنسان ، يمكن أن يفقد أية ملكة أو موهبة ، برفضه استخدامها ، فان توقفنا عن العزف على البيانو ، فإننا عندئذ لابد أن نفقد القدرة على إجادة

العزف عليه ، كما قد يجيد إنسان ، واحدة من اللغات الأجنبية ، لكنه عندما يتوقف عن استخدامها أو التحدث بها ، لاشك فى أنه يفقد كل ماعنده ، من معلومات عنها ، كما أننا نفقد القدرة على ممارسة أى لعبة رياضية ، إن توقفنا عن هذه الممارسة .

وكل إنسان يستطيع أن يسمع صوت الله ، كما أن كل إنسان لديه اهتمام بأمور الجسد ، ولديه الغرائز التى تساعد على حفظ الجنس البشرى ، لكن إذا قضى هذا الإنسان ، شطرا من حياته وهو يرفض الإصغاء إلى صوت الله ، ويغلق عينيه وأذنيه عن كل القيم ، والمثل ، والأصوات الروحية ، ويركز كل اهتمامه فى شهواته الجسدية ، ويترك هذه الشهوات تتحكم فى تصرفاته ، ففى النهاية ، سوف يصبح هذا الإنسان ، عاجزاً عن سماع صوت الله ، لأن سيادة غرائز الجسد وشهواته ، التى تركها تتسلط عليه ، سوف تؤدى إلى ضياع كل القيم الروحية من حياته ، فلا يعود يرى مايدعوه ، إلى قمع جسده ، أو ضبط تصرفاته ، لأن الطهارة عندئذ ، تكون قد فقدت كل جاذبية فى نظره . كما أنه فى الوقت عينه ، لايمكنه أن يرى أى جمال فى السلوك المهذب ، بل إنه سيجعل كل همه ، إشباع رغبات الجسد ، وميوله ، وشهواته البهيمية . .

وإذ يصل الإنسان إلى هذا الحد ، فإنه يكون قد وصل إلى نهاية مخيفة لأنه يكون قد أصيب بالصمم والعمى بالنسبة للصلاح .

كان هذا هو المستوى الذى انحدر إليه أولئك الرجال ، الذين يهاجمهم « يهوذا » .

عِبَر من التاريخ

وَيْلٌ لَهُمْ لِأَنَّهُمْ سَلَكُوا طَرِيقَ قَايِينَ وَٱنْصَبُّوا إِلَى ضَلاَلَةِ بِلْعَامَ لِأَجْلِ أُجْرَةٍ وَهَلَكُوا فِى مُشَاجَرَةِ قُورَحَ .

(رسالة يهوذا ١١)

هنا يذهب « يهوذا » إلى التاريخ ، لكى يقارن بين شرور العبرانيين ، والشرور التى يرتكبها أولئك الرجال فى أيامه ، ومن ذلك التاريخ ، يستمد أمثلة لثلاثة من مشاهير الخطاة :

١ — أولا « قايين الذى قتل أخاه هابيل » (تكوين ٤ : ١ — ١٥) . والتقليد اليهودى يذكر أمرين عن قايين :

(ا) أنه أول قاتل فى التاريخ ، فى تاريخ العالم بأسره ، ويقول عنه سفر حكمة سليمان : « هو نفسه هلك ، بذات الغضب الذى دفعه إلى قتل أخيه هابيل » (سفر حكمة سليمان ١٠ : ٣) . وربما كان « يهوذا » يشير إلى أن أولئك الناس ، الذين يخدعون الآخرين ويضلونهم ، ليسوا سوى قتلة ، يقتلون نفوس الناس ، ولهذا السبب ، يعتبرون من نسل « قايين » ، من الناحية الروحية .

(ب) لكن العبرانيين فى تقليدهم وتعليمهم ، يقولون ، إنه بالإضافة إلى كونه قاتلا لأخيه ، كان أنانياً ، محباً لذاته ، فالأحبار فى تعاليمهم ، كانوا يشيرون إليه ، على أنه كان مثالا للساخرين المرتابين . وفى ترجوم أورشليم ، يصورون « قايين » على أنه قال : «لايوجد دينونة ولاديان . ولايوجد عالم آخر بعد الموت ،

ولن يثاب الأبرار . كما لن يدان الأشرار ، أويجازوا على شرورهم . كما أنه لارحمة فى الخليقة ، ولاعند القوات المتحكمة فى العالم » .

فنى نظر مفكرى العبرانيين ، كان « قايين » ملحداً ، مرتاباً ، مادياً ، وغير مؤمن . لم يكن يؤمن بوجود الله . أو أى نظام روحى فى العالم ، وأنه لهذا . فعل كل مابدا له . وهكذا يشير « يهوذا » ، إلى تحدى « قايين » لله بخطاياه ، وإنكاره لوجود أى نظام روحى فى العالم .

ولاشك فى أن الإنسان الذى يختار فعل الشر ، وارتكاب الخطأ ، عليه أن يصفى حسابه مع الله ، وعليه أيضاً ، أن يتعلم عن طريق الألم . وأحياناً بأسلوب مفجع ؛ لأنه لايمكن أن تمر بغير حساب أو عقاب ، خطية مثل هذا الإنسان ؛ الذى يتحدى النظام الروحى الموجود فى العالم .

٢ — « بلعام » — وفى فكر العهد القديم ، وفى التعليم اليهودى ، وحتى فى العهد الجديد نفسه (رؤيا يوحنا ٢ : ١٤) ؛ نجد « بلعام » أعظم مثال لأولئك الذين جعلوا إسرائيل يخطىء . وفى العهد القديم ، روايتان عن « بلعام » ، إحداهما واضحة غاية الوضوح ، وتتميز بأنها حيوية ومؤثرة ، أما الثانية ، فهى أخطر من الأولى ، يحيط بها الغموض . والرواية الثانية هى التى تركت تأثيرها وبصماتها على فكر العبرانيين وتعليمهم .

الرواية الأولى ، موجودة فى سفر العدد من ص (٢٢) إلى ص (٢٤) ، وفى هذه الأصحاحات الثلاثة ، ترينا القصة كيف خشى « بالاق » بأس شعب إسرائيل ، ودفعه تخوفه منهم ، إلى تحريض « بلعام » على لعنهم ، وكيف أنه خمس مرات ، قدم له مكافأة سخية ، وفى كل مرة ، كانت المكافأة التى

يقدمها ، أكثر من سابقتها ؛ وهذه القصة تسجل ، كيف أن « بلعام » رفض أن يلعنهم ، لكن سياق القصة ، يكشف لنا عن حب « بلعام » للمال ، وأنه لولا خوفه من معاقبة الله له ، لما امتنع عن عقد صفقة أكبر مع « بالاق » ، كما أن مجرى الأحداث ، يزيح الستار ، عن الرغبة الدنسة ، التي كان يجيش بها صدر « بلعام » ، وعن شخصيته البغيضة الممقوتة .

وفي ص (٢٥) من سفر العدد أيضاً ، نجد الرواية الثانية ، حيث نرى شعب إسرائيل يتردى في عبادة البعل ، بما كانت تتطلبه تلك العبادة ، من ممارسات مشينة . ثم بعد ذلك ، نقرأ في سفر العدد ص (٣١ : ٨ و ١٦) ، أن « بلعام » هو المسئول عن الحالة المزرية ، التي وصل إليها الإسرائيليون ، وأنه هو نفسه قد هلك ، لأنه علم الآخرين كيف يخطئون .

من هاتين القصتين المتكاملتين ، نرى أن « بلعام » قد فعل شيئين :

(ا) أحب المال ، وكان مستعداً لفعل الشر ، لكي يحصل على مكافأة .

(ب) كان رجلا شريراً ، ارتكب أفظع الخطايا على الإطلاق ، خطية تعليم الآخرين كيف يفعلون الشر ، وهكذا يقول « يهوذا » عن أولئك الرجال الأشرار ، الذين كانوا عائشين في أيامه ، إنهم كانوا على أتم إستعداد ، لترك طريق البر في سبيل المكسب ، وأنهم كانوا يعلمون الآخرين فعل الشر .

ولاشك في أن عمل الشر ، يكون أمراً رديئاً جداً ، إن كان الغرض منه هو الحصول على المكسب . والأفظع من هذا ، هو أن تجرد إنسانا من براءته ، سواء كان هذا الإنسان رجلا أو امرأة . إن تعليم الناس كيف يخطئون ، هو أفظع وأشر جميع الشرور .

٣ ـ الشخص الثالث هو «قورح» ، وقصة قورح وقومه ، مذكورة فى سفر العدد أيضاً ، ص (١٦ : ١ ـ ٣٥) .

وكانت خطيه « قورح » ، هى التمرد على « موسى » ، عندما قرر اختيار « هرون » وأبنائه ، وسبط لاوى ، للقيام بخدمة الكهنوت ، فلم يعجبه هذا القرار ، وحاول القيام بعمل لم يكن من حقه القيام به ، وهكذا يقول « يهوذا » ، إن الجماعة التى كان يواجهها ، كانت جماعة متمردة على الكنيسة ، وعلى سلطتها الشرعية ، كما أنهم كانوا يفضلون طرقهم الخاصة ، على طريق الله .

بقى علينا أن نذكر ، أن كبرياءنا كثيراً ماتدفعنا إلى الإقدام على أعمال ليس من حقنا أن نعملها ، ولو أننا فعلناها ، فإنها ستؤدى حتما إلى تدميرنا .

صورة الرجال الأشرار

هٰؤُلاَءِ صُخُورٌ فِى وَلاَئِمِكُمْ ٱلْمَحَبِّيَّةِ صَانِعِينَ وَلاَئِمَ مَعاً بِلاَ خَوْفٍ رَاعِينَ أَنْفُسَهُمْ . غُيُومٌ بِلاَ مَاءٍ تَحْمِلُهَا ٱلرِّيَاحُ أَشْجَارٌ خَرِيفِيَّةٌ بِلاَ ثَمَرٍ مَيِّتَةٌ مُضَاعَفاً مُقْتَلَعَةٌ . أَمْوَاجُ بَحْرٍ هَائِجَةٌ مُزْبِدَةٌ بِخِزْيِهِمْ . نُجُومٌ تَائِهَةٌ مَحْفُوظٌ لَهَا قَتَامُ ٱلظَّلاَمِ إِلَى ٱلأَبَدِ .وَتَنَبَّأَ عَنْ هٰؤُلاَءِ أَيْضاً أَخْنُوخُ ٱلسَّابِعُ مِنْ آدَمَ قَائِلاً هُوَذَا قَدْ جَاءَ ٱلرَّبُّ فِى رَبَوَاتِ قِدِّيسِيهِ

لِيَصْنَعَ دَيْنُونَةً عَلَى ٱلْجَمِيعِ وَيُعَاقِبَ جَمِيعَ فُجَّارِهِمْ عَلَى جَمِيعِ أَعْمَالِ فُجُورِهِمْ ٱلَّتِي فَجَرُوا بِهَا وَعَلَى جَمِيعِ ٱلْكَلِمَاتِ ٱلصَّعْبَةِ ٱلَّتِي تَكَلَّمَ بِهَا عَلَيْهِ خُطَاةٌ فُجَّارٌ . هٰؤُلَاءِ هُمْ مُدَمْدِمُونَ مُتَشَكُّونَ سَالِكُونَ بِحَسَبِ شَهَوَاتِهِمْ وَفَمُهُمْ يَتَكَلَّمُ بِعَظَائِمَ يُحَابُونَ بِٱلْوُجُوهِ مِنْ أَجْلِ ٱلْمَنْفَعَةِ .

(رسالة يهوذا ١٢ – ١٦)

وفى هذه الفقرة ، نجد أعظم ماورد فى العهد الجديد ، من عبارات الذم والقدح . إننا نرى هنا ، السخط الروحى وقدبلغ ذروته . أو كما يقول « د . موفات » : « إنه تم التنقيب فى السماء ، وفى البر والبحر كذلك ، لاستنباط صور تعبر عن هؤلاء الناس » . وهنا يضع « يهوذا » أمامنا ،عددا من الصور الحية ؛ لكل واحدة منها معناها وأهميتها ؛ وفيما يلى ؛ سنتناول كل صورة على حدة :

١ – صخور مختفية ، تهدد بالدمار ، ولائم المحبة ؛ التى كانت الكنيسة تقيمها ، وولائم المحبة هذه (الأجابى) . كانت أكلة يتناولها الإخوة معاً فى يوم الرب . وهذه الأكلة كانت سمة من سمات الكنيسة الأولى . وكان كل واحد من الأعضاء ، يأتى معه بما يستطيع ، ثم يشترك الجميع ، بعد ذلك فى تناولها ، مقتسمين فيما بينهم بالتساوى ، كل ماجاء به الجميع . وقد كانت فكرة رائعة جداً ، أن يجتمع الإخوة المسيحيون جميعهم معا . فى يوم الرب ، فى البيوت ، التى كانوا يعقدون فيها اجتماعات الكنيسة فى البداية ، لكى يشتركوا معاً فى تناول الطعام ، بابتهاج .ولاشك فى أن بعضهم ،

كان يحضر معه كميات كبيرة من الطعام ، بينما البعض الآخر ، لم يكن فى وسعه ، أن يأتى إلا بكميات ضئيلة منه . ولاشك أيضاً فى أن هذه الأكلة ، كانت الأكلة الوحيدة ، التى كان يستطيع التلذذ بها ، العبيد المسيحيون ، الذين كانوا أعضاء فى الكنيسة آنذاك . لكن هذه « الأجابى » ، لم تلبث حتى تشوهت صورتها . ويمكننا أن نرى هذا الخطأ ، فى كنيسة كورنثوس ، عندما أعلن « بولس » ، أنه فى ولائم المحبة الكنسية ، لم يكن الكورنثيون يقتسمون الطعام فيما بينهم ، بل كانوا ينقسمون فرقاً وجماعات ، بعضها كان يجوع وبعضها الآخر يستفضل ، كما أن تلك الولائم ، كان البعض يتخذها فرصة للسكر والعربدة (كورنثوس الأولى ١١ : ١٧ — ٢١) .

وما لم تكن تلك الوليمة فرصة لإظهار الأخوة الحقيقية وممارستها عملياً ، فإنها تصبح مجرد صورة زائفة ، وشيئاً فشيئاً ، فقدت وليمة المحبة (الأجابى) اسمها وسمتها .

والذين كان يهاجمهم « يهوذا » ، كانوا قد جعلوا وليمة المحبة اسما على غير مسمى ، أى أنها كانت قد أصبحت مجرد صورة زائفة . لكن ما هذا الإسم الذى يدعوهم به ؟ فى الترجمة المعروفة بالـ (A. V.) ، « أدناس فى ولائمكم » . وهذا المعنى يتفق مع ماورد فى الفقرة المقابلة ، فى رسالة بطرس الثانية : « أدناس وعيوب » (رسالة بطرس الثانية ٢ : ١٣) ، وقد ترجم قول « يهوذا » إلى « صخور مختفية » ، والصعوبة هى أن « بطرس » فى رسالته الثانية يستخدم كلمة « سپيلوس » ومعناها بقعة أو لطخة ، بينما يستخدم « يهوذا » كلمة « سپيلاس » ، وهى كلمة غير مألوفة ، وربما كان معناها لطخة ، لأنها فى اليونانية القديمة ، كانت تستخدم للإشارة إلى الألوان والعلامات ، التى ترى فى حجر الأوپال ، لكنها فى اللغة اليونانية العادية ،

تشير إلى الصخور المدفونة كلية ، أو المدفون نصفها فقط ، تحت الماء ، والتي تتحطم عليها السفن ، والأرجح أن المعنى الأخير هو الذى كان يقصده « يهوذا » فى رسالته . ففى ولمية المحبة ، كان الناس يتقاربون كثيراً جداً إلى بعضهم البعض . كما كانوا يتبادلون فيما بينهم . قبلة السلام ، لكن الأشرار والمستبيحين ، كانوا يجعلون تلك الولائم ، فرصة لأعمال لاأخلاقية ، ويتخذونها ستاراً لإشباع شهواتهم وغرائزهم ، إنهم حولوا تلك الولائم الطاهرة ، إلى ولائم للإثم والنجاسة . وإنه لما يدعو للإزعاج ، أن يدخل الكنيسة أناس ، يستغلون الفرص المتاحة لهم بين الجماعة المسيحية ، لتحقيق مقاصدهم الدنيئة .

لقد كان أولئك القوم الأشرار . كالصخور المختفية ، التى تهدد بتحطيم ولائم المحبة ، التى كانت تقيمها الكنيسة المسيحية .

أنانية أُولئك الأَشرار

٢ ــ كان هؤلاء الناس ، يعربدون معا ، كما أنهم لم يكونوا يشعرون بمسئوليتهم تجاه الغير ، وهذان الأمران على الدوام ، يسيران معاً . وهما يعلنان عن الشعور الأنانى المتسلط على أولئك الأشرار .

(ا) كانوا يعربدون مع بعضهم البعض ، دون وخزة واحدة من وخزات الضمير ، وهذا هو ذات الموقف الذى أشار إليه « بولس الرسول » . فى رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس . لقد كان من المنتظر أن تكون ولمية المحبة عملا مشتركاً ، كما كان يجب أن تسود بين الجميع روح المشاركة ، فى اقتسام الأشياء فيما بينهم ، لكن بدلا من هذا ، كان الأشرار يجتمعون

معاً فى مجلس واحد ؛ كما كانوا يحتفظون لأنفسهم ، بالقدر الذى جاءوا به من الطعام والشراب . وفى رسالته الأولى إلى كورنثوس ، أشار « بولس » . إلى أن وليمة المحبة تلك ، أصبحت فرصة للسكر والعربدة ، حيث كان كل واحد ، يعب من الشراب على قدر ماتنال يده فيسكر ، بينما لايتبقى للآخرين مايشربونه .

ولاأحد يستطيع أن يدعى ، أنه يعرف تماماً ماتعنيه عضويته فى الكنيسة ، إذا كان يعتبر وجوده فى الكنيسة ، فرصة للفوز بكل ما قد تصل إليه يده . ومتى كان فى داخل الكنيسة ، يؤثر البقاء داخل الحلقة الضيقة ، التى تضمه هو . وجميع الذين هم على شاكلته ، مكونين جماعة داخل الجماعة ؛ ودولة داخل الدولة ، أو بمعنى أصح ، مكونين عصبة أو حزباً فى داخل الكنيسة .

(ب) لقد ترجمنا العبارة التالية : « لايحسون بمسئولية ما إلا من نحو أنفسهم » ، والمعنى الحرفى للكلمة اليونانية هو : « يرعون أنفسهم » . إن واجب المعلم أو القائد فى الكنيسة ، هو أن يرعى رعية الله (أعمال الرسل ٢٥ : ٢٨) ؛ أما الراعى الباطل ، فإنه يهتم بنفسه ، أكثر من اهتمامه بالرعية التى أوكل إليه أمر رعايتها .

ويقدم « حزقيال » وصفاً للرعاة والقادة الكذبة ، الذين كانت ستسحب منهم جميع الإمتيازات الممنوحة لهم ، بسبب إهمالهم للرعية ، وفى هذا الوصف يقول « حزقيال » : « حى أنا يقول السيد الرب . من حيث أن غنمى صارت غنيمة وصارت غنمى مأكلا لكل وحش الحقل . إذ لم يكن راع . ولاسأل

رعاتى عن غنمى . ورعى الرعاة أنفسهم ولم يرعوا غنمى . فلذلك أيها الرعاة اسمعوا كلام الرب . هكذا قال السيد الرب . هأنذا على الرعاة . وأطلب غنمى من يدهم . وأكفهم عن رعى الغنم . ولا يرعى الرعاة أنفسهم بعد . فأخلص غنمى من أفواههم فلا تكون لهم مأكلا » (حزقيال ٣٤ : ٨ – ١٠) .

فكل من يشعر بأنه غير مسئول عن الآخرين . ولايعمل إلا لمصلحته الشخصية ، هذا الإنسان يبقى تحت دينونة . وهكذا يدين « يهوذا » أنانية هؤلاء الناس ، تلك الأنانية ، التى تخرب وتفسد . الشركة الأخوية ، كما يدين كذلك ، عدم إحساسهم بالمسئولية كلية ، وعدم شعورهم بالإلتزام الواجب من جهة الآخرين .

٣ — هؤلاء الأشرار ، يشبهون سحباً تحملها الريح ، لكنها لاتسقط مطراً ، أو أشجارا ، تبدو وكأنها تنوء تحت حمل ثقيل من الثمر ، لكن حين يقترب منها الناس ، لكى يجتنوا من ثمارها ؛ يعودون بخفى حنين ، مع أن الوقت وقت حصاد وجنى ثمار . إن هاتين العبارتين مقترنتان معاً ، لأنهما تصفان قوماً أدعياء ، كلامهم كثير ، بدون أن يعملوا شيئاً ما .

وما أكثر فصول الجفاف التى جاءت على فلسطين . والتى كان الناس فى خلالها يبتهلون من أجل المطر . فإذا بهم يشهدون فى السماء سحابة . يتوسمون فيها خيراً فيستبشرون ، لأن المطر قد أضحى على الأبواب ، لكن إذا بهم بعد كل هذا ، يكتشفون أن رجاءهم ، كان وهماً كاذباً ، فهاهى السحابة قد عبرت ، والزرع ذاو والجفاف جفاف .

كما يحدث أيضاً فى وقت الحصاد ، أن تبدو بعض الأشجار ، وكأنها تنوء تحت حمل ثمرها الثقيل ، لكن عندما يقترب منها الناس ، لجنى الثمار ،

تكون فجيعتهم فيها لاتوصف؛إذ نجدونها خاوية على عروشها . خالية من كل ثمر ، كتلك التينة التي لم نجد فيها « يسوع » غير ورق أخضر خداع

هذه هي صورة أولئك الرجال الذين كانوا يدعون ، ويقدمون الوعد تلو الآخر ، ومع كل هذا ، لايقدمون لمجتمعاتهم أية فائدة .

وهذا الكلام ، يتضمن حقيقة من أعظم الحقائق ، هي أنه لاقيمة لأى وعد . لايفى به صاحبه . وليس فى العهد الجديد ، ماهو أشر ، من أن يكون الإنسان غير نافع . وأى قدر من الاستعراض الظاهرى مهما كبر ، أو من الكلام المعسول مهما حلا ، لايمكن أن يحل محل إفادة الآخرين ونفعهم .

إن إفادة الآخرين . والسعى فى سبيل تحقيق النفع لهم ، عنصر أساسى من عناصر الصلاح ،والصلاح الذى لايفيد الآخرين بشىء ،لايصلح لشى

عاقبة العصيان

بعد ذلك ، يستمر « يهوذا » فى تقديم صورة حية لهؤلاء الأشرار إنهم كالبحر المائج المضطرب ، الذى تتلاطم أمواجه مزبدة بخزيهم والصورة تمثل منظر البحر ، فى وقت هبوب ريح عاصفة ، فتتلاطم الأمواج متكسرة على الشاطىء . ناثرة الزبد والرذاذ ، وعندما تهدأ العاصفة ، إذا بالشاطى وقد امتلأ بالكثير من الأعشاب والطحالب البحرية ، وإذا بالمنظر قبيح قبيح ، إذ تتكدس حول الشاطىء ، الكائنات والأشياء التى كانت تعز رؤيتها بالعين المجردة ، وهى هناك فى الداخل بعيدا عن الشاطىء .

ومن بحر ، إلى بحر ، تختلف هذه الكائنات والمخلفات التى تخلفها العاصفة وراءها ، فمياه البحر الميت ، يمكن تحريكها فى موجات تجرف الأعشاب

إلى الشاطىء . لكن هذا البحر الميت ، تؤثر درجة الملوحة العالية فى مياهه ، على ماقد يكون فيه من أعشاب ، فتتآكل قشرتها ، وعندما تلفظها المياه إلى الشاطىء . تبدو أكثر لمعانا وبياضا من الخشب ، فيراها الناظر وكأنها عظام بيضاء . وأعمال هؤلاء الأشرار ، يشبهها « يهوذا » ، بهذه الحشائش والأعشاب التافهة وغير النافعة ، التى تطردها العواصف إلى شاطىء البحر ، إنها تشبه تماما تلك المخلفات الراكدة ، على شاطىء البحر الميت التى قذفت بها الأمواج إلى هناك ، بعد ليلة عاصفة هائجة . وهذه الصورة تعبر تعبيراً صادقاً عن أعمال هؤلاء الأشرار الذين يتحدث عنهم « يهوذا » .

كما يستخدم « يهوذا » أيضاً صورة أخرى ، فيشبه أولئك الأشرار ، بنجوم تائهة محفوظ لها قتام الظلام بسبب عصيانهم ، و« يهوذا » ينقل هذه الصورة مباشرة عن « سفر أخنوخ » . فى ذلك السفر أحياناً ، نجد النجوم مماثلة للملائكة ، بعضها لم يطع الله . وفى هذا السفر نجد صورة لمصير النجوم التى لم تطع الله ، فتركت مكانها ومدارها ، الأمر الذى أدى إلى دمارها

وفى سيره فى باطن الأرض ، وجد أخنوخ « نفسه فى بقعة لا أرض فيها ولاسماء ، وإنما فراغ وتشويش . ثم بعد ذلك يقول «أخنوخ » ، إنه رأى سبعة من نجوم السماء مقيدة معا . وكان منظرها كمنظر جبال عظيمة ، وكانت تلك النجوم مشتعلة بالنار ، فسأل « أخنوخ »: ما هى الخطية التى بسببها قيدت هذه النجوم ؟ ولماذا ألقى بها فى هذا القرار السحيق ؟ فأجابه « أرسل » ، وهو ملاك مقدس كان مرافقاً له : « لماذا تسأل هذا السؤال يا « أخنوخ » ؟ ولماذا تحاول أن تعرف ؟ هذه هى مجموعة النجوم التى كسرت وصية الرب ، وستبقى

على هذه الحال ، لمدة عشرة آلاف سنة . وهى المدة التى يستحقونها نظير خطيتهم (سفر أخنوخ ٢١ : ٦) .

وما أصاب هذه النجوم التائهة . مثال لما سوف يصيب كل من لايطيع وصية الله ، وإذا شئت المعنى الحرفى فقل : « إن هذا هو مصير الإنسان الذى يسلك بحسب طريقه هو ، دون طريق الرب » .

« ويهوذا » يؤيد هذا كله . بنبوة يقتبسها أيضاً من سفر أخنوخ ، تقول هذه النبوة كما وردت فى ذلك السفر : « هاهو قد جاء فى ربوات قديسيه ليضع دينونة على الجميع . ويدمر جميع الخطاة . ويجازى كل جسدعلى كل أعمال الشر التى فعلوها . وأيضاً على جميع الأشياء الصعبة التى تكلم بها ضده الخطاة الفجار » .

وقد أثار ، هذا الاقتباس عدة تساؤلات ، سواء بالنسبة ليهوذا أو « أخنوخ » ، ولاشك فى أن هذا السفر . كان من الأسفار التى يحبها اليهود حباً جما فى أيام ظهور « المسيح » ، وأيضاً فى أيام « يهوذا » ، ولاشك كذلك فى أن كل يهودى تقى ، كان يعرف سفر أخنوخ جيداً . ويقرؤه .

وكل كتاب العهد الجديد . كانوا يلجأون للإقتباس من العهد القديم ، لتأييد صحة أقوالهم ، معتبرين أن مافى أسفار العهد القديم هو كلام الله . والآن هل ينبغى أن نعترف بسفر أخنوخ كواحد من أسفار الكتاب المقدس ، لأن «يهوذا» يقتبس منه ،خاصة وأنه اعتبر « أخنوخ» واحداً من الأنبياء ؟ أم نأخذ جانب «إيرونيموس» ، الذى اعتبر رسالة يهوذا سفرا غيرقانونى ، لأن كاتبها يقتبس من سفر غير قانونى ، كما لو كان سفراً قانونياً ؟

لاحاجة بنا لإضاعة الوقت فى هذا الصدد . خاصة وأن « يهوذا » ،

كان يهودياً تقياً ، قد عرف سفر أخنوخ وأحبه ، وكان هذا السفر يحظى بتقدير الجميع ، فى البيئة التى نشأ وتربى فيها « يهوذا » . كما أنه كان يعلم أن هذا السفر معروف ومحبوب ، لدى الجماعة التى كتب إليها رسالته ، وهو فى هذا لم يزد عن أن يفعل ، ما كان يفعله بقية إخوانه من كتاب العهد الجديد ، وما يفعله كل كاتب ، فى كل عصر . إنه كان يخاطب الناس باللغة التى عرفوها وفهموها .

خصائص الأشرار

فى عدد (١٦) يقدم يهوذا ثلاث خطايا لهؤلاء الأشرار :

١ – إنهم مدمدمون متشكون ، لا يكتفون بالنصيب ، الذى قسمه لهم الله فى حياتهم ، وهنا يستخدم « يهوذا » كلمتين ، إحداهما تعتبر عادية بالنسبة لقراء رسالته من اليهود ، والثانية عادية كذلك بالنسبة لقرائه من اليونانيين .

(١) الكلمة الأولى التى يصفهم بها هى « جونجستس » ، وهذه الكلمة فى معناها الأصلى ، تصف الأصوات التى يصدرها المدمدمون ، تعبيراً عن عدم اكتفائهم ، وهى نفس الكلمة التى استخدمت فى الترجمة السبعينية للكتاب المقدس ، لتصوير تذمر بنى إسرائيل على « موسى » ، عندما كان يقودهم فى البرية (خروج ١٥ : ٢٤ ، ١٧ : ٣ ، سفر العدد ١٤ : ٢٩) . وقد قرأنا مرات كثيرة ، عن تذمر شعب إسرائيل على « موسى » ، وهذه الكلمة تصور الهمهمات ، والأصوات المعبرة عن عدم الرضا وعدم الاكتفاء ،

التى كانت تصدر عن أولئك القوم المتمردين والمتذمرون الذين كانوا معاصرين ليهوذا ، كانوا خلفاء لأولئك الأسلاف ، الذين تذمروا فى القديم ، على نبى الله «موسى الكليم» .

(ب) الكلمة الثانية التى استخدمها «يهوذا» فى وصفه لهم هى «ممسيمويروس» ، وهى تتكون من كلمتين يونانيتين «ممفسثاى» ومعناها يخجل ، «مويرا» ، ومعناها النصيب المقسوم للإنسان فى حياته ، وهكذا يكون معنى الكلمة التى استخدمها «يهوذا» ، هو أن أولئك الرجال كانوا على الدوام ساخطين ناقمين ، يندبون على الدوام حظهم فى الحياة ، ويتذمرون باستمرار من كل شىء ، وفى أى صفقة ناجحة ، يمكنهم أن يجدوا بابا للتذمر ، حتى فى أعمال الرحمة واللطف .

ومع أن التقوى مع القناعة تجارة عظيمة ، فإن أولئك الأشرار لايكتفون بما أعطاه لهم الله ، ودائماً يبدون التذمر والضجر ، من الوضع الذى أوجدهم فيه الله ، ولايوجد بين الناس من هو مكروه مثل هؤلاء المتذمرين .

٢ — توجد نقطة أخرى ، يكررها «يهوذا» بشأن هؤلاء الأشرار ، ولاينفك عن تكرارها مرة بعد الأخرى ، هى أن رغائب هؤلاء الناس وأهواءهم ، هى التى تتحكم فيهم . إنهم لايحاولون أن يخضعوا أنفسهم لأى انضباط أو ترتيب ، وينظرون إلى قوانين الأخلاق والسلوك ، على أنها عبء لاداعى له ، كما أنهم لايعرفون أى معنى للشرف أو الواجب ، ولاقيمة عندهم لغير المتعة ، وهى المحرك الوحيد ، والدافع الوحيد ، لهم فى كل مايفعلون .

وتصور معى ، كيف يكون حالُ العالم ، لوكان جميع الناس على شاكلة هؤلاء ، وقل لى : «أى نوع من التشويش والفوضى والإضطراب ، كان سيسود العالم عندئذ ؟ »

٣ ــ هؤلاء القوم متعجرفون ، يتكلمون بعظائم أى بكبرياء ؛ وفى نفس الوقت ، يحابون وجوه الناس ، ويتوددون ويتقربون ، إلى من يتوسمون أن بوسعهم أن ينتفعوا من ورائهم بشىء ، ويحتمل أن تكون للإنسان مواقف متناقضة ، فيقف موقفاً صلباً وعنيفاً ، من أولئك الذين يحاول أن يتسلط عليهم ويتحداهم ، بينما يتساهل مع علية القوم وأصحاب الجاه بينهم .

لقد كان أولئك الأشرار ، الذين يتحدث عنهم « يهوذا » ، يمجدون أنفسهم ، ويحتقرون الآخرين ، بحسب ماتقتضيه المناسبة ، ولانخطىء إذ نقول ، إننا لازلنا نرى بيننا اليوم ، بعضاً من سلالة هؤلاء .

خصائص الخطأ

وَأَمَّا أَنْتُمْ أَيُّهَا ٱلْأَحِبَّاءُ فَاذْكُرُوا ٱلْأَقْوَالَ ٱلَّتِى قَالَهَا سَابِقاً رسُلُ رَبِّنَا يَسوعَ ٱلْمَسِيحِ .فَإِنَّهُمْ قَالُوا لَكُمْ إِنَّهُ فِى ٱلزَّمَانِ ٱلْأَخِيرِ سَيَكُونُ قَوْمٌ مُسْتَهْزِئُونَ سَالِكِينَ بِحَسَبِ شَهَوَاتِ فُجُورِهِمْ .هؤُلَاءِ هُمُ ٱلْمُعْتَزِلُونَ بِأَنْفُسِهِمْ نَفْسَانِيُّونَ لاَ رُوحَ لَهُمْ .

(رسالة يهوذا ١٧ – ١٩)

وبالنسبة لظهور هؤلاء القوم الأشرار ، يقول «يهوذا» فى رسالته ، إن ظهورهم كان متوقعاً ، لأن الرسل كانوا قد سبق وحذروا ، من ظهورهم فى الأيام الأخيرة . والعبارات التى اقتبسها « يهوذا » ، لاوجود لها فى أى سفر من أسفار العهد الجديد ، وهناك احتمال من ثلاثة :

١ – إما أن يهوذا كان يقتبس من بعض كتابات الرسل ، التى ضاعت أصولها ، ولم تعد موجودة فى عصره .

٢ – أو أنه لم يكن يقتبس من أقوال مكتوبة ، بل كان يأخذ عن تقاليد شفوية ، منقولة عن المواعظ التى كان الرسل يلقونها ، وتناقلتها عنهم الأجيال .

٣ – أو أنه هو شخصياً ، كان ينقل عظة سمعها بنفسه عن رسل المسيح ، وربما كان يقدم لنا فقرة مشابهة لما تضمنته الأعداد من (١ – ٣) من الأصحاح الرابع ، من الرسالة الأولى إلى « تيموثاوس » .

وعلى أية حال ، كان « يهوذا » ينبىء شعبه ، بأن هذا الخطأ كان متوقعاً ظهوره فى الكنيسة . ومن هذه الفقرة ، يمكننا أن نعرف بوضوح ، بعض التصرفات الخاطئة ، التى أقدم عليها أولئك الأشرار . .

١ – كانوا يسخرون من حياة التقوى ، كما كانوا واقعين تحت تأثير شهواتهم ، وهذان الأمران ، يصحب كل منهما الآخر . وقد تميز هؤلاء الناس ، بخاصيتين اثنتين ، كانوا يعتقدون بأن الروح فقط هى الخير والصلاح ، وأن المادة شر فى أساسها ، وهذا يعنى أن الجسد شرير بجملته ، وقد يؤدى هذا فى النهاية ، إلى القول بأنه لا أهمية على الإطلاق ، لما يفعله الإنسان بجسده .

بل إنهم تجاوزوا هذا فقالوا ، إنه لا يهم إذا إرتكب الإنسان أية خطية ، لأن النعمة تغفر كل الخطايا ، فإذا ما أخطأ الإنسان ، فالنعمة تغفر على الدوام ، كل مايفعله هذا الإنسان ، أى أن الخطية ، تتيح الفرصة لظهور عمل النعمة ، وعلى هذا فلاحرج . إن أخطأ الإنسان مرة فى أعقاب الأخرى.

أضف إلى ذلك ، أنهم اعتقدوا ، أنهم وحدهم أصحاب الفكر التقدمى ، وأنهم يفوقون غيرهم فيما بلغوه من معرفة وروحانية ، كما كانوا يتهمون كل الذين يتمسكون بالمبادىء القديمة أوقل القويمة ، بأن مبادئهم قد عفا عليها الزمن ، وقد أصبحت «موضة قديمة» ، وأنهم أناس أفهامهم مغلقة ، وغير قابلين للتطور .

وأولئك الأشرار ، الذين يتحدث عنهم « يهوذا » ، كانوا قد تخطوا كل حدود الطهارة والعفة ، كما أنهم كانوا متهاونين فى السلوك ، غير مدققين ، بل ومتساهلين جداً مع الخطية ، وينظرون بازدراء ، إلى كل الذين يسلكون بالتدقيق ، ويعتبرونهم من مستوى أدنى من مستواهم ، ومن دين لا يرقى إلى صف ديانتهم .

ولاشك فى أن ذلك المذهب قد تلاشى كمذهب،ولم يعدله وجود ، لكن هذا لاينفى ، أنه يوجد فى هذا العصر ، أناس يعتقدون ، أن كل المبادىء الأخلاقية ، التى تعارف عليها الناس ، وخصوصاً من جهة أمور الجنس ، هذه المبادىء ، يعتقدون أنها لم تعد تناسب هذا العصر ، كما يوجد أناس لايترددون فى اتباع الفوضى فى الناحية الجنسية .

وفى موسوعته التى أسماها « إيمانى » ، «كتب كنجسلى مارتن » كثيراً عن رأيه فى العلاقات الجنسية ، فقال إنالنظام القديم لهذه العلاقات ، كان مؤسساً على عقيدتين ، أولاهما أن الهدف من الاتصال الجنسى هو الحمل

والإنجاب ، ثم تلبية كل إحتياجات المرأة من الضروريات . ثم بعد ذلك يقول إنه بما أن المرأة قد حصلت على الاستقلال ، وصار لها كيانها ، وأصبح لها الحق فى العمل ، وكسب عيشها بنفسها ، وبما أن قوانين منع الحمل قد تطورت ، فقد عفا الزمن على كل تلك المبادىء والمثل القديمة ، التى كانت تحكم العلاقات الجنسية بين الرجل والمرأة ، وأنه لم تعد لتلك المبادىء أهمية ما. ولهذا ينبغى فتح الباب على مصراعيه ، أمام الرجال والنساء ، لكى يكون لهم مطلق الحرية ، فى أن يحيوا معاً كيفما يشاءون ، دون أن يتحتم عليهم الإرتباط برباط الزوجية ، إلا إذا رغبوا فى إنجاب البنين ، أو بمعنى آخر ، ينادى هذا الرجل بإباحة العلاقات الجنسية ، بغير ضوابط أو قيود ، طالما كان الناس لا يرغبون فى الإنجاب أو فى الزواج نفسه .

هذا هو الفكر التقدمى ، الذى يعتبر أنه قد عفا الزمن ، على مبادىء النقاوة وطهارة الحياة ، التى لم تعد تصلح لهذا العصر .

وفى أيام « يهوذا » ، ظهر أناس ، اعتبروا أنفسهم فوق القانون ، فوق كل المبادىء التى كانت سائدة فى ذلك الزمان ، وهؤلاء كانوا يزدرون بكل من كان يتمسك بالشرائع والمثل القديمة ، ويعتبرونهم « موضة قديمة » ، لامكان لهم فى المجتمع ، وأن مكانهم الحقيقى هو أروقة المتاحف .

لكننا نجد فى العهد القديم ، قولا ترتعد له الفرائص والأوصال ، « قال الجاهل فى قلبه ليس إله » (مزمور ٥٣ : ١) .وجدير بنا أن نلاحظ ، أن كلمة « الجاهل » ، لاتشير إلى الجهل العقلى فى مجال الثقافة والعلوم ، وإنما تشير إلى الجهل الروحى والأخلاقى ، فالشخص الجاهل ، هو ذاك الذى يجهل قواعد السلوك ، أو هو الذى يرتكب الحماقات ، بحسب التعبير الشائع

فى هذه الأيام . وإذ يقول هذا الشخص ، إنه لايوجد إله ، فإنه بهذا يتحدى ، ويعبر عن فكر محبب لديه . فهو يعلم تمام العلم ، أنه إن كان يوجد إله ، فإن هذا الإله لابد وأن يدينه على خطاياه ، لهذا يحاول أن ينكر وجود الله ، متمنياً ألا يكون هناك بالفعل إله ، إنه بهذا القول يعبر عن رغبة داخلية كامنة فى أعماقه .

وبتحليل آخر نقول ، إن أولئك الذين يتنكرون لكل المبادىء والقيم الأخلاقية ، ويطلقون لشهواتهم العنان ، ويتركون الحبل على الغارب ، لميولهم الجسدية ، قائلين بأن القانون الأخلاقى لم يعد يصلح لهذا العصر ، هؤلاء بما يقولون ويفعلون ، إنما يقولونه ويفعلونه ، لأنهم يودون من كل قلوبهم ، أن يكون الأمر فعلا هكذا ، لكى يفعلوا مايروق لهم .

لقد أصغى هؤلاء الأشرار ، إلى ذواتهم وتمنياتهم ، بدلا من الإصغاء إلى صوت الله ، وقد نسوا أو تناسوا ، أنهم إن عاجلا أو آجلا ، سيجدون أنفسهم ، يصغون إلى صوت الله ، وأنوفهم فى الرغام .

٢ — كانت لهؤلاء الأشرار خاصية أخرى . إنهم تسببوا فى حدوث انقسامات فى الكنيسة ، كما كانوا كذلك جسديين لاروح لهم ، وهذا الفكر غاية فى الأهمية ، فإحداث الإنقسامات فى الكنيسة ، خطية على الدوام ، لأنه ضد إرادة الله وقصده ، والإنقسامات التى أحدثها هؤلاء الأشرار ، أحدثوها بطريقتين :

(ا) فى ولائم المحبة ، التى كانت تقيمها الكنيسة ، كانت لهؤلاء (شللهم) الخاصة ، وبهذه الطريقة ، كانوا يفسدون وحدة الكنيسة ، وروح الأخوة السائدة بين أعضائها . لقد كان هؤلاء

يرسمون دوائر لعزل بعض الناس ، بدلا من توسيع الدوائر لتحتوى وتضم أكبر مجموعة من الناس .

إن التفرقة خطية دائماً ، وخاصة فى داخل الكنيسة ، التى تعتبر مجالا للأخوة ، والمحبة ، والإندماج .

(ب) إنهم لم يقفوا عند هذا الحد ، بل تجاوزوه . فقد كان من بينهم مفكرون ، كانت لهم طريقتهم الخاصة فى دراسة الطبيعة البشرية ، ووضعوا فوارق نظرية بين إنسان وآخر ، وقسموا الناس إلى قسمين أساسيين . ولكى نصل إلى معرفة ذلك ، علينا أن نفهم شيئاً عن علم النفس اليونانى ، ونلم بشىء من النظرة اليونانية العامة ، للطبيعة البشرية .

كان اليونانيون يعتقدون أن الإنسان ثلاثى التركيب ، يتكون من الجسد « السوما » والنفس « البسك » والروح « البنوما » . ولكلمة « الجسد » معنى واضح ، فالجسد هو التكوين الخارجى ، والطبيعى للإنسان . أما النفس ، فإن فهم معناها من الصعوبة بمكان ، لأن الإغريق استخدموها ، بمفهوم يختلف عن المفهوم الذى نستخدمها نحن به ، فالنفس عندهم كانت تشير إلى الحياة الطبيعية ، وكل كائن حى ، كانت له نفس ، هذه النفس هى مصدر الحياة الطبيعية .

بينما كانت الروح ، تختلف عن هذه النفس ، فالإنسان وحده هو الذى له روح ، وهذه الروح هى التى تجعله كائناً عاقلا مشاركا لله فى خاصية التفكير ، قادراً على التحدث مع الله ، والإصغاء إليه .

وهؤلاء المفكرون قالوا ، إن كل إنسان له نفس ، وقليلون من بين

هؤلاء الناس هم الذين لهم أرواح ، وهؤلاء يكونون الأقلية العاقلة المختارة ، وهم الصفوة الأفضل ، وهؤلاء هم الذين بوسعهم أن يرقوا إلى مستوى الدين الحق ، ومعرفة الله معرفة حقيقية .

أما البقية الباقية من البشر ، فأناس قاعدون ، يكفيهم السلوك فى أدنى مستويات الإختبار الدينى ، وهذا المستوى الأدنى فقط ، هو الذى يناسبهم ؛

وعلى هذا الأساس ، قسم هؤلاء القوم ، الناس فريقين : النفسانيون « البسكيكوى » ، الذين يحيون حياتهم الطبيعية الجسدية ، أما روحياًوعقلياً ، فهم أموات ، لا رجاء لهم ، فى إحراز أى تقدم أوارتقاء ، أو الوصول إلى إختبار روحى يعلو عن مستواهم . وهؤلاء يمكننا أن ندعوهم « كائنات جسدية » ، لأنهم لايملكون سوى الجسد والدم ، الذى يجرى فى عروق هذه الأجساد .

كما كانت هناك جماعة « البنياتيكوى » ، وهؤلاء هم القادرون على بلوغ المعرفة العقلية الصحيحة ، معرفة الله الحقة ، والإختبار الروحى الحقيقى ، وهنا نجد أمامنا نوعاً من التفرقة البغيضة ، والأرستقراطية التى تتعالى على الآخرين .

فضلا عن هذا ، كان هؤلاء القوم يعتبرون أنفسهم وحدهم ، الصفوة المختارة ، بل والطبقه الأسمى ، التى لاينطبق عليها أى قانون من القوانين التى تحكم سلوك البشر العاديين ، هؤلاء البشر الذين على عاتقهم وحدهم ، يقع عبء اتباع قوانين السلوك المتعارف عليها . وكان هؤلاء الأرستقراطيون الروحيون يقولون ، إنهم بلغوا من الروحانية ، درجة ترتفع بهم فوق كل هذه ، وأن بوسعهم أن يفعلوا كل مايبدو لهم ، دون أن يؤثر عليهم هذا بشىء ، كما أنه لايوجد ماهو خطية فى نظرهم .

وعلينا أن نتذكر ، أن بيننا فى هذه الأيام ، قوما ، لا زالوا يعتقدون ، أنهم فوق كل حكم وقانون ، وعندما يرون ما يصيب الذين يفعلون الخطية ، يقولون بينهم وبين أنفسهم ، إن هذا لا يمكن أن يصيبهم ، كما كانوا يعملون بالمثل القائل ، إنهم يستطيعون أن يفروا بجلدهم ، من أى شيء ، وإنه لم يزل بيننا حتى اليوم ، أناس من أمثال هؤلاء .

وهكذا يتكشف لنا ما اتصف به « يهوذا » من ذكاء ، وهو يتعامل مع هؤلاء الناس ، من أبناء تلك الطبقة الأرستقراطية الروحية والعقلية ، الذين كانوا يقولون ، إنهم وحدهم الروحانيون الحقيقيون ، بينما البقية الباقية من البشر ، ليسوا إلا جماعة جسديين ، وبنفس كلماتهم ، يصفهم « يهوذا » ، قائلا لهم : « إنكم أنتم النفسانيون ، الجسديون ، المستعبدون لرغائب الجسد وشهواته ، أنتم الذين لا روح لكم ، وأنتم وحدكم ، الذين لا تعرفون الله معرفة حقيقية » .

لقد قال « يهوذا » لأولئك الناس ، إنهم إن ظنوا فى ذواتهم ، أنهم وحدهم المتدينون الحقيقيون ، فإنهم رغم هذا الإدعاء ، تدينهم ليس حقيقياً . إنهم يظنون أنهم فوق الجميع ، لكن سموهم هذا ، الذى يدعون أنهم يتميزون به ، ليس إلا مجرد رياء ونفاق . وفى نفس الوقت يقول ، إن الذين يزدرى بهم هؤلاء الأشرار ، هم أصحاب التفوق الحقيقى ، ويفوقونهم بما لايقاس .

إن هؤلاء الأشرار ، جعلوا الدين وسيلة لتبرير ارتكابهم للخطية ، لأنهم ميالون لفعل الشر ، رغم مايدعونه ، من أنهم وحدهم الروحانيون ، وأصحاب التفوق الذهنى .

أمثلة الصلاح

وَأَمَّا أَنْتُمْ أَيُّهَا الأَحِبَّاءُ فَابْنُوا أَنْفُسَكُمْ عَلَى إِيمَانِكُمُ الأَقْدَسِ مُصَلِّينَ فِي الرُّوحِ الْقُدُسِ واحْفَظُوا أَنْفُسكُمْ فِي محَبَّةِ اللهِ منْتَظِرِينَ رَحْمَةَ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ لِلْحَيٰوةِ الأَبَدِيَّةِ .

(رسالة يهوذا ٢٠ و ٢١)

وكما قدم لنا « يهوذا » فى الفقرة السابقة ، ماكان يفعله الأشرار ، نجده فى هذه الفقرة ، يوضح لنا أعمال البر والصلاح .

١ – الرجل الصالح يبنى حياته على الإيمان الأقدس ، فالإيمان هو أساس حياة كل مسيحى . أى أن المسيحى ، لا يبتكر لنفسه الأساس الذى يبنى عليه حياته ، وإنما يبنيها على الإيمان ، الذى يسلم إليه . فهناك سلم وسلسلة متتابعة الحلقات ، لتسليم الإيمان وتسلمه . هذا الإيمان تسلمه الرسل من « يسوع » ، ثم تسلمته الكنيسة من الرسل ، والكنيسة بدورها سلمتنا هذا الإيمان .

وهنا نجد أمرا جديراً بالإهتمام ، هو أن الإيمان الذى نتمسك نحن به ، ليس مجرد فكر شخصى ، خطر لزيد من الناس ، لكنه إعلان جاءنا من « يسوع المسيح » ، وهذا الإيمان حفظته الكنيسة ، وسلمته لنا تحت إرشاد الروح القدس ، جيلا بعد جيل .

فالإنسان الصالح لايبنى حياته على أية أفكار غير محددة ، مما يقول به كل من هب ودب ، أو على أى فكر من الأفكار العصرية المعاصرة ، ولا على أى فكر منحرف ، قديم أو جديد ، لكنه يبنيها ، على الإيمان ، الذى جاء إلينا من « يسوع المسيح » : هذا الإيمان الذى ستظل الكنيسة تحفظه ، وتحافظ عليه حتى النهاية ، طالما كانت خاضعة ومطيعة لقيادة الروح القدس .

وهذا الإيمان إيمان أقدس ، وهناك فرق بين الشيء المقدس ، وغيره من الأشياء ، فالكاهن يختلف عن غيره من الناس ، والهيكل يختلف عن غيره من المبانى ، والسبت ليس كغيره من الأيام ، كما أن الله أيضاً ، أسمى مما لايقاس ، من جميع الناس .

وإيماننا يختلف عن إيمان الغير فى أمرين :

(ا) إنه يختلف عن بقية العقائد والفلسفات ، فى كونه لم يأت من مصدر بشرى ، بل من الله ، بينما الفلسفات الأخرى ، ليست سوى مجرد أفكار وآراء بشرية . فإيماننا ليس نظرية أو فكرة ، لكنه إعلان ، إنه ليس فرضاً ولاتخميناً ، لكنه حقيقة مؤكدة .

(ب) كما أن إيماننا يختلف عن كل إيمان آخر ، فيما يتميز به ، من قدرته على التأثير ، على كل من يؤمن به ، ويصل به إلى حال الإختلاف عن الآخرين ، ويغيره تغييراً لايشمل الفكر فقط ، كما أنه ليس مجرد اقتناع عقلى ، بل هو قوة روحية دافعة ، ومحرك أخلاقى مؤثر .

٢ ــ الرجل الصالح رجل صلاة ، وقد قيل ، إن الديانة الحقة ، هى

الإعتماد الدائم على الله . وجوهر الدين هو ، أن نلقى كل رجائنا واتكالنا ، على الله بالتمام ، والصلاة إلى الله ، هى إعلان عن هذا الاتكال والإعتماد عليه ، وطلب العون منه عند الحاجة . وكما قال « د . موفات » فى تصوير بليغ : « إن الصلاة هى المحبة فى حاجتها ، تلجأ إلى المحبة فى قوتها » . وهناك سببان اثنان على الأقل ، يدفعان المسيحى لأن يكون رجل صلاة :

(ا) معرفته أن عليه ، أن يمتحن كل شىء ، فى ضوء إرادة الله ومشيئته، ولهذا السبب ، عليه أن يأخذ كل شىء إلى الله ، ليرى إن كان يوافق مشيئته أم لا .

(ب) إدراكه أنه ليس بوسعه أن يفعل شيئاً من نفسه ، وأن غير المستطاع له ، مستطاع عند الله ، ولهذا السبب ، نجده دائماً ، يلجأ إلى الله ، لكى يملأ له كل احتياج .

ويقول « يهوذا » ، إن الصلاة يجب أن تكون فى الروح القدس ، فما معنى هذا ؟

إن لم يكن فى كل الأوقات ، ففى جلها ، تكون صلواتنا البشرية أنانية غير مبصرة ، لكن عندما يتملكنا الروح القدس بالتمام ، تتنقى وتتطهر رغائبنا وميولنا ، فنعرف كيف نصلى كما ينبغى .

والحقيقة هى أننا كمسيحيين ، علينا أن نصلى إلى الله ، عالمين أن الله وحده ، هو الذى يستطيع أن يعلمنا كيف نصلى ، وماهى الأشياء التى ينبغى أن نصلى من أجلها .

٣ ــ الإنسان الصالح يحفظ نفسه فى محبة الله ، والفكر الذى كان يشغل

بال « يهوذا » فى ذلك الوقت ، هو علاقة العهد التى كانت تربط الشعب القديم بالله ، تلك العلاقة الوارد ذكرها فى سفر الخروج (ص ٢٤ : ١ — ٨) فنى هذا العهد ، جاء الله إلى الشعب ، يعدهم بأن يكون لهم إلها ، وهم يكونون له شعباً ، لكن هذا كله ، كان يتوقف على قبول الشعب ، وإطاعته للناموس ، الذى أعطاه لهم الله . فلو أنهم أرادوا الإبقاء على ذواتهم فى دائرة العهد ، كان عليهم أن يطيعوا الله . و « دكتور موفات » يقول : « إن محبة الله للبشر ، لها طرقها الخاصة للوصول إليهم » . كما أننا من ناحية لا يمكننا بحال ، أن نخرج عن نطاق محبة الله وعنايته ، ومن جهة أخرى ، إن أردنا أن تكون لنا شركة وثيقة مع الله ، فإن هذا يتطلب منا ، أن نحب الله محبة كاملة ، ونطيعه طاعة تامة ، عالمين أن الطاعة والمحبة ، توأمان لا ينفصلان .

٤ — الإنسان الصالح ، يحيا دائماً حياة التوقع والإنتظار ، إنتظار المجيء الثانى للمسيح ، فى رحمة ومحبة وقوة ، لأنه يعرف ، أن المسيح يرغب فى أن يقوده ويأتى به ، إلى الحياة الأبدية ، التى هى حياة الله ذاته ، وليست شيئاً أقل من ذلك .

استرداد الضالين

وَٱرْحَمُوا ٱلْبَعْضَ مُمَيِّزِينَ وَخَلِّصُوا ٱلْبَعْضَ بِالْخَوْفِ مُخْتَطِفِينَ مِنَ النَّارِ مُبْغِضِينَ حَتَّى ٱلثَّوْبَ ٱلْمُدَنَّسَ مِنَ ٱلْجَسَدِ

(رسالة يهوذ ٢٢ و ٢٣)

حتى بالنسبة لأشر الأشرار ، وأردأ المراطقة ، والذين تمادوا فى غيهم ، وذهبوا إلى أبعد حدود الشر والخطأ ، كما أنه حتى بالنسبة لأصحاب الأفكار

الخاطئه ، والعقائد المنحرفة ، على المسيحى التزام وواجب ، عليه القيام به تجاه هؤلاء جميعاً . فعلى المسيحى باستمرار ، أن ينقذ مثل هؤلاء الناس ، لاأن ينقدهم أو يهاجمهم ، وعليه دائماً ، أن يسعى جاهداً ، ويعمل على إرجاعهم عن طريق الضلال ، وإعادتهم إلى جادة الصواب ، عليه أن يعيدهم إلى الكنيسة ، لا أن يقطعهم منها ، عليه دائماً ألا ينفض يده منهم ، أو يغض البصر عنهم .

على المسيحى دائماً ، أن يقيم مع هؤلاء روابط وعلاقات ، فى محاولة لكسبهم لجانب الحق والمسيح ، ولتيسير هذا الأمر علينا ، قال « جيمس دنى » : « إن المسيح قد جاء لكى يصير الأشرار أبرارا » . و« سير يوحنا سيلى » يقول : « إن الكنيسة تفقد صفتها ككنيسة ، إذا فقدت القدرة على استرداد الضال ، وإرجاعه إلى جادة الصواب » .

وقد قسم « يهوذا » مثيرى الشغب فى الكنيسة ، إلى فئات ثلاث ، كل فئة تتطلب منا أن نقترب إليها ، بطريقة تختلف عن الطريقة التى نقترب بها من الفئة الأخرى .

١ — كثيرون منهم يلعبون بالنار ، بدون أن يدروا ، نعم هناك أناس استهواهم الطريق الخاطىء ، وهؤلاء الآن قد بلغوا حافة الخطر ، والهرطقة على وشك أن تدمرهم . هؤلاء قدساروا خطوة أو أكثر فى بداية الطريق ، لكنهم مترددون قبل التردى فى هوة الإستسلام للخطأ ، لكنهم حتى الآن ، لم يقر قرارهم بعد ، على رأى نهائى .

هؤلاء يجب إقناعهم ، وإرجاعهم ، عن طريق الشر ، كلما لاحت أمامنا فرصة لذلك ، وهذا يضعنا أمام أمرين :

(ا) علينا أن نتعلم كيف ندافع عن الإيمان ، ونجاوب كل من يسألنا ، عن سبب الرجاء الذى فينا ، ونشرح إيماننا وعقيدتنا للآخرين إن علينا أن نعرف مانؤمن به ، وذلك حتى نستطيع أن نواجه الخطأ بالصواب ، وندحض الهرطقة بالإيمان القويم . علينا أن نسلح ذواتنا بهذا ، لكى يصبح بوسعنا أن ندافع عن إيماننا ، وهكذا يمكننا أن نكسب الآخرين بغيرتنا وإيماننا ، ولكى نفعل ذلك ، علينا أن نطرح من أذهاننا كل شك وارتياب ، وفى غير تعصب أوسخط ، علينا أن نتقدم ، ونقترب من الآخرين .

يجب أن يكون لدينا إيمان راسخ ثابت ، وقدرة على الدفاع عن هذا الإيمان ، وتقديمه للآخرين .

(ب) يجب أن نكون مستعدين للتكلم ، عندما تدعو الحاجة إلى الكلام . يوجد كثيرون ، كان من الممكن والسهل إنقاذهم ، وإبعادهم عن أى انحراف فى الفكر أو فى السلوك ، لو أن إنساناً كان قد أخذ على عاتقه مسئولية التكلم معهم ، أو التحدث إليهم ، فى الوقت المناسب . إننا كثيراً مانتردد ، ونحجم عن الكلام ، مع أن هناك أوقاتاً يكون فيها الصمت والسكوت ، عملا من أعمال الجبن والخوف ، وهذا الصمت يضر أكثر مماينفع ، بل وقد يكون ضرره أكثر مما قد يترتب على كلامنا من مضرة .

وأعظم فاجعة يمكن أن تصيب الإنسان ، هى أن يأتى أحدهم ويقول له : « لو كنت قد كلمتنى ونبهتنى ، ماكنت وصلت إلى هذا المأزق الذى أنا واقع فيه » .

٢ ــ الفريق الثانى ، يضم أولئك الذين يجب اختطافهم من النار ،

وهؤلاءهم الذين ساروا خطوات ، وأوغلوا فى طريق الشر ، الذى كرسوا ذواتهم له . وعلينا أن نتصدى لهم ، ونوقفهم ولو بالقوة ، حتى إذا لم يقبلوا منا هذا التصدى لهم ، والتدخل فى شئونهم . نعم يجب أن ننتشلهم من الموقف الذى يضعون ذواتهم فيه .

حقاً إن كل إنسان حر فى تصرفاته ، ومن حقه أن يفعل مايشاء ، هذا حق وصواب ، لكن من ناحية واحدة ، ومن الناحية الأخرى ، هناك أوقات ، يكون من الضرورى والمحتم ، أن نعمل على تحرير هذا الإنسان ، وتخليصه من نفسه بالقوة .

٣ ــ الفئة الثالثة هى التى تضم أولئك ، الذين ينبغى أن نشفق عليهم ، ونخشاهم فى آن معاً ، والفكر الذى كان يشغل بال « يهوذا » ، وهو يذكر هؤلاء القوم ، فكر صائب ، ويعتبر حقاً على الدوام .

فالخاطىء يعرض ذاته للخطر ، ونفس هذا الخطر ، يتعرض له المؤمن الذى يتصدى لإنقاذ هذا الخاطىء . فالطبيب ، وهو يعالج مريضاً مصاباً بأحد الأمراض المعدية ، هذا الطبيب يعرض نفسه لخطر العدوى .

ويقول « يهوذا » ، إن علينا أن نكره ، حتى الثوب المدنس من أعمال الجسد ، وهو عندما قال هذا القول ، كان مشغولا بالترتيبات ، التى ورد ذكرها فى سفر اللاويين ص (١٣ : ٤٧ ــ ٥٢) ، حيث نجد القول ، إنه يجب أن يحرق الثوب الذى يرتديه الإنسان ، إن وجدت فى هذا الثوب ضربة برص .

نعم ما أصدق القول ، إننا يجب أن نحب الخاطىء ونكره الخطية لكن كل من يتقدم لأنقاذ شخص آخر ، من وهدة الشر التى تردى فيها ،

يجب أن يكون من ذوى الإيمان الراسخ المكين ، وقبل أن يمد يده للغريق بطوق النجاة ، عليه أن يضع قدميه على أرض صلبة ، ومن أراد أن يلقى بنفسه فى اليم لإنقاذ غريق ، يجب أن يكون سباحاً ماهراً فى السباحة .

فالحقيقة بكل بساطة هى ، أنه ليس فى وسع كل مؤمن ، القيام بإنقاذ الآخرين . وكل الذين يريدون أن يربحوا أناسا للمسيح ، ينبغى أن يكون إيمانهم ثابتا فى المسيح ، والذين يتطوعون لمقاومة مرض الخطية ، ينبغى أن يكونوا أصحاء فى الإيمان ، ولديهم مناعة كاملة ، تحول دون انتقال العدوى إليهم .

والجهل لايعالج بالجهل ، ولاحتى بقليل من المعرفة . وإنما علاجه يكون ميسورا وممكنا ، بمعرفة كاملة . وكل من يتقدم للعمل فى مجال ربح النفوس ، عليه هو أولا ، أن يكون قادراً أن يقول بملء الفم : « إنى عالم بمن آمنت »

إزجاء الحمد الختامى

وَٱلْقَادِرُ أَنْ يَحْفَظَكُمْ غَيْرَ عَاثِرِينَ وَيُوقِفَكُمْ أَمَامَ مَجْدِهِ بِلاَ عَيْبٍ فِى ٱلاِبْتِهَاجِ ٱلإِلٰهُ ٱلْحَكِيمُ ٱلْوَحِيدُ مُخَلِّصُنَا لَهُ ٱلْمَجْدُ وَٱلْعَظَمَةُ وَٱلْقُدْرَةُ وَٱلسُّلْطَانُ ٱلآنَ وَإِلَى كُلِّ ٱلدُّهُورِ آمِينَ .

(رسالة يهوذا ٢٤ و ٢٥)

وربما كان هذان فقط ، هما العددان ، اللذان يعرفهما معظم الناس ، من رسالة « يهوذا » . وثلاث مرات فى العهد الجديد ، يقدم الحمد لله القادر :

المره الأولى فى رسالة رومية ص (١٦ : ٢٥) ، حيث يقدم الرسول

« بولس » الحمد لله القادر أن يثبتنا ، والله وحده هو الذى يستطيع أن يجعل لحياتنا ، أساساً متيناً . ، وراسخا رسوخ الجبال الرواسى ، أساساً لا تنال منه الأحداث ، بالغة مابلغت هذه الأحداث .

والمرة الثانية ، التى قدم فيها الحمد لله القادر ، نجدها فى رسالة أفسس ص (٣ : ٢٠) ، حيث يقدم « بولس » الحمد لله القادر ، أن يفعل فوق كل شىء أكثر جداً مما نطلب أو نفتكر ، لأن إلهنا هو إله النعمة التى لاينضب لها معين ، والتى لاحدود لما تستطيع أن تعمله مع الإنسان ، مهما بلغ هذا الإنسان ، من الجحود والنكران .

والمرة الثالثة ، هنا فى هذه الفقرة ، حيث يقدم يهوذا الحمد لله القادر :

١ — الله يقدر أن يحفظنا من الزلق ، والكلمة التى يستخدمها « يهوذا » فى الأصل اليونانى هى : « أبتينستوس » ، وهى تستخدم للإشارة إلى حصان مدرب أصيل ، لايكبو ، وإلى إنسان صالح لايخطىء ، إنه لا يدع رجلك تتزحزح ، أو تزل (مزمور ١٢١ : ٣) .

إن السير مع الله ، يعنى السلامة والأمان ، حتى فى وسط أوعر المسالك وأخطرها . وعند تسلق الجبال ، يربط المتسلقون معاً بحبل واحد ، حتى إذا مازلت قدم واحد ممن لم يكتسبوا بعد خبرة ومرانا فى هذه الرياضة ، يستطيع رفاقه المهرة أن يجذبوه وينقذوه ، وهكذا ننجو نحن ، إن ربطنا ذواتنا مع الله ، لأنه يحفظنا .

٢ — الله قادر أن يوقفنا أمام مجده بلاعيب ، والكلمة اليونانية هى « آموموس » ، وهى فى حد ذاتها ، كلمة من كلمات التضحية ، وتستخدم عادة للإشارة إلى الحيوانات التى لاعيب فيها ، والتى يمكن تقديمها ذبائح لله . والمدهش هنا ، هو أننا عندما نقدم ذواتنا ذبيحة لله ، فإن نعمته ، تقدر أن

تجعل حياتنا ذبيحة مقبولة عنده ، أى كاملة فى نظره ، وليس شيئاً أقل من ذلك .

٣ ـ الله يقدر أن يدخلنا إلى حضرته بلا عيب ، وواضح أن الطريق الطبيعى ، للتفكير فى الدخول إلى حضرة الله، هذا التفكير دائماً يكون مشوباً برعدة وخوف ، لأن هذا الدخول غالباً ، ما يكون مصحوباً بالخجل ، والشعور بعدم الإستحقاق .

لكن بفضل العمل الذى قام ويقوم به يسوع المسيح ، وفى نعمة الله ، نعلم أننا نستطيع أن نتقدم للذهاب إلى حضرة الله ، فى شوق وابتهاج ، وبدون أدنى خوف أو وجل . لأن الإله الديان المرعب ، قد أضحى فى المسيح ، إلهنا وأبانا المحب .

الشيء الأخير الذى يجب أن نضعه فى اعتبارنا ، هو أن كلمة المخلص ، لايقتصر إستخدامها على الحديث عن المسيح ، وها هو « يهوذا » ، يعطى هذا اللقب لله ، فيقول : « الإله الحكيم الوحيد مخلصنا » ، وليس « يهوذا » وحده . هو الذى قال هذا عن الله ، لكن قاله غيره كثيرون آخرون ، من كتاب العهد الجديد ، (إقرأ بشارة لوقا ١ : ٤٧ ، تيموثاوس الأولى ١ : ١ ، ٢ : ٣ ، ٤ : ١٠ ، تيطس ١ : ٣ ، ٢ : ١٠ ، ٣ : ٤)

وهكذا نختم تأملاتنا ، بما يملأ القلب بهجة وعزاء ، بتأكيد وقوف الله ، الإله المخلص ، خلف كل أمر ، وتداخله فى كل ظرف يأتى علينا .

نعم . إن لدى المسيحى اليقين الذى يبهج النفس ، وهو أنه فى هذا العالم ، يعيش ويحيا فى محبة الله ، وعند الإنتقال من هنا ، سوف يمضى إلى محبة الله كذلك ، وهكذا تكون محبة الله ، هى الهواء الذى يستنشقه المؤمن ، والجو الذى يعيش فيه ، بل وأيضاً هدف حياته وغايتها .